

# السيرة المحمدية

دراسة تحليلية للسيرة المحمدية  
على ضوء الكتاب والسنّة  
والتاريخ الصحيح

الأستاذ المحقق  
الشيخ جعفر السبحاني

---

إعداد واقتباس:  
الشيخ جعفر السبحاني  
الدكتور يوسف جعفر سعادة

فهرست ترتیبی پیش از انتشار توسط: مؤسسه تعلیماتی و تحقیقاتی امام صادق علیه السلام

السبحانی التبریزی، جعفر، ۱۳۴۷ هـ-ق-

السیرة المحمدیة / تأليف جعفر السبحانی؛ تعریف جعفر الہادی؛ مخلص یوسف جعفر سعاده۔۔

قم: مؤسسة الإمام الصادق علیه السلام، ۱۴۲۵ ق. = ۱۳۸۳ ش.

ISBN: 964-357-147-5

۲۸۲ ص.

کتابنامه به صورت زیرنویس.

چاپ دوم

محمد(ص)، پامبر اسلام، ۱۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ ق.۔ سرگذشتاتم. الف. ہادی، جعفر، مترجم.

ب. سعاده، یوسف جعفر، خلاصہ کتبه ج. مؤسسه الإمام الصادق علیه السلام. د. عنوان.

۲۹۷/۹۳

BP ۲۲/۹ مس ۹۰۱ مس/۹

اسم الكتاب: السیرة المحمدیة

الموضوع: سیرة النبی الاکرم علیه السلام

المؤلف: العلامۃ المحقق جعفر السبحانی

تعربی: جعفر ہادی

المخلص: یوسف جعفر سعاده

الطبعة: الثانية / ۱۴۲۵ هـ-ق.

المطبعة: مؤسسة الإمام الصادق علیه السلام

عدد النسخ: ۳۰۰۰ نسخة

الناشر: مؤسسة الإمام الصادق علیه السلام

السعر: ۱۴۰۰ تومان

الصف والإخراج باللاینوترون: مؤسسة الإمام الصادق علیه السلام

توزيع: مکتبة التوحید

قم - ساحة الشهداء - ۰۹۱۲۱۵۱۹۲۷۱ و ۰۷۷۴۵۴۵۷

FAX : ۰۰۹۸ ۲۵۱ ۲۹۲۲۳۳۱

E-mail: pub@imamsadeq.org

http://www.imamsadeq.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن أعظم صفحات التاريخ قيمة، هي تلك التي تعكس لنا حياة العظاء، وسيرة الرجال الخالدين، والتي تبحث عنهم بصدق وأمانة موضوعية، ذلك إنهم معجزة الخليقة بلا ريب، وحياتهم في الحقيقة ملحمة التاريخ الكبرى، وساحة البطولات الخالدة، ومسرح الحماسات العظمى الحياة النابضة على مر العصور.

لقد كان أولئك العظاء يعيشون على خط الثارات والتغيرات الاجتماعية، تجد مصاديقها في حياتهم، وتتجسد في مواقفهم، ولهذا كانوا يشكلون حلقة الاتصال بين مظاهر الدنيا المختلفة المتناقضة، فكانت حياتهم الحافلة بالأحداث، شاهدةً للألوان والمشاهد المثيرة المتنوعة.

ويأتي على رأس أولئك الرجال التاريخيين والعظاء الخالدين، رسول الإسلام العظيم محمد ﷺ، إذ أنه لم تتسم حياة أحد - من حيث وفرة الأحداث وعظمتها الأمواج - كما اتسمت حياته ﷺ، ولا اتصفت شخصيةً بمثل ما اتصف به ذلك النبي العظيم. فلم يستطع أحدٌ سواه، أن يؤثر في بيته، ثم في جميع أنحاء العالم، وينفذ إلى أعماق الأعماق بمثل السرعة والسرعة التي حصلت له ﷺ.

إن مطالعة عميقة لسيرة وحياة هذا الإنسان العظيم، قادرة على أن تعلمنا الكثير الكثير، وأن توقفنا على مشاهد متنوعة في غاية النفع ومتنهى الفائدة.

وقد أُلقيت حول حياة رسول الإسلام كتبٌ ورسائل ودراسات كثيرة، بحيث لو

أُتيح لنا أن نجمعها في مكان واحد، لشكّلت مكتبةً ضخمةً وعظيمةً.

ويمكن القول بأنّه ليس ثمة من عظيم استقطب اهتمام التاريخ والمؤرّخين والمفكّرين، كما أنه ليس ثمة شخصيةً عالمية كتب حولها المؤلفون والباحثون، هذا القدر الهائل من المؤلفات والمسنّفات والرسائل والكتب، مثل ما حصل للرسول الكريم ﷺ.

إلا أنّ أكثر هذه الكتب والمؤلفات تعانى من أحد إشكاليّن:

إما أنّه جاء على نسق التسجيل المجرد للحوادث، أو النصوص التاريخية دون أن يقوم مؤلّفه بتحليلها ودراسة خلفياتها ونتائجها وإصدار الحكم اللازم بشأنها، أو عمّد إلى طائفة من الآراء الحدسية والاجتهادات الباطلة العارية عن الدليل، وإثباتها في مؤلّفه على أنها الحكم الحقّ، وخلط هذه الأحكام مع الأحداث، ليخرج كتابه إلى الجمهور المتعطّش إلى تاريخ الإسلام، على أنه التاريخ المحقّ.

وي يمكن الردُّ على هؤلاء، بأنّ الهدف من التاريخ ليس مجرد تسجيل للحوادث وضبطها وتدوينها، بل هو تناول أحداثه من المصادر الصحيحة الموثوقة بها، وإبراز عللها، وأسبابها وثارها ونتائجها، وهو بهذا الشكل يصبح أعظم كنز تركه الأقدمون لنا.

لقد تجنب أكثر كُتاب السيرة النبوية عن إظهار الرأي في الحوادث، أو القيام بأي تحليل للواقع، بحجّة الحفاظ على أصول الحوادث ونصوصها، بل إنّ أكثر الحوادث التاريخية في العصر الإسلاميُّ أدرجت في الكتب من دون دراسة موضوعية وتقدير دقيق.

أما هذا الكتاب فإنه يتميّز بميزتين هامتين:

أوّلها: إنّا عمدنا فيه إلى تناول الحوادث والواقع المهمة، ذات الفائدة الكبرى

والعبر ، بالبحث والتحليل مع إبعاد الأحداث الجزئية الصغرى ، وقد اخْتَدَنَا تلك الأحداث من المصادر الأصلية والأولية التي دوّنت في القرون الإسلامية المشرفة الأولى.

وثانيتها: إننا أشرنا خلال الدراسة ، إلى الاعتراضات والإشكالات ، وإلى مواطن الإساءة التي قدمها المستشرقون المغرضون ، وتناولناها بالإجابة على كل تلك الانتقادات غير الصحيحة بأجوبة مقنعة وقاطعة .

ولهذا بادرنا إلى ذكر رأى المؤلفين الشيعة في المسائل التي اختلف عليها مؤرخو السنة والشيعة ، مع ذكر المصادر والشواهد التاريخية الواضحة المبرهنة .

وإننا إذ نقدم هذه الدراسة التحليلية لشخصية وحياة خاتم الأنبياء محمد ﷺ إلى القراء الكرام ، نأمل أن يهتم بها عامة المسلمين وخاصة المثقفون والشباب منهم ، ليتناولوا هذه السيرة العطرة بالمطالعة المتأنيّة و التأمل والتدبّر ، حتى يمكنهم أن يرسموا خريطة حياتهم وحياة مجتمعهم في ضوء ما يستلهمونه ويتعلّمونه من سيرة وحياة رسول الإسلام ﷺ في هذه الحقبة البالغة الخطورة .

والله ولِيُ التوفيق

جعفر السبحاني

قم المقدّسة - مؤسسة الإمام الصادق ع

الأربعاء ٢٧ محرم ١٤٢٠ هـ

١٩٩٩/٥/١٢



## مقدمة الملخص

كان لي الشرف العظيم والافتخار أن أتقابل مع الأستاذ المحقق والعالمة الشيخ جعفر السبحاني في مكتبه بقم المقدسة، حينما جمعتني به الظروف والصدف الحسنة الطيبة والباركة، أadam الله ظلّه وأطال في عمره الشريف، فقد كنتُ في قم المقدسة بهدف تقييم كتابي: «أهل البيت ﷺ وأثارهم في المجتمع الإنساني» الذي كان يستدعي أن أعرضه على عدد من علمائنا الأفاضل - أطال الله في أعمارهم وجعلهم أنواراً في الأرض - ليقدموا ما لديهم من مقترنات حول ما جاء فيه من أفكار وآراء قد لا تتناسب مع جزئيات الدين أو المذهب أو المعتقدات الخاصة بال المسلمين عامة والشيعة خاصة.

وكان الشيخ الفاضل من أوصيتي بالاتصال به للمساعدة في هذا الجانب، فنشرفت بلقائه وتقبل ما عرضت عليه، فله الشكرُ والتقديرُ والاحترام، إلا أنه في نفس الوقت تقدم هو الآخر بعرضٍ مثالٍ، وهو أن أقوم بتلخيص كتابه الكبير : «سيد المسلمين» الذي يتناول فيه سيرة الرسول الكريم محمد ﷺ، وذلك ليسهل تداوله في الأيدي، فيطلع عليه شبابنا المثقف في هذا الزمن الذي امتنع فيه عن قراءة الكتب المطولة ذات الأجزاء المتعددة، بل بالكاف يطلع على أقل الكتب صفحات وموضوعات وأفكار. وكان عرضه في الحقيقة شرفاً كبيراً لي، وتقديراً منه لي أيضاً، في الوقت الذي اندھشت لعرضه، إذ انتني في كتابي «أهل البيت» تناولت ما يتعلّق من أحداث عن الأئمة الاثني عشر ﷺ وأولادهم وأحفادهم، دون التعرّض للنبي ﷺ والسيدة فاطمة الزهراء ؓ إلا نادراً، فأصبح هذا الكتاب وكأنه يكمل ولا شكّ ما جاء من وقائع

### وأحداث في كتابي أهل البيت عليهم السلام.

وقد نهج الكاتب العظيم في تأليفه، بأن قسم كتابه إلى جزءين: تناول في الأول منها أحداث الإسلام وال المسلمين في مكة إلى زمن الهجرة إلى يثرب. وفي الجزء الثاني، قدم شرحاً مفصلاً لأحداث المدينة المنورة سنةً بعد سنةً، إلا أنه لم يتخد منهج التنظيم، شكل الأبواب والفصول، بل نهج في تنظيمه بالأعداد والأرقام.

ولما كنت أميل نحو تنظيم الكتب في مؤلفاتي إلى الأقسام والأبواب والفصول، فإنني قمت بتقسيمه أولاً إلى قسمين: اختص الأول بأحداث مكة المكرمة. والثاني: ارتبط بواقع و مجريات الأمور في المدينة المنورة.

ثم إن كلّ قسم اتّخذ عدة فصول بحسب الأحداث والواقع وأهميتها. كما أني أضفت عدة فقرات كانت بحاجة إلى تفسير بعض الأحداث أو الواقع أو الشخصيات. ثم أعددت قائمة منظمة للمراجع والمصادر التي استفاد منها المؤلف كما أعددت فصلاً خاصاً تناولت فيه ما جاء من قصص وروايات في كتاب العلامة الشيخ تري المعلومات المقدمة.

وأرجو من الله العلي القدير أن يكون قد وفقني في عملي المتواضع هذا، وأن يتقبله الرسول الكريم صلوات الله عليه وآله وسلامه، وأهل بيته الكرام، فيكون شفيعاً لي ولأهل بيته يوم القيمة، وأن يُرضِّي به أستاذنا وشيخنا المحقق العلامة جعفر السبحاني، أطال الله عمره بالصحة الموفورة، ووقفه لما فيه الخير والمصلحة للإسلام وال المسلمين.

د/ يوسف جعفر سعادة

الكويت

٢١ ربيع الأول ١٤٢٠ هـ

٤/٧ (يوليو) ١٩٩٩ م

## **القسم الأول**

### **مَكَّةُ الْمَكْرُمَةُ**

وَ فِيهِ فَصُولٌ :

- ١ . العرب قبل الإسلام
- ٢ . الرسول الأكرم محمد ﷺ
- ٣ . البعثة النبوية
- ٤ . مواجهة المسلمين للكفار



الفصل الأول

# العرب قبل الإسلام

الأحوال الداخلية في شبه الجزيرة العربية

الأحوال السياسية في المنطقة المجاورة

التعریف بأسلاف الرسول ﷺ



## ١. الأحوال في جزيرة العرب

لم تكن القبائل العربية الجاهلية المتناحرة، تعيش أية حضارة، ولم تكن تمتلك أية تعاليم وقوانين وأنظمة وآداب قبل مجيء الإسلام، فقد كانت محرومةً من جميع المؤشرات الاجتماعية التي توجب التقدم والرقي، ولذا فلم يكن من المتوقع أن تصل إلى تلك الذرى الرفيعة من المجد والعظمة، ولا أن تنتقل من نمط الحياة القبلية الضيقة إلى عالم الإنسانية الواسع وأفق الحضارة الرحيب، بمثل هذه السرعة التي وصلت إليه، والزمن القصير الذي انتقلت فيه.

ويمكنا أن نقف على وصف دقيق لحالة العرب قبل الإسلام، من خلال مصادران إسلاميين أساسين، وهما:

١. القرآن الكريم، وهو خير مرآة تعكس أحوال العرب وأوضاعهم بالدقّة والشمولية.

٢. ما صدر عن الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة في وصف الحالة قبل الإسلام.

فقد ورد فيها تصريحاتٌ ونصوصٌ صريحةٌ تكشف عنّا كأن عليه العرب في الجahلية من سوء أحوال، وأوضاع، وأخلاق في جميع الأبعاد والأصعدة. وبالرغم

من أنّ العرب من ولد عدنان قد اتصفوا بصفات حسنة، إذ كانوا يكرمون الضيف، وقلّما يخونون الأمانة، ويضيّدون في سبيل المعتقد، ويتحلّون بالصراحة الكاملة، إضافة إلى براعتهم في فن الشعر والخطابة، وكونهم يضربُ بهم المثل في الشجاعة والجرأة، إلا أنّهم إلى جانب كُل ذلك، كانوا يعانون من مفاسد أخلاقية تطغى على ما لديهم من كمال وفضيلة.

فالمجتمع العربي وخاصة منطقة الحجاز لم تقم فيها حضارة، أو أنّه لم يبق أي أثر من هذه الحضارات فيها إلى ما قبل بزوغ الإسلام، وقد شاعت فيه أخلاق وعادات كان أبرزها:

- الشرك في العبادة، حيث عبدوا الأصنام والأوثان والنجوم.
- إنكار المعاد، أي عودة الإنسان إلى الحياة في العالم الآخر.
- هيمنة الخرافات، التي كانت تكبل عقول الناس في المجتمع، حيث تركّزت فيها، فكانت سبباً قوياً في تخلّفهم، وسدّاً منيعاً في طريق تقديم الدعوة الإسلامية، فيما بعد، مما جعل النبي ﷺ يُعمل بكل طاقاته وجهده في محاربة وإزالة تلك الآثار الجاهلية، والأفكار والمعتقدات الخرافية.
- الفساد الأخلاقي، مثل انتشار القمار - الميسر - والخمر والزنا واللواء والبغاء.

- وأد البنات، وهي العادة القبيحة التي اعتبرها القرآن الكريم جريمة نكراء لا تمر في الآخرة بدون حساب شديد.

ولذا فإنّ المرأة كانت محرومة من جميع الحقوق الاجتماعية حتى حق الإرث، كما عدّها المثقفون من الحيوانات تباع وتشترى، وجزء من أثاث البيت. وكان

الرجل يتزوج بزوجة أبيه متى طلقها أو بعد وفاته، وربما تناوب الأبناء على امرأة أبيهم واحد بعد واحد، كما كان الرجل يرث امرأة من قرابته إذا مات عنها، مثلما يرث أمتعة المنزل، إضافة إلى أنهم كانوا يورثون البنين دون البنات.

- تناول الدم والميّة والخنزير، وأكل الحيوانات التي يقتلونها بقسوة.  
- النسيء، وهو تأخير الأشهر الحرم، كان يقوم به سدنة الكعبة أو رؤساء العرب، عندما كانوا يقررون استمرار الحرب والغارات في الأشهر الحرم.

- الربا، الذي شَكَّل العمود الفقري في اقتصادهم.  
- النهب والسلب، فقد كان انتهاك ما في أيدي الناس، والإغارة والقتال، من العادات المستحكمة عندهم، حتى إن بعض حروبهم كانت تمتد إلى مائة سنة أو أكثر، حيث كانت الأجيال تتواتر تلك الحروب، وقد بلغ ولعهم بالقتال وسفك الدماء أن جعلوها من مفاخر الرجال.

- أما عن الجانب العلمي والثقافي، فإنّ أهل الحجاز وصفوا بالأئميين، فلم يتجاوز عدد الذين عرفوا القراءة والكتابة في قريش ما قبل الإسلام عن (١٧) شخصاً في مكة، و (١١) نفراً في المدينة المنورة.

ومن ذلك يمكن القول أنّ تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده، تاریخاً على طرفي نقيض: الأول جاهلي ووثني وإجرامي، والثاني تاريخ علم ووحدانية وإنسانية وإيمان.

ومن التخلف والانحطاط في الأول، يمكن معرفة مدى تأثير الإسلام وعظمته التعاليم الإسلامية في جميع المجالات والحقول المعيشية. فكيف تحقق ذلك

التطور العظيم لهؤلاء العرب الجاهليين في الجزيرة العربية، في حين لم يستطع عربُ اليمن الذين امتلكوا الشيءُ الكثير من الثقافة والحضارة، وعاشوا حياةً حضاريةً متطرفة، أن يصلوا إلى هذه النهضة الشاملة، أو تقيم مثل هذه الحضارة العريضة، أو عرب الغساسنة الذين جاوروا بلاد الشام المتحضرّة، والذين عاشوا تحت ظلّ حضارة الروم، أن يصلوا إلى تلك الدرجة من الثقافة، أو عرب الحيرة الذين عاشوا تحت ظل إمبراطورية الفرس أن ينالوا مثل ذلك الرقي والتقدّم، في الوقت الذي تمكّن فيه عرب الحجاز من تحقيق تلك النهضة الجبارّة، وورثوا الحضارة الإسلامية العظمى، في حين لم يكن لهم عهْدٌ بـأي تاريخٍ حضاريٍ مشرقٍ، بل كانوا يرثّون تحت أغلال الأوهام والخرافات والأساطير والعادات السيئة.

وخيرُ من يوضح تلك الأوضاع والأحوال، هو الإمام علي عليه السلام في الخطبة

الثانية من «نهج البلاغة»:

«والناسُ في فتنِ انجدزم١ فيها حُبلُ الدين، وتزعزعَت سواري٢ اليقين، واختلفَ النجُرُ٣، وتشتُّتَ الأمُرُ، وضاقَ المخرجُ، وعميَ المصدُرُ، فالمهدى خاملٌ، والعمى شاملٌ، عصيَ الرحمنُ ونصرَ الشيطانَ، وخذلَ الإيمانُ فانهارت دعائمهُ، وتنكّرت معاملُهُ، ودرستُ٤ سبلُهُ، وعفتُ شركهُ، ... فهم فيها تائهون حائرُون جاهلون مفتونون في خيرِ دارِ وشرِّ جيرانِ، نومُهم سُهودٌ، وكمْح لهم دموعٌ، بأرض عالمها مُلجمٌ وجاهلها مُكرَمٌ».

١. إنقطع.

٢. الدعائم.

٣. إنظمست.

٤. الأصل.

٥. الطرق.

وفي الخطبة ٢٦ قال ﷺ:

«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مُعْشَرُ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارِ مُنِيَخُونَ<sup>١</sup>، بَيْنَ حَجَرَةِ حُشْنٍ<sup>٢</sup>، وَحَيَّاتِ صُمٍّ<sup>٣</sup> تَشْرَبُونَ الْكَدْرَ، وَتَأْكِلُونَ الْجَحِشَ<sup>٤</sup>، وَتَسْفَكُونَ دَمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامَ فِيهِمْ مِنْصُوبَةٌ، وَالآثَامَ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ<sup>٥</sup>.»

وقال ﷺ في الخطبة ٩٥:

«بَعْثَهُ ﷺ، وَالنَّاسُ ضُلَالٌ فِي حِيرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فَتْنَةٍ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتَرْلَتْهُمُ الْكَبْرِيَاءُ، وَاسْتَخْفَتْهُمُ الْجَاهْلِيَّةُ الْجَهَلُ، حَيَّارَى فِي زَلَالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلَاءٌ مِنَ الْجَهَلِ، فَبَالَّغَ ﷺ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.»

وأيضاً في الخطبة ١٥١: قال ﷺ:

«أَضَاءَتْ بِهِ الْبَلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلَمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْجُفْفَوَةِ الْجَافِيَّةِ، وَالنَّاسُ يَسْتَحْلُونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذَلُونَ الْحَكِيمَ، يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ<sup>٧</sup>، وَيَمْوتُونَ عَلَى كُفْرَةٍ.»

وقد أكد تلك الأحوال والحياة، أيضاً، جعفر بن أبي طالب، عندما خطب

١. مقيمون.

٢. جمع خشناء من الخشونة.

٣. التي لا تسمع لعدم إنزجارها بالأصوات.

٤. الطعام الغليظ.

٥. مشدودة.

٦. طيشهم.

٧. على خلوّ من الشرائع.

أمام النجاشي في الحبشة، يشرح أحوال المسلمين والمشركين، فقال:

«أيّها الملك، كُنّا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونبعده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحسنات. وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلوة والزكاة والصيام». <sup>١</sup>

## ٢. الأحوال السياسية في المنطقة

لقد جاروت البيئة التي ظهر فيها الإسلام أعظم إمبراطوريتين في ذلك الوقت هما: إمبراطورية الروم والفرس، وهذا مما يجعلنا ندرس أحوالهما لنقف على قيمة الحضارة التي قدمها الإسلام.

فامبراطورية الروم تميّزت الأحوال فيها بالحروب الداخلية والخارجية، وخاصة في صراعها مع دولة فارس، كما كان للمنازعات الطائفية والمذهبية نصيبها في توسيع رقعة الاختلاف فيها، كالحرب بين المسيحيين والوثنيين، حينما مارس رجال الكنيسة أشدّ أنواع الضغط والاضطهاد بحق الآخرين، الأمر الذي ساعد على إيجاد أقلية ناقمة، كما ساعد على ظهور حالة مهدت لقتل الشعب الروماني للدعوة الإسلامية فيما بعد. هذا مضافاً إلى أن اختلاف رجال الدين فيما بينهم،

---

١. السيرة النبوية / ١٣٣٥ والحديث عن أم سلمة.

وتعدّ المذاهب من جهة، عملاً على التقليل من هيبة الإمبراطورية واتجاهها نحو الضعف والانحلال. وقد أدى كل ذلك إلى انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين: شرقي وغربي. وقد استغل اليهود ذلك الضعف والانهيار الداخلي فخطّطوا لِإسقاط النظام، مما جرّ إلى ازدياد جرائم المذابح الانتقامية بين الطرفين، ولم تهدأ الأحوال إلاّ بعد ظهور الإسلام وانتشاره في تلك الجهات.

أمّا إمبراطورية فارس، فقد سيطرت على معظم مناطق العالم بالاشتراك مع إمبراطورية الروم، وتميّزت الفترة بالنزاع الدائم بين إيران الساسانية والروم للسيطرة على مناطق نفوذ جديدة، فقد بدأت الحروب بينهما منذ عهد «أنوشيروان» (٥٣١-٥٨٩ م) حتى زمن «خسرو برويز» لمدة ٢٤ عاماً، مما أضعف الدولتين.

وقد اشتهر «برويز» بماله نحو الترف وحياة البذخ، حتى بلغت أعداد نسائه وجواريه الآلاف منهن، كما كان أرغب الناس في جمع الأموال والجواهر والأواني.

وفي الجانب الاجتماعي، ظهر التمييز بين الطبقات، فالتبلاء والكهنة كانوا على رأسها تملّكوا المناصب الاجتماعية العليا، بينما حرم الكسبة والمزارعون وبقية أبناء الشعب من كافة الحقوق الاجتماعية، سوى دفعهم للضرائب الثقيلة والمشاركة في الحروب. وقد أدى هذا الوضع المتردي إلى أن تمتلك أقلية صغيرة كل شيء وهي نسبة (٥٪/١١) من مجموع الشعب، بينما حرم أكثر من (٩٪/٨٩) من حق الحياة تماماً. كما أنّ الأغنياء فقط هم الذين تلقوا التعليم، بينما حُرم الباقون منه، واتخذ الحكام الساسانيون سياسة الخشونة القاسية مع الناس، وأخضعوهم بالسيف والعنف، وفرضوا الضرائب الثقيلة، مما جعل الشعب غير راضٍ على حكمهم وسيرتهم، الأمر الذي جعل الصراع والتنافس يدب بين الأمراء والأعيان

وقاده الجيش، فاختار كلّ فريق أميراً من أبناء العائلة المالكة، وتفرغ لتصفية الطوائف الأخرى، مما أصبح كلّ ذلك أسباباً قوية لضعف الدولة وانقسامها وانحلالها أيام الفتح الإسلامي.

على أنّ الفساد الذي ظهر في أوساط رجال الدين الزرادشت، وتطرق الخرافات والأساطير إلى المعتقدات الزرادشتية، تسبب في حدوث مزيد من التشتّت والاختلاف في آراء الشعب الإيراني وعقيدته، مما أفقده الثقة والإيمان بتلك المعتقدات.

وقد أدى تردّي الأوضاع الاجتماعية، والصراع الطويل بين فارس والروم في خلال عشرين عاماً، إلى عقد الصلح بينهما على أساس أن يدفع الروم إلى فارس ما يعادل (٢٠ ألف دينار)، إلا أنّ الروم عادوا إلى الحرب ومعارك الطاحنة مرّة أخرى لفترة سبع سنوات، تمكن فيها الملك الفارسي خسرو برويزي في ٦١ م من الاستيلاء على بلاد الشام وفلسطين وأفريقيا، ونهب أورشليم، وحرق كنيسة القيامة ومزار السيد المسيح ﷺ، وقتل ٩٠ ألف نصاري. وقد حدث ذلك في زمن بعثة الرسول ﷺ وقد حزن المسلمين على هزيمة الروم الذين كانوا أصحاب كتاب، ولم يتخذ الرسول ﷺ موقفاً خاصاً اتجاه هذه الأحداث حتى نزل الوحي عليه مبشّراً بانتصار الروم في المستقبل القريب، وقد تحقّقت هذه البشارة في سنة ٦٢٧ م.<sup>١</sup>

وقد وضع الجيش الإسلامي بحملاته الناجحة، حدّاً لتلك الأوضاع المضطربة، ونهايةً لذلك الصراع السياسي الدامي الذي استمرّ خمسين عاماً، وفسح المجال لأن يختار الشعبُ الفارسي دينه ومعتقداته بحرية في منأى عن القهر والقسر.

١. راجع سورة الروم: ٦ - ١.

### ٣. التعريف بأسلاف الرسول ﷺ

كان من الواجب التحدث عن أحوال أجداد النبي ﷺ لما كان لهم من نصيب هام في تاريخ العرب والمسلمين . ولما كان نسب النبي ﷺ ينتهي إلى النبي إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام فإنه من المستحب أن نتناول أسلاف النبي ﷺ بالعرض والدراسة بدءاً منه عليهما السلام .

١. النبي إبراهيم عليهما السلام هو بطل التوحيد، جاهد في سبيل إرساء قواعد التوحيد، واقتلاع جذور الوثنية. ولد في بابل - التي تعد إحدى عجائب الدنيا السبع - التي حكمها «نمرود بن كنعان» الذي أمر الناس بعبادته إضافة إلى عبادة الأصنام، ولما ذكر له أنّ عرشه سينهار على يد رجل يولد في بيته، أمر بعزل الرجال عن النساء، في نفس الليلة التي انعقدت فيها نطفة النبي إبراهيم عليهما السلام ، وهي الليلة التي تكهن بها المجنون والكهنة من أنصار نمرود، مما دفع جلاوزته إلى قتل كل وليد ذكر. وقد حملت به أمّه - أم إبراهيم - مثلما حملت أمّ موسى عليهما السلام به، فأمضت فترة حملها في خفاء وتستر، ثمّ وضعته في غار بجبل قريب من المدينة للحفظ عليه، وقضى في هذا الغار فترة ثلاثة عشرة سنة، ثمّ انخرط في المجتمع الذي استغرب وجوده فأنكروه. ورأى في مجتمعه ظواهر التعبد لغير الله، من نجوم وكواكب وأصنام وعبادة الإنسان، مما دعاه إلى أن يحارب في هذه الجبهات، التي أوضحتها القرآن الكريم في سورة وآياته الشريفة. وقد بدأ عمله بمكافحة ما كان عليه أقرباؤه، وعلى رأسهم عمّه آزر، وهو عبادة الأصنام والأوثان، ثم اتجه إلى جبهة أخرى أكثر ثقافة وعلم، وهي التي عبدت الكواكب والنجوم والأجرام السماوية.

وقد أعطى النبي إبراهيم عليهما السلام سلسلة من الحقائق الفلسفية والعلمية، لم

يصل إليها الفكر البشري يومذاك، في حواره العقائدي مع عباد الأجرام السماوية، مدعمة بأدلة لا تزال إلى اليوم، موضع إعجاب كبار العلماء ورواد الفلسفه والكلام. وقد نقل القرآن الكريم في هذا المجال أدلة النبي إبراهيم عليه باهتمام خاص وعنایة بالغة.<sup>١</sup> فقد أخذ إبراهيم عليه هيئة الباحث عن الحقيقة بدون أن يصدم تلك الفرق المشاركة ويجرب مشاعرها. وركز في عمله على التوحيد في الربوبية، والتدبیر وإدارة الكون، وأنه لا مدبر ولا مربي للموجودات الأرضية إلا الله سبحانه وتعالى، فأبطل ربوبية الأجرام السماوية بقوله: «وَجَهْتُ وَجْهِي لِلّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»<sup>٢</sup>. أمّا بالنسبة إلى عمّه آزر الذي كان ذا مكانة اجتماعية عالية بين قومه، وصانعاً ماهراً ومنجماً، له رأيه وأفكاره في الأمور الفلكية في بلاط نمرود، فإنه ليس أبوه بل عمّه، وذلك أنّ علماء الشيعة قد اتفقوا على أنّ آباء الأنبياء كانوا مؤمنين بالله موحدين به، وأكّد الشيخ المفید ذلك في كتابه: «أوائل المقالات»<sup>٣</sup> بل إنّ كثيراً من علماء السنة قد وافقهم في ذلك أيضاً، ولعل مناداته بالأب، نظراً لكونه الكافل لإبراهيم عليه رحمة من الزمن، فنظر إليه بمنزلة الأب.

وأمّا بخصوص عقابه، وإلقائه في النار، وعدم تأثيره بها وخروجه سالماً منها، فإنّ السلطات الحاكمة قررت نفيه من البلاد فغادرها إلى الشام، ثم إلى الحجاز مع زوجته هاجر وابنه إسماعيل، حينما أسكنهما في مكة، وظهرت بفضلهما عين زمم، ووفدت جماعات من القبائل لتسكن في تلك البقعة، وأشهرها قبيلة «جرهم» التي

١. ترتبط آية ٧٤ من سورة الأنعام بحواره مع الوثنين، بينما ترتبط الآيات اللاحقة لها بعبادة الأجرام السماوية.

٢. الأنعام: ٧٩.

٣. أوائل المقالات: ١٢، باب القول في آباء رسول الله عليه السلام.

ترزّق منها إسماعيل وصايرهم، ومنذ ذلك الوقت أصبحت مكة من المدن العامرة، بعد أن كانت صحراء قاحلة وواد غير ذي زرع.

٢. قصي بن كلاب: هو الجد الرابع للرسول ﷺ وأمه فاطمة التي تزوجت برجل من بني كلاب ورزقت منه بولدين: زهرة وقصي. وقد توفّي أبوه فربّاه زوجُ أمّه ربيعة، إلا أنّ خلافاً وقع بين قصيّ وقوم ربيعة، أدى إلى طرده من قبيلتهم، ولكن أمّه تمكّنت من إرجاعه إلى مكة، فعاش فيها متفوقاً في أعماله ومراكزه، فشغل المناصب الرفيعة، مثل حكومة مكة، وزعامة قريش، وسدانة الكعبة المعظمة، فأصبح رئيس تلك الديار دون منازع. ومن أهمّ أعماله:

أ: تشجيع الناس على البناء حول الكعبة.

ب: تأسيس مجلس شورى يجتمع فيه رؤساء القبائل في حل مشكلاتهم، وهو دار الندوة.

وأما من الأولاد فقد ترك: عبد الدار وعبد مناف.

٣. عبد مناف: هو الجد الثالث للنبي الأكرم ﷺ وأسمه: «المغيرة»، ولقبه قمر البطحاء. ومع أنه كان أصغر من أخيه، إلا أنهحظي بمكانة خاصة عند الناس، فقد اتخذ التقوى شعاراً، ودعا إلى حسن السيرة وصلة الرحم، ولكن الزعامة والقيادة كانت لأنّيه عبد الدار، حسب وصية أبيهما. إلا أنّ الوضع تبدّل بعد وفاتهما، فقد وقع الخصام والتنازع بين أبنائهما على المناصب، فانتهى الأمر إلى اقتسامها بينهم، حيث تقرر أن يتولّ أبناء عبد الدار سدانة الكعبة وزعامة دار الندوة، ويتوّلى أبناء عبد مناف سقاية الحجيج وضيافتهم ووفادتهم.

٤. هاشم: وهو الجد الثاني للرسول الأعظم ﷺ وأسمه: عمرو و لقبه العلاء، ولد مع عبد شمس توأمًا له، وله أخوان آخران هما: المطلب ونوفل.

ومن الأمور المميزة لأبناء عبد مناف، إِنَّهُمْ تُوفَّوا في مناطق مختلفة، فهاشم تُوفَّى في غرَّة، وعبد شمس في مكَّة، ونَوْفَلُ في العراق، والمطلب في اليمن.

كان يدعو الناس إلى الترحيب بضيوف الله وزواره وتكريمهما بمال والحلال في غرَّة كل شهر ذي الحجَّة: «وَأَسَأْلُكُمْ بحرمة هذا البيت ألا يخرج رجلٌ منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم إلَّا طيباً لم يؤخذ ظلماً، ولم يقطع فيه رحم، ولم يؤخذ غصباً».<sup>١</sup>

ومن أهم آثاره: أن زعامته لمكَّة كانت لنفعه أهلها وتحسين أوضاعهم، فقد ساهم كرمُه في عدم انتشار القحط والجدب، كما أنه حسن من الحالة الاقتصادية في البلاد عندما عقد معااهدة مع أمير الغساسنة، مما دفع أخيه عبد شمس إلى أن يعاهد أمير الحبشة، وأخويه نوبل والمطلب أيضاً أن يعقدا معااهدات مع أمير اليمن وملك فارس، وذلك لتجنب الأخطار وتأمين الطرق وسير القوافل التجارية. وقد عُرِفَ عنه أنه المؤسس لرحلتي الشتاء والصيف إلى الشام واليمن.

إلا أن كل تلك الإسهامات من جانب هاشم، كانت دافعاً إلى أن يحسده أمية بن عبد شمس ابن أخيه، وذلك لما حظي به من مكانة وعظمَة وتقرب إلى قلوب الناس، الأمر الذي أجبرهم على الحضور عند كاهن من كهنة العرب، فقضى هاشم بالغلبة، فأخذ منه الإبل وأخرج أمية إلى الشام نافياً لمدة عشرة سنين، حسب الشروط التي تمت بينهما. وتبين هذه القصة جذور العداء بينبني هاشم وبني أمية من ناحية، وعلاقات الأمويين بالشام وارتباطهم بها حين اتخذوها عاصمة لدولتهم بعد ذلك من ناحية أخرى.

ومن أشهر أولاده: شيءة، الذي عُرِفَ بـ«عبد المطلب» لأنَّه تربى وترعرع في

١. السيرة الحلبية: ٦/١.

حجر عمّه المطلب، حيث كان العرب يسمون من ترعرع في حجر أحد، وينشأ تحت رعايته، عبداً لذلك الشخص.

٥. عبد المطلب: وهو الجد الأول للنبي العظيم ﷺ ورئيس قريش وزعيمها. وأودعت يد المشيّة الربانية بين حنايا شخصيته نور النبي الأكرم ﷺ ولذا كان إنساناً طاهراً السلوك، نقىًّا الجيب، منزّهاً عن أيّ نوع من أنواع الانحطاط والفساد، وأحد المعدودين الذين كانوا يؤمّنون بالله واليوم الآخر.

وقد اشتهر موقفه الإيجابي في عام الفيل، حينما أمر جماعته بالخروج من مكة إلى الجبال والشعاب، ونزل إلى الكعبة يدعوا الله ويستنصره على أبرهة وجنوده مناجياً: «اللَّهُمَّ أَنْتَ أَنِيْسُ الْمُسْتَوْحَشِينَ، لَا وَحْشَةَ مَعَكَ، فَالْبَيْتُ بِيْتُكَ وَالْحَرْمُ حَرْمُكَ وَالْدَّارُ دَارُكَ، وَنَحْنُ جِرَانُكَ، تَمَّعْ عَنْهِ مَا تَشَاءُ، وَرَبُّ الدَّارِ أَوْلَى بِالْدَّارِ».

وفي الصباح خرجت أسرابٌ من الطيور من جهة البحر يحمل كل واحد منها ثلاثة أحجار، حجر في منقاره، وحجر في كل من رجليه وحلقت فوق رؤوس الجندي، ورجتمهم بالأحجار بأمر من الله محطمة رؤوسهم ومزقة لحومهم، وقد أصاب حجر منها رأس أبرهة القائد، فأمر جنوده بالتراجع والعودة إلى اليمن، إلا أنّهم أهللوا في الطريق، حتى أبرهه نفسه مات قبل وصوله صنعاء.<sup>١</sup>

وقد نتج من هذه العملية، أن تحطم جيش أبرهة، وانهزم أعداء قريش، وعظم شأن المكيّن، وشأن الكعبة المشرفة في نظر العرب وغيرهم، فلم يجرأ أحد بعد ذلك على غزو مكة، أو الإغارة على قريش، أو التطاول على الكعبة. كما أنها من جانب آخر، أحدثت في نفوس القرشيين حالات جديدة خاصة، فقد زادت من غرورهم وعنجهيتهم واعتزازهم بعنصرهم، فقرروا تحديد شؤون الآخرين

<sup>١</sup>. السيرة الحلبية: ٤٣ / ١؛ الكامل في التاريخ: ٢٦٠ / ١؛ بحار الأنوار: ٥ / ١٣٠.

والتكليل من وزنهم، على أساس أنّهم فقط الطبقة الممتازة من العرب. كما دفعتهم إلى التصور بأنّهم موضع عناية الأصنام (الـ ٣٦٠) إذ أنّهم فقط الذين تحبّهم تلك الأصنام وتحميّهم وتدافّع عنهم !!

وقد دفعهم كلّ ذلك إلى التهادي في لهوهم ولعبهم، والتّوسيع في ممارسة الترف واللذات، وإظهار الولع بشرب الخمر، حتى أنّهم مدّوا موائد الخمر في فناء الكعبة، وأقاموا مجالس أنسهم إلى جانب تلك الأصنام، متّصوريين أنّ حياتهم الجميلة هذه هي من بركة تلك الأصنام والأوثان !!

كما أنّ هذه الحالة جعلت قريش تقوم بإلغاء أي احترام وتقدير للغير فقالوا: إنّ جميع العرب محتاجون إلى معبدنا، فقد رأى العرب عامّةً كيف اعتنّى بنا آلهة الكعبة خاصةً، وكيف حمّتنا من الأعداء.

ومن ذلك بدأت قريش تضيق على كلّ من يدخل مكة للحجّ أو الحجّ، وتعاملهم بخشونة وأسلوب ديكتاتوري، وفرضت عليهم لا يصطحب أحد منهم طعاماً معه من خارج الحرم ولا يأكل منه، بل عليه أن يقتني من طعام أهل الحرم ويأكل منه، وأن يلبس عند الطواف بالبيت من ثياب أهل مكة التقليدية القومية، أو يطوف عرياناً بالكعبة إذا لم يكن في مقدوره شراؤها. ومن رفض الخضوع للأمر من رؤساء القبائل وزعمائهم، كان عليه أن ينزع ثيابه بعد الانتهاء من الطواف ويلقيها جانباً، دون أن يكون لأحد الحقّ في مسّها حتى صاحبها.<sup>١</sup>

أما النساء فكان عليهن إذا أردن الطواف أن يطفّن عراة، ويضعن خرقة على رؤوسهن. كما أنّه لم يكن لأي يهودي أو مسيحي أن يدخل مكة، إلا أن يكون أجيراً للكي، وعليه لا يتحدث في شيء من أمر دينه وكتابه.

١. كانت تسمى عندهم «اللقى».

بالإضافة إلى ذلك، فإنهم أنفوا منذ ذلك اليوم أن يأتوا بمناسك عرفة، كما يفعل بقية الناس، حيث تركوا الوقوف بها والإفاضة منها، بالرغم من أن آباءهم - من ولد إسماعيل - كانوا يقرّون أنها من المشاعر والحج.<sup>١</sup>

إن كل ذلك الانفلات الأخلاقي والترف والانحراف، قد هيأ الأرضية وأعدها لظهور مصلح عالمي.

أما بالنسبة لابن عبد المطلب، عبد الله، فقد سعى إلى أن يزوجه، فاختار له: «آمنة بنت وهب بن عبد مناف» التي عُرِفت بالعفة والطهر والنجابة والكمال. كما اختار لنفسه «دلالة» ابنة عم آمنة، فرزق منها حمزة، عمّ الرسول ﷺ الذي كان في نفس عمر النبي ﷺ<sup>٢</sup> وقد تم حفل الزفاف في منزل السيدة آمنة طبقاً لما كان عليه المتعارف في قريش، ثم بقي «عبد الله» مع زوجته رديحاً من الزمن حتى سافر في تجارة إلى الشام، وتوفي في أثناء الطريق.

ويرتبط بموضوع أسلاف النبي ﷺ، طهارته ﷺ من دنس الآباء وعهر الأمهات، إذ لم يكن في أجداده وجذاته، سفاح وزنا، وهو ما اتفق عليه المسلمين، وصرّح به الرسول ﷺ في أحاديث رواها السنة والشيعة. فقد جاء عنه ﷺ أنه قال: «نُقلْتُ من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة نكاحًا لا سفاحًا».<sup>٣</sup>

وقال الإمام علي عليه السلام: «أشهد أنَّ مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه وسيدُ عبادِه كُلُّهَا نسخَ اللهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَينَ، جعلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يَسْهِمْ فِيهِ عَاهَرٌ وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ».<sup>٤</sup>

١. الكامل في التاريخ: ٢٦٦/١.

٢. تاريخ الطبرى: ٢/٧ وهو يذكر أنه «هاله».

٣. كنز الفوائد: ١٦٤/١.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ٢١٥، شرح محمد عبده.

كما ذكر الإمام الصادق عليه السلام ذلك مفسراً الآية: «وَتَعْلَمُكُمْ فِي السَّاجِدِينَ»  
: «أي في أصلاب النبيين، نبي بعدنبي، حتى أخرجه من صلب أبيه عن نكاحٍ  
غير سفاح من لدن آدم».١

---

١. تفسير مجمع البيان.

الفصل الثاني

الرسول الأكرم

محمد بن عبد الله ﷺ

- مولده
- فترة طفولته
- فترة شبابه
- فترة عمله
- زواجه
- أولاده



## ١. مولده ﷺ

ولد النبي ﷺ في عام الفيل (٥٧٠ م) باتفاق كتاب السيرة، ورحل عن الدنيا في (٦٣٢ م) عن ٦٢ أو ٦٣ عاماً، كما اتفقا على أنه ولد في شهر ربيع الأول، يوم الجمعة السابعة عشر منه، عند الشيعة، أما السنة فقد عينوا يوم الإثنين الثاني عشر من الشهر نفسه.<sup>١</sup>

ولما كان الشيعة ينقلون أخبار أهل البيت عنهم، فلا بد من الإقرار بأنّ ما ينقله هؤلاء ويكتبونه من تفاصيل تتعلق بحياة الرسول ﷺ هي أقرب من غيرها إلى الحقيقة، لأنّها مأخوذة عن أقربائه وأبنائه.

وقد حلت به أمّه «السيدة آمنة بنت وهب» في أيام التشريق من شهر رجب، فإذا اعتبرنا يوم ولادته، ١٧ من ربيع الأول، تكون مدّة حملها به ثانية أشهر وأياماً.

وقد وقعت يوم ولادته أحداث عجيبة، فقد ولد مختوناً مقطوع السرة، وهو

---

١. إمتناع الأسماع: ص ٣، وقد ذكر جميع الأقوال التي وردت في ميلاد النبي ﷺ.

يقول: «الله أكبر والحمد لله كثيراً، سبحان الله بكرة وأصيلاً»<sup>١</sup>. كما تساقطت الأصنام في الكعبة على وجوهها، وخرج نورٌ معه أضاء مساحة واسعة من الجزيرة العربية، وانكسر إيوان كسرى، وسقطت أربعة عشر شرفة منه، وانحامت نار فارس التي كانت تعبد، وجفت بحيرة ساوية.

وهدفت هذه الأحداث الخارقة والمعجيبة إلى أمرتين مؤثرين:

١. فهي تدفع الجبابرة والوثنيين إلى التفكير فيما هم فيه من أحوال، فيتساءلون عن الأسباب التي دعت إلى كل ذلك لعلهم يعقلون. إذ أن تلك الأحداث كانت في الواقع تبشر بعصر جديد هو عصر انتهاء الوثنية وزوال مظاهر السلطة الشيطانية واندحارها.

٢. ومن جهة أخرى، تبرهن على الشأن العظيم للوليد الجديد، على أنه ليس عادياً، بل هو كغيره من الأنبياء العظام الذين رافقوا ولادتهم أمثال تلك الحوادث العجيبة والواقع الغريبة.

وفي اليوم السابع لولده المبارك، عق عبد المطلب عنه بَكَشَ بكش شكرأ الله تعالى، واحتفل به مع عامة قريش.

وقال عن تسميته النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وعن سببه: أردت أن يُحمد في السماء والأرض<sup>٢</sup>. وكانت أمّه عَلَيْهِ السَّلَامُ قد سمتها أمحمد قبل أن يسمّيه جده<sup>٣</sup>. وكان هذا الاسم نادراً بين العرب فلم يسم به منهم سوى ١٦ شخصاً، ولذا فإنّه كان من إحدى العلامات الخاصة به.

١. تاريخ اليعقوبي: ٥/٢؛ بحار الأنوار: ١٥/٢٤٨؛ السيرة الخلبية: ١/٦٧.

٢. السيرة الخلبية: ١/٧٨.

٣. السيرة الخلبية: ١/٨٢.

أمّا عن رضاعته ﷺ فقد ارتفع من أمّه ثلاثة أيام ثمّ أرضعه امرأتان هما:  
 - ثوبية: مولدة أبي هب، إذ أرضعه لمدة أربعة أشهر فقط، وقد قدر  
 النبي ﷺ وزوجته خديجة ظاهراً هذا العمل لها حتى آخر حياتها، فأكرّمها وأراد أن  
 يعتقها فأبى أبو هب، وكان يبعث إليها بالصلة حتّى وفاتها.  
 كما أتّها أرضع من قبل حزرة، وأبا سلمة بن عبد الله المخزومي، فكانوا  
 إخوة في الرضاعة.

- حلّيمة السعدية، بنت أبي ذؤيب. وكان لها من الأولاد: عبد الله ، أنسية،  
 شيئاً. وقامت «شياء» بحضانة النبي ﷺ أيضاً.

وقد استلمت حلّيمة السعديةُ النبي ﷺ في عمر لم يتجاوز أربعة أشهر، في  
 عام قحط وجدب، فأصابها الرخاء وازدهرت حياتها بعد ذلك. ومن المعروف أنّ  
 النبي ﷺ لم يقبل في ذلك الزمان أي ثدي من المرضعات إلا ثدي حلّيمة.<sup>١</sup>

وفي هذه المناسبة، أود القول والتنذير، أنه ينبغي أن يحتفل المسلمين جمِيعاً  
 بمولد النبي ﷺ بإقامة المهرجانات الكبرى والاحتفالات، تكريماً له ﷺ، فهو أمر  
 مطلوب ومحبب في الشريعة المقدسة لقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ  
 وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>٢</sup>. وعزّر بمعنى كرم وبجل.  
 فالاحتفال بمولده ﷺ يعني ذكر أخلاقه العظيمة، وسجايّاته النبيلة،  
 والإشادة بشرفه وفضله، وهي أمور مدحه بها القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ  
 عَظِيمٍ﴾<sup>٣</sup> ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾<sup>٤</sup>.

١. البخاري: ١٥٧.

٢. الأعراف: ٣٤٢.

٣. القلم: ٤.

٤. الإسراء: ٤.

فالاحتفال بموالده الكريم هو احتفال بالقيم السامية، وشكراً لله على منه، وإظهار للحب الكامن في النفوس له، وتكريم لمن كرمه الله تعالى وأمر بتكريمه واحترامه وحبه وموذته. وهو رد على من يزعم بأن ذلك محرم لكونه بدعة، لا يخلو من منكرات ومحرمات كالرقص والغناء. فالMuslimون درجوا في العصور الإسلامية الأولى على الاحتفال بذكرى مولده ﷺ بانشاد القصائد الرائعة في مدحه، وذكر خصاله ومكارات أخلاقه وإظهار السرور والفرح، والشكر لله تعالى بلطفه وتفضله به ﷺ على البشرية.<sup>١</sup>

ولذا كان لابد من أداء هذا الاحتفال في كل وقت وزمان، في حياته وبعد

مماته ﷺ.

## ٢. فترة طفولته ﷺ

استقر النبي ﷺ في قبيلة «بني سعد» خمسة أعوام زارتة أمّه خلامها ثلاثة مرات، وقامت حليمة برعایة شؤونه خير قيام، وبالغت في كفالته والعناية به، كما حافظ فيها ﷺ على فصاحته وبلغته، وعندما رجع إلى أمّه ظاهرًا فكرت بزيارة المدينة وقبر زوجها عبد الله، ورفاقتهم «أم أيمن» حيث أمضوا هناك شهراً، رأى فيه النبي ﷺ بيت أبيه الذي توفي فيه ودفن. إلا أن أمّه العزيزة توفيت أيضاً في الطريق إلى مكة بمنطقة الأبواء<sup>٢</sup> مما دفع الجميع إلى إظهار المحبة له والعناية به، خاصةً جده «عبد المطلب» الذي أحبه أكثر من أولاده.

٤. للتوسيع في هذا الموضوع، يرجع إلى: معالم التوحيد في القرآن الكريم.

٢. السيرة الحلبية: ١/١٠٥.

وربما كان يُتم النبي ﷺ في صالحه، فقد أراد الله تعالى منه أن يهبه لمواجهة المستقبل بشدائده ومصاعبه، أو أراد ألا يكون في عنقه طاعة لأحد، فنشأ حراً من كلّ قيد، يصنع نفسه بنفسه، ولি�تضح أنّ نبوغه ليس نبوغاً بشرياً عادياً ومالوفاً، وأنّه لم يكن لوالديه أيّ دخل فيه وفي مصيره، فتكون بالتالي عظمته الظاهرة نابعة من مصدر الوحي وليس من العوامل العادبة المتعارفة.

وقد فاجأت الحياة نفس النبي ﷺ الحزينة بوفاة جدّه العظيم «عبد المطلب» وهو في الثامنة من عمره، فبكى عليه ﷺ كثيراً وظللت دموعه تجري حتى وُرِي في لحده.<sup>١</sup>

### كفالة أبي طالب

كان أبو طالب أخاً لوالد النبي ﷺ من أم واحدة، وقد تقبل كفالة النبي ﷺ وتحمّل المسؤولية بفخر واعتزاز.

وفي العاشرة من عمره، شارك النبي ﷺ عمه في إحدى الحروب التي وقعت في الأشهر الحرم فسميت بحرب الفجّار، إلا أنّ «اليعقوبي» ينفي في تاريخه اشتراك النبي ﷺ وأبي طالب فيها.<sup>٢</sup>

ورافق عمه في سفره إلى الشام وهو في ربيعه الثاني عشر، شاهد فيها «مدین، ووادي القرى، وديار ثمود»، واطّلع على مشاهد الشام وطبيعتها الجميلة. إلا أنّ

١. تاريخ اليعقوبي: ١٠ / ٢: حول سيرة عبد المطلب، أنه كان موحداً لاوثنياً، وإن الإسلام قد أخذ الكثير من سنته.

٢. تاريخ اليعقوبي: ١٥ / ٢.

أحداث «بصري» غيرت برنامج رحلة أبي طالب، ودفعته إلى العودة إلى مكة، وهي الأحداث المرتبطة بمقابلة الراهب «بحيرا» بالنبي ﷺ وما تنبأ عنه بقوله: «إنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، نجده في كتابنا وما روينا عن آبائنا، هذا سيدي العالمين، هذا رسول رب العالمين يبعثه رحمةً للعالمين. احذر عليه اليهود لئن رأوه وعرفوا ما أعرف ليقصدون قتيله».<sup>١</sup>

أما ما قيل عن تلك المقابلة من آراء متطرفة، وبأنّ الراهب بحيرا عُلم النبي ﷺ أمور دينه التي درسها من كتب الإنجيل والتوراة، فهو فرية المستشرقين والكارهين للإسلام، إذ أنّ النبي ﷺ لم يمكث هناك أكثر من أربعة أشهر هي فترة رحلة الشام عند العرب، ثم إذا كان هذا الراهب يمتلك هذه الكمية من المعلومات الدينية والعلمية التي عرضها الرسول ﷺ فلماذا لم يقم هو بنشرها، فيأخذ شهرته منها؟ ثم لماذا اختار محمدًا ﷺ دون غيره ليعرض عليه تلك المعلومات بالرغم من توافد القبائل عليه دوماً؟

إن الآيات القرآنية تصرّح بأنّ الأخبار الغيبية وصلت إلى النبي ﷺ عن طريق الوحي فقط، فلم يكن على علمٍ بها مطلقاً. كما أنّ كتب التوراة والإنجيل لا تذكر أموراً طيبة عن الأنبياء، في حين أنّ القرآن الكريم يجلّهم ويعظمهم ويكرّمهم، على عكس ما جاء عنهم في كتب هؤلاء.

ولذا لم يعقل أن يقتبس القرآن الكريم من تلك الكتب وبينهما بعد المشرقيين. كما أنّ النبي ﷺ لم يشرح تلك القصص والقضايا للناس قبل الوحي والرسالة: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوَّتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَيْثَ فِيْكُمْ عُمُراً مِنْ

١. تاريخ الطبرى: ٢/٣٢؛ السيرة الحلبية: ١/١٨٠.

**قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ .**

فالآية تؤكد على أنّ النبّي ﷺ لبث في قومه فتررة طويلة لم يتلو فيها سورة من القرآن ولا آية من آياته، فكلّ ما أخبر به هو مما أوحى به الله تعالى إليه بعد أن بعثه بالرسالة.<sup>٢</sup>

### ٣. فتررة شبابه

كانت آثار الشجاعة والقوة باديةً على جبينه ﷺ منذ طفولته وصباه، ففي الخامسة عشرة من عمره قيل أنّه شارك في حرب الفجّار بين قريش وهازن، وهي حرب الفجّار الرابعة التي استمرّت أربع سنوات، كان يناول فيها أعداءه النبال. وتكتشف مشاركته في تلك العمليات العسكرية وهو في تلك السن، عن شجاعته وقدرته الروحية الكبرى، ولهذا كان المسلمين – فيما بعد – يحتمون بالنبي ﷺ عند اشتداد المعركة.

وفي مقابل هذا روى المؤرخ اليعقوبي (المتوفّ ٢٩٠ هـ) في تاريخه:

وقد روي أنّ أبا طالب منع أن يكون فيها أحدٌ منبني هاشم. وقال هذا ظلم وعدوان وقطيعة واستحلال للشهر الحرام ولا أحضره ولا أحدٌ من أهلي. فأخرج الزبير بن عبد المطلب متكرهاً وقال عبد الله بن جدعان التيمي وحرب ابن أمية: لا نحضر أمراً تغيب عنه بنوهاشم فخرج الزبير.<sup>٣</sup>

١. يونس: ١٦.

٢. للتوسيع في الموضوع، راجع مفاهيم القرآن للشيخ جعفر السبحاني: ٣ / ٢٢١.

٣. تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٢، طبع النجف.

كما أنّ النبي ﷺ كان أحد المشاركين في حلف الفضول، الذي اعتبر ميثاقاً بين الجرheimين يهدف إلى الدفاع عن حقوق الضعفاء والمظلومين. وقد أسسه جماعة اشتُقّت أسماؤهم جميعاً من لفظة «الفضول»، مثل: فضل بن فضالة، وفضل بن الحارث، وفضل بن وداعة. وقد نقلت عبارات كثيرة عن النبي ﷺ أشاد فيها بالحلف، واعتز بمشاركته فيه: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجتب».

كما أشاد به الإمام الحسين ع أياضاً، فضرب به المثل فيأخذ الحق وردّه لاصحابه، مثلاً طلب هو حقه من «الوليد بن عتبة» أمير المدينة.

#### ٤. فترة عمله

أمضى الرسول ﷺ شطراً من حياته قبلبعثة، في رعي الغنم في الصحاري، لعله ليصبح بذلك صبوراً في تربية الناس الذين سيُكلّف بقيادتهم وهذا يتطلب، ويستسهل كلّ صعب في هذا المجال. إذ كان لا بدّ أن يتسلّح بسلاح الصبر، ويتجهز بأدلة التحمل، ويترؤّد بقدرة الاستقامة على طريق الهدف، وذلك حتى يمكنه إدارة البشر في المستقبل. إذ أن ذلك لا يكون إلا بتعويذ النفس على هذه الصفات وحملها على مشاق الإعمال. كما أنّ عمله في الصحراء والجبال، ساعده في التخلص بعض الشيء من آلامه الروحية الناشئة من رؤية الأوضاع المزرية والأحوال المشينة التي كان عليها أهل مكة وما كانوا فيه من عادات سيئة وظلم وانحراف وطغيان. كما أنّ عمله في تلك البقاع، أعطاه فرصة طيبة للنظر في خلق السموات والتطلع في النجوم والكواكب وأحوالها، ثم الإيمان في الآيات

الدالة على وجود الله سبحانه و تعالى، وقدرته و حكمته و علمه و إرادته.

فبالرغم من أن قلوب الأنبياء تكون منورة بمصابيح المعرفة، ومضاءة بأنوار الإيمان والتوحيد، إلا أنهم لا يرون أنفسهم في غنى عن النظر في عالم الخلق والتفكير في الآيات الإلهية، إذ أنه من خلال هذا الطريق يصلون إلى أعلى مراتب الإيمان، ويبلغون أسمى درجات اليقين، وبالتالي يتمكّنون من الوقوف على ملوك السموات والأرضين.

وبعد هذا العمل الصحراوي الجبلي، تعاطى ﷺ العمل التجاري، باقتراح من عمه أبي طالب، الذي أرشده بالتوجه للعمل في تجارة السيدة «خديجة بنت خويلد» التي كانت تعمل بالتجارة الواسعة، فأصبحت غنيةً ذات مال كثير وذات شرف عظيم، استخدمت الرجال في إدارة أعمالها الكثيرة. فقال أبو طالب للنبي ﷺ: «يابن أخي، هذه خديجة بنت خويلد قد انتفع بها أكثر الناس، وهي تبحث عن رجل أمين، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعك إليك، وفضلتكم على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتكم».

إلا أن إباء الرسول ﷺ وعلو طبعه منعاه من الإقدام بنفسه على ذلك فرد عليه: «فلعلّها أن ترسل إلي في ذلك» لأنها تعرف أنه المعروف بالأمين بين الناس. وقد حدث ما أراده النبي ﷺ فقد بعثت إليه قائلة: «إنّ دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك، وأبعث معك غلامين يأتمنان بأمرك في السفر».<sup>١</sup> ولما علم عمه أبو طالب بذلك قال له: «إنّ هذا رزق ساقه الله إليك».

١. البخاري: ٢٢؛ السيرة الحلبية: ١/ ١٣٢؛ الكامل في التاريخ: ٢/ ٢٤.

وهكذا تم الاتفاق على أن يقوم النبي ﷺ بالعمل في أموالها وتجارتها على نحو المضاربة لا الإجارة، فقد ذكر «اليعقوبي»: إن النبي ﷺ ما كان أجيراً لأحد قط.<sup>١</sup>

ولذا فإن النبي ﷺ حصل على أرباح وفيرة من أول تجارتة إلى الشام. ولما مر في الطريق على ديار عاد وثمود، تذكر سفره الأول مع عمّه إلى تلك المناطق. وعند وصولهم إلى مكة، قال «ميسرة» غلام السيدة خديجة: يا محمد لقد ربحنا في هذه السفرة ببركتك ما لم نر بربع في أربعين سنة، فاستقبل بخديجة وأبشرها بربحنا. فأسرع النبي ﷺ وسبق القافلة متوجهاً نحو بيت خديجة، التي استقبلته بحفاوة كبيرة، وسررت بحديثه وأخباره عن رحلته ومكاسبه التجارية. ثم إن «ميسرة» أخبرها بكل ما حدث وحصل لهم في السفر، منذ خروجهم ودخولهم إلى البلاد، وخاصةً ما جرى، بين النبي ﷺ وأحد التجار الذي جادله في البيع طالباً منه أن يخلف باللات والعزى، فرد عليه ﷺ: ماحلفت بهاً قط، وإنّي لأمُّ فأعرض عنها. كما أخبرها عن النبي ﷺ حينما استراح في ظلّ شجرة عندما كانوا في بصرى، فشاهدته راهب فقال: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلّانبي. ولما سأله عن اسمه من ميسرة فقال: هونبي وهو آخر الأنبياء، إنه هو هو ومتّل الإنجيل، وقد قرأت عنه بشائر كثيرة.<sup>٢</sup>

وقد سلم النبي ﷺ كل ما ربحه واستلمه من مال إلى عمّه أبي طالب، ليوسّع به على أهله، مما جعله فرحاً مسروراً بما قام به ابن أخيه تجاهه.

١. تاريخ اليعقوبي: ٢١ / ٢.

٢. البحار: ١٦ / ١٨؛ طبقات ابن سعد: ١ / ١٣٠.

## ٥. زواجه

في هذا الوقت، فكرت جدياً في أن يتّخذ شريكة لحياته ويكون أسرة، فكيف وقع اختياره على السيدة خديجة التي رفضت كل من تقدّم إليها من كبار الشخصيات القرشية، أمثال: عقبة بن أبي معيط، وأبي جهل، وأبي سفيان؟ وكيف أدى الارتباط بينهما والعلاقة العميقـة والألفـة والمحبة، إلى درجة أنها وهبت كل ثروتها للنبي ﷺ حتى ينفقها في نشر الإسلام؟

كانت السيدة خديجة من خيرة نساء قريش شرفاً وأقواهم عقلاً وأكثـرـهن فـهـماً، وقد قيل لها: سيدة قريش، وسميت الطاهرة لشدة عفافها، وذلك في أيام الجاهلية.

وحين رفضت الزواج من سادة القوم قبلت بسيد البشر لما عرفت عنه من كرم الأخلاق، وشرف النفس، والسجايا الكريمة، والصفات العالية. وهي المرأة الثرية التي وإن عاشت في الترف وأفضل العيش، إلا أنها أصبحت في بيت زوجها الرسول ﷺ الزوجة المطيعة الخاضعة الوفية المخلصـةـ، وسارعت إلى قبول دعوته واعتناق دينه بوعي وبصيرة، مع علمها بما ينطوي ذلك على مخاطر ومتاعب. ثم جعلت كل ثروتها وما لها في خدمة العقيدة والمبادئ، مشاطرة زوجها بذلك آلامه ومتاعبه ، وراضية بمرارة الحصار في شبـبـ أبي طالب ثلاث سنوات، وهي في سن الرابعة والستين.<sup>١</sup>

وقد بلغ من خصـوـعـهاـ للرسـولـ ﷺـ وـحـبـهاـ لـهـ،ـ أـنـهـاـ بـعـدـ أـنـ تـمـ الزـوـاجـ بـيـنـهـاـ قـالـتـ لـهـ:ـ إـلـىـ بـيـتـكـ،ـ فـبـيـتـيـ بـيـتـكـ وـأـنـاـ جـارـيـتـكـ.<sup>٢</sup>

١. شرح نهج البلاغة: ١٤/٥٩.

٢. بحار الأنوار: ٤/١٦.

ويؤكد المؤرخون أنها هي التي اقترحت على النبي ﷺ الزواج، وكما يعتقد أكثر المؤرخين، أن «نفيسة بنت عليّة» بلغت رسالتها إلى النبي ﷺ الذي تقبل عرضها، فأخبرت السيدة خديجة بذلك، فأرسلت بوكيلها «عمرو بن أسد» لتحديد ساعة مراسيم الخطبة في محضر الأقارب.<sup>١</sup>

فشاور النبي ﷺ أعمامه وعلى رأسهم «أبو طالب» الذي خطب في القوم يمدح النبي ﷺ ويطلب الزواج له من السيدة خديجة قائلاً: «وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، والصداق ما سألكم عاجله وأجله من مالي، ومحمد من قد عرفتم قرايته».

ثم أجرى عقد النكاح، ومهرها النبي ﷺ ٤٠٠ دينار، وقيل أصدقها عشرين بكرة.<sup>٢</sup>

وكان عمرها في هذا الوقت أربعين عاماً، إذ أنها ولدت قبل عام الفيل بخمسة عشر عاماً، كما جاء عنها أنها تزوجت قبل النبي ﷺ بـ٣٧ بـ٣٧ برجلين، أولهما: «عتيق ابن عائذ»، ثم بعده: «أبو هالة التميمي». وقد توفي كلُّ منها بعد زواجه منها.<sup>٣</sup>

وقد تميّزت السيدة خديجة من نساء النبي ﷺ بأنَّه لم يتزوج عليها مدة حياتها، وبلغت لديه مالم تبلغه امرأة قطٌّ من زوجاته.<sup>٤</sup> وما يدل على سموّ مقامها وعلوّ منزلتها، أنَّ أهل البيت ﷺ طالما افتخرروا بأنَّ خديجة منهم، وإنَّهم من خديجة، فكانوا يعتزون بها ويسيدون بمكانتها. فالسيدة خديجة عليهما السلام هي مثال الشرف والعقل، والحب العميق للرسول ﷺ والوفاء والإخلاص، والتضحية بالغالي

١. تاريخ الخميس: ٢٦٤ / ١.

٢. السيرة الحلبية: ١٣٩ / ١.

٤. السيرة الحلبية: ١٦٩ / ١.

٣. الاستغاثة: ٧٠ / ١.

والنفيس في سبيل الإسلام الحنيف، فهي أول من آمنت بالله ورسوله، وصدقـت محمداً ﷺ وأزرتـه، فكان لا يسمعـ من المشركـين شيئاً يكرهـهـ، منـ إـيـذـاءـ وـتكـذـيبـ، إـلـاـ وـفـرـجـ اللهـ عـنـهـ بـخـدـيـحـةـ التـيـ خـفـفـتـ عـنـهـ، بـلـطـفـهـاـ وـعـطـفـهـاـ وـعـنـاـيـتـهـاـ بـهـ فيـ غـاـيـةـ الـإـخـلـاـصـ وـالـوـدـ.<sup>١</sup>

لقد اكتسبـتـ السـيـدةـ خـدـيـحـةـ بـفـضـلـ إـيمـانـهاـ العـمـيقـ بـالـرـسـالـةـ الـمـحـمـدـيـةـ، وـتـفـانـيـهـاـ فـيـ سـيـيلـ الـإـسـلـامـ، وـحـرـصـهـاـ العـجـيبـ عـلـىـ حـيـاةـ صـاحـبـ الرـسـالـةـ، مـكـانـةـ سـامـيـةـ فـيـ إـلـاسـلـامـ، حـتـىـ أـنـ النـبـيـ ﷺ ذـكـرـهـ فـيـ أـحـادـيـشـ الـكـثـيرـةـ، وـأـشـادـ بـفـضـلـهـاـ وـمـكـانـتـهـاـ وـشـرـفـهـاـ، وـذـلـكـ لـإـلـفـاتـ نـظـرـ الـمـلـمـةـ إـلـىـ الـقـدـوـةـ الـتـيـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـقـتـدـيـ بـهـاـ فـيـ حـيـاتـهـاـ وـسـلـوكـهـاـ فـيـ جـمـيعـ الـمـجـالـاتـ وـالـحـالـاتـ، بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ مـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـقـدـمـهـ الـمـرـأـةــ وـهـيـ نـصـفـ الـمـجـتمـعــ مـنـ دـعـمـ جـدـيـيـ لـلـرـسـالـةـ، مـاـدـيـاـ كـانـ أـمـ مـعـنـوـيـاـ.

وـمـنـ أـشـهـرـ الـأـحـادـيـثـ الـتـيـ نـقـلـتـ عـنـ النـبـيـ ﷺ أـنـهـ قـالـ عـنـهـ: «أـتـانـيـ جـبـرـائـيـلـ ﷺ فـقـالـ يـاـ رـسـولـ اللـهـ، إـذـ أـتـكـ خـدـيـحـةـ فـاقـرـأـ عـلـيـهـاـ السـلـامـ مـنـ رـبـهـاـ وـمـنـيـ، وـبـشـرـهـاـ بـبـيـتـ فـيـ الـجـنـةـ مـنـ قـصـبـ لـاـ صـخـبـ فـيـهـ وـلـاـ نـصـبـ».<sup>٢</sup>

وـقـالـ عـنـهـاـ ﷺ: «لـاـ وـالـلـهـ مـاـ أـبـدـلـنـيـ اللـهـ خـيـراـ مـنـهـاـ، آمـنـتـ بـيـ إـذـ كـفـرـ النـاسـ، وـصـدـقـتـنـيـ إـذـ كـذـبـنـيـ النـاسـ، وـوـاسـتـنـيـ فـيـ مـاـلـهـاـ إـذـ حـرـمـنـيـ النـاسـ، وـرـزـقـنـيـ اللـهـ مـنـهـاـ أـلـاـدـاـ إـذـ حـرـمـنـيـ أـلـاـدـ النـسـاءـ».<sup>٣</sup>

كـماـ روـيـ أـنـسـ بـنـ مـالـكـ، أـنـ النـبـيـ ﷺ إـذـ أـتـيـ بـهـيـةـ قـالـ: «اـذـهـبـوـ بـهـاـ إـلـىـ

١. أعلام النساء: ٣٢٨/١.

٢. صحيح مسلم: ١٣٣/٧؛ مستدرك الحاكم: ١٨٤/٣.

٣. أسد الغابة: ٤٣٨/٥؛ صحيح مسلم: ١٣٤/٧؛ صحيح البخاري: ٣٩/٥.

بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخدیجہ، إنها كانت تحب خدیجہ».<sup>١</sup>

كما قال عنها الإمام علي عليه السلام: «كنت أول من أسلم، فمكثنا بذلك ثلاثة حجاج وما على الأرض خلق يصلّي ويشهد لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بآناه، غيري، وغير ابنته خويلد رحمها الله، وقد فعل». <sup>٢</sup>

وقد تحدث عنها أيضاً الكثير من الشخصيات الإسلامية المتقدمة والمتاخرة، فقد ذكر عنها «محمد بن إسحاق»: «إن خدیجہ بنت خویلد وأبا طالب، ماتا في عام واحد، فتابع على رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه هلاك خدیجہ وأبی طالب، وكانت خدیجہ وزيرة صدق على الإسلام، وكان رسول الله يسكن إليها». <sup>٣</sup>

ولكل ذلك، فإن وفاتها كانت من أعظم المصائب التي أحزنت الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه مما دفعه أن يسمى العام الذي توفي فيه ناصراه وحامياه ورفيقاً آلامه - زوجته خدیجہ، وعمه المؤمن الصامد أبو طالب - بعام الحداد أو عام الحزن . فينزل عند دفنهما في حضرتها، ويدخلها القبر بيده في الحجون، فيلزم بيته و يقل الخروج. <sup>٤</sup>

## ٦. أولاد الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه

لقد أنجبت خدیجہ لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه ستة من الأولاد، اثنين من الذكور، أكبرهما القاسم وعبدالله، وأربعة من الإناث. وذكر ابن هاشم، أن أكبر بناته: رقية ثم زينب ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة، وكلهن أدركتن الإسلام، أما الذكور فقد ماتوا

١. سفينة البحار: ١/٣٨٠.

٢. شرح نهج البلاغة: ١٤/٥٩.

٣. بحار الأنوار: ١٦/١٠.

٤. تاريخيعقوبي: ٢/٣٥؛ تاريخ الخميس: ١/٣٠١؛ السيرةالخلبية: ١/٣٤٦.

قبلبعثة.

### تبني النبي ﷺ لزيد بن حارثة

كان من سباء العرب من حدود الشام وبايعوه في أسواق مكة رقياً لأحد أقرباء السيدة خديجة ويدعى حكيم بن حزام. وقد أحبه النبي ﷺ لذكائه وطهره، فوهبته خديجة له، حينما تزوجت به ﷺ، إلا أن أباه حارثة الذي كان يبحث عنه لقيه عند النبي ﷺ فطلبه منه، الأمر الذي جعل النبي ﷺ يختره بين المقام معه ﷺ والرحيل إلى وطنه، فاختار المقام مع الرسول ﷺ الذي أخرجه إلى الحجر الأسود وأعْتَقَه ثم تبناه أمام الملاقاً: «يامن حضر اشهدوا أن زيداً ابني». <sup>١</sup>

---

١. الإصابة في تميز الصحابة: ١/٥٤٥؛ الكامل في التاريخ: ٢/٢٢٥.



### **الفصل الثالث**

## **البعثة النبوية**

- الحالة الدينية في الجزيرة العربية عند البعثة النبوية

- إيمان النبي ﷺ وأباوه وكفلاؤه قبل الإسلام

- الوحي

- المؤمنون بالنبي ﷺ والدين الإسلامي

- دعوة الأقربين

- الدعوة العامة

- الأساليب الفاشلة أمام نجاح الدعوة الجديدة



## ١. الحالة الدينية في الجزيرة العربية

إلى جانب عبادة الأصنام والأوثان، ظهرت جماعة من العرب، أنكروا عقائدها الباطلة، واستاءوا من دينها، كما كان اليهود يتوعّدون أهل الأصنام بالنبي قاتلين: ليخرجن نبي فليكسن أصنامكم. وجاء أيضاً أنّ الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب، قد تحدّثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه. وظهر كذلك من انتقد عبادتهم من فئة العقلاة وأصحاب الفكر الثاقب، فكان ذلك بمثابة جرس إنذار باقتراب سقوط دولة الوثنين وانقراضها واشتهر من هؤلاء بين العرب أربعة:

١. ورقة بن نوفل، الذي اختار النصرانية.
٢. عبيد الله بن جحش، الذي أسلم عند ظهور الإسلام.
٣. عثمان بن الحويرث، الذي تنصّر عند ملك الروم.
٤. زيد بن عمرو بن نفيل، الذي قال: أعبد رب إبراهيم.<sup>١</sup>

---

١. السيرة النبوية: ٢٢٥ / ١.

## ٢. مكانة النبي ﷺ عند قريش

حينما كان ﷺ في عمر ٣٥ عاماً واجه اختلافاً كبيراً بين قريش، تمكن بحكمته من إزالة ذلك التخاصم، مما كشف عن مدى الاحترام الذي حظا به عند قريش. فعندما هدمت الكعبة بسبب سيل عظيم، قام القوم بإعادة بنائها، إلا أنهم اختلفوا في وضع الحجر الأسود في مكانه، فتنازع زعماء قريش فيما يتولى وضعه، مما أخر عملية البناء مدة خمسة أيام، وكادت أن تنشب فيما بينهم بسببه حرب دامية، وربما طويلة، حتى قام فيهم شيخ منهم وقال: يا معاشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه. فقللوا رأيه فكان أول دخل عليهم محمد رسول الله ﷺ فقالوا: هذا محمد الأمين، رضينا، هذا محمد. فقال ﷺ: هلم إلى ثوبًا فأخذ الحجر ووضعه فيه وقال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً. ثم وضعه ﷺ بيده في مكانه.<sup>١</sup>

## ٣. إثبات النبي ﷺ وآبائه وكفلاه قبل الإسلام

تدل الدلائل التاريخية والعقلية والمنطقية، على أن النبي الأكرم ﷺ لم يعبد غير الله منذ ولد حتى رحل إلى ربّه، وكذلك ما كان عليه آباؤه وكفلاه.

فجده عبد المطلب، طلب من الله وهو في الكعبة أن يرد هجوم أبرهة ويهزم جيشه، فقد كان الموحد الذي لا يلتتجئ في المصائب والمكاره إلى غير كهف الله. كما أنه كان يستسقي بالتوسل إلى الله تعالى. وقد اعترف المؤرخون بذلك، فقد ذكر

١. السيرة النبوية: ١٩٢ / ١؛ فروع الكافي: ٤ / ٢١٧.

اليعقوبي: «ورفض عبد المطلب عبادة الأوثان والأصنام، ووحد الله عزوجل، ووف بالنذر، وسن سنناً نزل القرآن بأكثراها، وجاءت السنة الشريفة من رسول الله ﷺ بها، وهي الوفاء بالنذر، ومائة من الإبل في الديمة، وألا تنكر حذف محرم، ولا تؤتى البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل المؤودة، وتحريم الخمر، وتحريم الزنا والحد عليه، والقرعة، وألا يطوف أحد باليت عرياناً، وتحريم الضيف، وألا ينفقوا إذا حجّوا إلّا من طيب أموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفي ذات الرأيات». <sup>١</sup>

كل ذلك يؤكّد تماماً توحيده وإيمانه بالله واعترافه برسالة النبي ﷺ.

وكذلك كان عمّه أبو طالب، فله مواقف كثيرة بارزة قبلبعثة، تكشف عن عمق إيمانه وتوحيده، فقد اعتبر حامي الدين والمدافع عن المسلمين، آمن بالنبي ﷺ واعتبره في قمة الكمال الإنساني، بالإضافة إلى أنه أحلى من قلبه محلّ ابن والأخ، فكان يصحبه معه إلى المصلى، ويستسقي به، حيث كانت دعوته تُستجاب دون تأخير، كما اصطحبه معه في سفره إلى الشام، كما أنّ دفاعه عن النبي ﷺ لم يكن مادياً، فلم يقصد من وراء ذلك كسباً مادياً من مال وثروة، كما لم يهدف للحصول على جاه ومقام وإحراز مكانة اجتماعية مرموقة، لأنّه كان يمتلك في المجتمع أعلى المناصب، فقد كان رئيساً لملكة المكرّمة، بل إنّه فقد منصبه ومكانته بسبب موقفه الموالي للنبي ﷺ وعدم الاستجابة لقومه في تسليمه ﷺ لهم، مما استوجب سخط الزعماء عليه واستياءهم منه، وإظهار العداء له ولبني هاشم عامة.

١. تاريخ اليعقوبي: ٩/٢.

فالقول بأنّ تضحيّة أبي طالب في سبيل النبي ﷺ بالنفس والنفيس كان بداعٍ لعلاقة القربى والعصبية القبلية، تصور باطل، إذ أنّ ذلك كان بداعٍ لاعتقاده الراسخ برسول الله ﷺ الذي اعتبره مظهراً كاملاً للفضيلة والإنسانية، وأنّ دينه أفضل برنامج للسعادة. ولما كان يحب الحقيقة والكمال والحقّ، فقد كان من الطبيعي أن يدافع عن تلك الفضائل وينصرها بكل جهوده وقواه.<sup>١</sup>

كما أنّ هناك مواقف محددة تؤكّد المعنى السابق:

فقد أصدر تهديداً بمحاربة رجال قريش بالسلاح، إذا أقدموا على أي سوء نحو النبي ﷺ فقد حافظ على حياته ﷺ لفترة ٤٢ عاماً، ودافع عنه، وخاصةً في سنوات البعثة العشرة، فهو قد تولى مهمة كفالته والدفاع عنه والمحافظة على حياته بصدق وإخلاص، بالنفس والمال، وإيثاره على نفسه وأولاده والإنفاق عليه من ماله، منذ صغره ﷺ وحتى الخمسين من عمره. ولذا كان لفقدانه أكبرُ الأثر على سير الدعوة الإسلامية.

وهو ما دفع ابن أبي الحديد المعتزلي أن ينشد بيتين يوضح تضحيته هو وابنه

عليه السلام:

لما مثلُ الدين شخصاً وقاما	ولولا أبو طالب وابنه
وهذا يثيرب جسَّ الحِماماً <sup>٢</sup>	فذاك بمكة آوى وحامى
وي يمكن التعرّف على إيمانه وإخلاصه عن طريق أشعاره وخدماته القيمة	

١. وقد أشار إلى كل ذلك في قصائده وأشعاره. ونقل ابن هشام في سيرته: ٣٥٢ / ١٥، بيتاً من قصيده.

٢. شرح نهج البلاغة: ١٤ / ٨٤.

في السنوات العشر الأخيرة من عمره، فمن قصائد المطولة نختار البيتين التاليين:

ليعلم خيّارُ النَّاسِ أَنَّ مُحَمَّداً  
نبِيُّ كَمْوَسِيْ وَالْمَسِيحِ بْنِ مَرِيمٍ  
أَنَّى بِهِدِي مَثَلَّمَا أَتَيَابَهُ  
فَكُلَّ بِأَمْرِ اللهِ يَهْدِي وَيَعْصِمُ  
لَقَدْ كَانَ إِيمَانَهُ قَوِيًّا لِدَرْجَةِ أَنَّهُ رَضِيَ بِأَنَّ يَتَعَرَّضَ كُلُّ أَبْنَائِهِ لِخَطَرِ الْقَتْلِ  
وَالْأَغْتِيَالِ لِيَقِنِي مُحَمَّدٌ<sup>١</sup> دُونَ أَنْ يَمْسِهِ أَعْدَاؤُهُ بِأَيِّ سُوءٍ. كَمَا أَنَّهُ أَوْصَى أَوْلَادَهُ عِنْدِ  
وَفَاتِهِ قَائِلًا: أَوْصِيَكُمْ بِمُحَمَّدٍ خَيْرًا فَإِنَّهُ الْأَمِينُ فِي قُرِيشٍ، وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلِّ مَا  
أَوْصَيْكُمْ بِهِ. كُونُوا لَهُ وَلَاءً، وَلِخَزْبِهِ حَمَاءً، وَاللهُ لَا يَسْلِكُ أَحَدٌ مِنْكُمْ سَبِيلَهِ إِلَّا رَشَدًا،  
وَلَا يَأْخُذُ أَحَدٌ بِهِدِيَّهِ إِلَّا سُعدًا.<sup>٢</sup>

وبينما كفره البعض من علماء السنة، إلا أنّ منهم من حكموا بإسلامه وبإيمانه، مثل: «زياني دحلان» مفتى مكة (المتوفى ١٣٠٤ هـ)، وقد تماذى بعض منهم في توسيع دائرة الكفر فشملت آباء النبي ﷺ، وكان ذلك من آثار الحكومات الأموية والعباسية التي عملت بكل جهدها لتأكيد كفر أبي طالب والإعلام ضد إيمانه، لأنّه كان والد الإمام علي عليهما السلام الذي اجتهدت الأجهزة الإعلامية لتلك الحكومات في الخط من شأنه دوماً، وخاصة إن إسلامه مع أبيه كان يعد فضيلة بارزة من فضائله.

أَمَّا عُلَمَاءُ الشِّيَعَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَالْزِيَّدِيَّةِ فَقَدْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَبْرَزِ الْمُؤْمِنِينَ  
بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بِقَلْبٍ يَفِيضُ إِيمَانًا بِالْإِسْلَامِ وَإِخْلَاصَ اللهِ  
تَعَالَى وَحْدَةً لِلْمُسْلِمِينَ.<sup>٣</sup>

١. مجمع البيان: ٧/٣٧؛ الحجة: ٥٧؛ مستدرك الحاكم: ٣/٦٢٣.

٢. السيرة الخلبية: ١/٣٥.

٣. يوضح هذا الجانب جيداً صاحب موسوعة الغدير، العلامة الأميني.

وأما أقاربه وما قدّمه من أفعال وأقوال تؤكّد موقفه الإيجابي، فإنّ النبي ﷺ دفعه بنفسه. كما أن الإمام الحسين عليه السلام أجاب عندما سُئل عن إيمانه قال: «واعجبًا، إن الله تعالى نهى رسوله أن يقرّ مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد» من السابقات إلى الإسلام لم تزل تحت أبي طالب حتى مات. وقال عليهما السلام: «ألم تعلموا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبد الله وأبيه». <sup>٢</sup>

وقال الإمام الصادق عليهما السلام: «إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم الله أجراً مرتين، وكذلك أبو طالب». <sup>٢</sup>  
ومن المعروف، أنه للتعرف على عقيدة فردٍ ونمط تفكيره، ينبغي الاعتماد على:

- دراسة آثاره العلمية والأدبية وما تركه من أقوال وكلمات.
- وأسلوب عمله وتصرفاته في المجتمع.
- وآراء أقربائه ومعارفه حوله.

وكل تلك الجوانب أكدت إسلام أبي طالب، حامي الرسول العظيم ﷺ، فتسقط كل الأقوایل والأحاديث التي بثّها أعداؤه للحط من شأنه وإلصاق الكفر به.

وكذلك كان أبو النبي عليهما السلام عبد الله، فقد ذكر النبي عليهما السلام أنه انتقل في الأرحام المطهّرة مما يؤكّد طهارة أبيه وأمهاته من كلّ دنس وشرك.  
وقد أشار الشيخ المفيد إلى أن الإمامية تتفق على أن آباء رسول الله عليهما السلام من

٢. أصول الكافي: ١/٤٨.

لدن آدم إلى عبد الله بن عبد المطلب كانوا مؤمنين بالله وموحدين إيمانه، واحتجوا في ذلك بالقرآن والأخبار.

### النبي ﷺ قبل البعثة

تدل الشواهد التاريخية بالإضافة إلى البراهين العقلية، على أنّه ﷺ كان مؤمناً بالله وموحداً إيماناً قبل البعثة، فلم يعبد وثناناً قط، ولم يسجد لصنم أبداً. وقد أجمع المؤرخون على أنّه ﷺ كان يخلو بحراً أشهراً كلّ عام يعبد الله تعالى فيه، فقد ذكر الإمام علي عليه السلام: «ولقد كان يجاور في كل سنة بحراً، فأراه ولا يراه غيري».<sup>١</sup>

حتى وفاه جبرائيل عليه السلام بالرسالة في هذا المكان وفي تلك الحال، وقد صرّح بهذا أيضاً أصحاب الصدح الستة، وجاء في الأخبار أنّ الرسول ﷺ حجّ قبل البعثة عدّة حجّات، وكان يأتي بمناسكها على وجه صحيح بعيداً عن أعين قريش، فقال الإمام الصادق عليه السلام: «حجّ رسول الله عشر حجّات مستتراً في كلّها».<sup>٢</sup>

وكلّ تلك الواقع أصدق دليل على إيمانه وتوحيده، وهو النبي الخاتم والأفضل من جميع الأنبياء والمرسلين بنص القرآن الكريم. وجاء عن «العلامة المجلسي»، أنّه قد وردت أخبار كثيرة أنّه ﷺ كان يطوف ويعبد الله في حراء، ويرعى الآداب المنقوله من التسمية والتحميد عند الأكل وغيره، فكيف يمكن لله تعالى أن يهمل أفضلياته الأربعين سنة بغير عبادة<sup>٣</sup> والنبي ﷺ كان مؤمناً

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

٢. وسائل الشيعة: ٨٨/٨.

٣. بحار الأنوار: ١٨/٢٨٠.

موحّداً عابداً الله ساجداً قائماً بالفرايض العقلية والشرعية، مجتنباً عن المحرمات، عالماً بالكتاب ومؤمناً به إجمالاً، وراجياً لنزوله إليه، إلى أن بعثه الله لإنقاذ البشرية عن الجهل وسوقها إلى الكمال.

فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق وأكملهم خلقاً وخلقاً وعقلاً، وأنه كان يعمل حسب ما يُلهمه سواء كان مطابقاً لشرع ما قبله أم خالفاً، وأن هاديه وقاديه، منذ صباح إلى أن يُبعث هو نفس هاديه بعد البعثة.<sup>١</sup>

#### ٤. الوحي في غار حراء

ويقع جبل حراء في شمال مكة، ويستغرق الصعود إليه مدة نصف ساعة، ويتكون من قطع صخرية لا أثر للحياة فيها. أما الغار فيقع في شمال الجبل، وهو يحكي ذكريات رجل طالما تردد عليه وقضى الساعات والأيام والأشهر في رحابه، يتعبد الله ويتأمل في الكون وفي آثار قدرة الله وعظمته. إذ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يفكّر في أمرين، قبل أن يبلغ مقام النبوة:

١. ملوكوت السماوات والأرض، فيرى في ملامح كلّ من الكائنات نور الخالق العظيم وقدرته وعظمته، فتفتح عليه نوافذ من الغيب تحمل إلى قلبه وعقله النور الإلهي المقدس.

٢. المسؤولية الثقيلة التي ستوضع على كاهله، فكان يفكّر في فساد حياة المجتمع المكي، وكيفية رفع كل ذلك وإصلاحه.

وأمام الرسالة الإلهية إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد أمر الله تعالى جبرائيل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن ينزل على

١. للتوسيع في ذلك يراجع مفاهيم القرآن للمؤلف: ١٣٥ / ٥.

أمين قريش في الغار ويتلlo على مسامعه بضع آيات كبداية لكتاب المداية والسعادة، معلناً بذلك تتوبيه بالنبوة ونصبه لقان الرسالة، وطلب منه أن يقرأ، أو قال: يا محمد أقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال يا محمد ﴿أَقْرُأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ إِلَّا سَبَّابَ مِنْ عَلَقَ \* أَقْرُأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمَ \* الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنْ \* عَلَمَ إِلَّا سَبَّابَ مَا لَمْ يَعْلَمَ﴾<sup>١</sup> ثم أوحى إليه ربّه عزّ وجلّ ما أمره به ثم صعد إلى العلو ونزل محمد ﷺ من الجبل، وقد غشيه من تعظيم جلال الله وورد عليه من كبير شأنه ما ركب الحمى والنافض.

وقد أوضحت هذه الآيات برنامج النبي ﷺ وبيّنت بشكل واضح أن أساس الدين يقوم على القراءة والكتابة والعلم والمعرفة باستخدام القلم. ثم خاطبه الملك: «يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبرائيل».

وقد اضطرب الرسول ﷺ لهذين الحدفين، لعظم المسؤولية التي أقيمت على كاهله، فترك غار حراء متوجهاً إلى بيت السيدة خديجة ؑ، التي لاحظت الاضطراب والتعب على ملامحه فسألت عنه، فأجابها وحدثها بكل ما سمع وجرى، فعظمت خديجة ؑ أمره ودعت له وقالت: «أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً». ثم دثرته فنام بعض الشيء. ثم انطلقت إلى بيت ورقة تخبره بما سمعته من زوجها الكريم، فأجابها: إنّ ابن عمّك لصادق وإنّ هذا لبدء النبوة، وإنّ ليأتيه الناموس الأكبر - أي الرسالة والنبوة -.<sup>٢</sup>

وقد اختلفت قصص كثيرة عن تحوف النبي ﷺ وأضطرابه مما حدث له في

١. العلق: ٥-١.
٢. طبقات ابن سعد: ١/١٩٥.

الغار، ودست تلك الروايات في التاريخ والتفسير عن قصد وهدف أو دخلت فيها عن غير ذلك. فالنبي الكريم ﷺ كانت روحه مهيأة من جميع الجهات وبصورة كاملة لتلقي السر الإلهي - النبوة - وما لم تكن نفسيته كذلك، فإن الله تعالى لم يكن ليمن عليه بمنصب النبوة ويختاره لمقام الرسالة، لأن الهدف الجوهرى من انبعاث الرسل والأنبياء هو هداية الناس وإرشادهم. وتدل تلك القصص على أن ثمة يدًا إسرائيلية وراءها فصاغتها، وهذا فإن أئمّة الشيعة حاربوا هذه الأساطير بكل قوّة وأبطلوها برمتها. فقد قال الإمام الصادق ع: «إن الله إذا أخذ عبداً رسولاً، أنزل عليه السكينة والوقار، فكان يأتيه من قبل الله عزوجل مثل الذي يراه بعينه».<sup>١</sup>

وفسر العلامة الكبير الطبرسي ذلك، بأن الله لا يوحى إلى رسوله إلا بالبراهين البينة والآيات الدالة على أن ما يوحى إليه إنما هو من الله تعالى فلا يحتاج إلى شيء سواها ولا يفزع ولا يفرق.<sup>٢</sup>

أما بالنسبة إلى يوم مبعثه، فإن هناك اختلافاً فيه مثلما اختلف في يوم ولادته، فاتفق علماء الشيعة على أنه بُعث بالرسالة يوم ٢٧ من شهر رجب، وأن نزول الوحي بدأ من هذا اليوم، بينما اشتهر عند السنة أنه حدث في شهر رمضان. فهناك فرق في نزول القرآن جمیعه على الرسول ﷺ ونزول الآيات الأولى عليه يوم المبعث. فالآيات التي تصرح بنزول القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر المباركة، لا تدل على أن يوم المبعث - الذي نزلت فيه بعض آيات - كان ذلك في الشهر نفسه، لأن

١. بحار الأنوار: ٢٦٢ / ١٨؛ الكافي: ٢٧١ / ١.

٢. مجمع البيان: ٣٨٤ / ١٠.

الآيات المذكورة الدالة على أن القرآن نزل في شهر رمضان تدل على أن مجموع القرآن لا بعضه قد نزل في ذلك الشهر، في حين أنه لم ينزل في يوم المبعث سوى آيات معدودة. كما أن تفسيرا آخر يؤكّد أن للقرآن الكريم وجوداً جماعياً علمياً واقعياً، وهو الذي نزل على الرسول الكريم ﷺ مرة واحدة في شهر رمضان، وأخر وجوداً تدربيحاً كان بدء نزوله على النبي ﷺ في يوم المبعث، واستمر نزوله إلى آخر حياته الشريفة على نحو التدريج. وهو ما قدّمه العلامة الطباطبائي من تفسير. كما أن ثمة قولًا آخر ذهب إلى أن ابتعاث الرسول ﷺ بالرسالة في شهر رجب، لا يلزم نزول القرآن في ذلك الشهر حتماً<sup>٢</sup>.

وأبرز ما في هذا الموضوع، أن الرسالة الحمدية المباركة، بشر بها جميع الأنبياء المتقدّمين زمنياً على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وأشار القرآن إلى ذلك في آيات كثيرة.

والأمر الهام الآخر، إنّه كان خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده ولا رسالة، حيث قال ﷺ: «أرسلت إلى الناس كافة، وبِنُخْتِمِ النَّبِيِّونَ».<sup>٣</sup>

## ٥. أوائل المؤمنين بالنبي ﷺ والدين الإسلامي

بدأ انتشار الإسلام تدريجياً، وكان هناك سابقون كما كان هناك لاحقون، وعدّ السبق إلى الإيمان برسول الله ﷺ في صدر الإسلام، معياراً للفضل، ولذا كان لابد من التعرف على هؤلاء السابقين. ومن المسلمات، أن السيدة خديجة ظليلة كانت

١. تفسير الميزان: ١٤ / ٢.

٢. للمزيد من التوضيح والتوعّد راجع البخاري: ١٨٤، ٢٥٣؛ الكافي: ٤٦٠ / ٢.

٣. طبقات ابن سعد: ١٢٨ / ١.

أول امرأة آمنت به ﷺ فلم يختلف في هذا أحد.<sup>١</sup> وخاصة أنّ النبي ﷺ أكد بنفسه ذلك في قوله: «آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقني إذ كذبني الناس».<sup>٢</sup> فهي أول من التقته بعد نزول الوحي عليه في الغار، فآمنت به وصدقته.

كما أنّ علي بن أبي طالب ؓ كان أول من آمن به من الرجال، حيث اتفق العلماء كلّهم على ذلك، إذ أنّ الإمام ؓ كان قد عاش في كنف النبي ﷺ حتى بعثه الله تعالى نبياً فاتّبعه وأمن به وصدقه.<sup>٣</sup> فكان مما أنعم الله به على الإمام ؓ أنه كان في حجر النبي ﷺ قبل الإسلام وهو دون الثامنة. فحينما أجدبت مكة وضواحيها وأصاب الناس أزمة شديدة، وكان أبو طالب كثير العيال، رأى النبي ﷺ أن يخفّ عنّه، فطلب من عمّه العباس أن يأخذ منه بعض عياله، فكفل العباس جعفراً، وكفل رسول الله ﷺ علياً، وقيل أنّ حمزة أخذ جعفراً، والعباس طالباً، وأبو طالب عقيلاً، وقال رسول الله ﷺ: «إخترت من اختار الله لي عليكم، علياً».<sup>٤</sup>

ويظهر أنّ المدف من ذلك كان هو أن يترّبى علي ؓ في حجر النبي ﷺ ويتجدد من مكارم أخلاقه ويتبعه في كريم أفعاله.

ويؤكّد الإمام ؓ موقفه بقوله: «اللّهم إني أول من أناب وسمع وأجاب، ولم يسبقني إلّا رسول الله بالصلوة».<sup>٥</sup>

١. السيرة النبوية: ١/٢٤٠.

٢. صحيح مسلم: ١٣٤/٧؛ صحيح البخاري: ٥/٣٩؛ أسد الغابة: ٥/٤٢٨؛ البحار: ١٦/٨.

٣. السيرة النبوية: ١/٢٤٦؛ البداية والنهاية: ٢/٢٥.

٤. مقاتل الطالبين: ٢٦؛ الكامل: ١/٣٧؛ السيرة النبوية: ١/٢٤٥.

٥. نهج البلاغة: ٢/١٨٢.

كما جاء عن «عفيف الكندي» إنّه شاهد النبي ﷺ و زوجته و علياً عليهما السلام يؤدون الصلاة أمام الكعبة.<sup>١</sup>

وجاء في خطبة له عليهما السلام قوله: «أنا الصديق الأكبر، لقد صلّيت مع رسول الله قبل الناس سبع سنين، وأنا أول من صلّى معه». <sup>٢</sup>

كما أنّ النبي ﷺ أكد ذلك أيضاً في أحاديثه المتكررة: «أولكم إسلاماً على بن أبي طالب». <sup>٣</sup>

ومن أقوال الإمام علي عليهما السلام في ذلك، يذكر حكيم مولى زاذان، إنّه قال، سمعت علياً يقول: «صلّيت قبل الناس سبع سنين، وكنا نسجد ولا نركع، وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر». <sup>٤</sup>

وقال أيضاً: «بعث رسول الله ﷺ يوم الإثنين وأسلمت يوم الثلاثاء». <sup>٥</sup>  
وقد أكد هذا الموقف أكثر من ستين صحابياً وتابعياً أيّدوا القول الذي يذكر أنّ الإمام علي عليهما السلام كان أول القوم إسلاماً.

وأشهر هؤلاء:

-أنس بن مالك: بعث النبي ﷺ يوم الإثنين وأسلم على يوم الثلاثاء.

-بريدة الأسّلمي: ذكر نفس القول.

-زيد بن أرقم: أول من أسلم مع رسول الله ﷺ على بن أبي طالب، وأول من

١. الإصابة: ٤٨٠ / ٢.

٢. خصائص النسائي: ٣؛ سنن ابن ماجة: ١ / ٥٧؛ مستدرك الحاكم: ١ / ١١٢.

٣. الغدير: ٣ / ٢٢٠.

٤. شرح نهج البلاغة: ٣ / ٢٥٨.

٥. مجمع الزوائد: ٩ / ١٠٢.

صلى مع الرسول ﷺ عليٍّ، وأول من آمن بالله بعد النبي ﷺ عليٍّ.

- عبد الله بن عباس: أول من صلّى على عليٍّ.

لعليٍّ أربع خصال ليست لأحد هو أول عربي وأعجمي صلّى مع رسول الله ﷺ، كان عليٍّ أول من آمن من الناس بعد خديجة ؓ.

- سليمان الفارسي: أول هذه الأمة وروداً على نبيها الحوض أوّلها إسلاماً، علي بن أبي طالب ؓ.

- أبو رافع: مكث عليٍّ يصلي متخفياً سبع سنين وأشهرًا قبل أن يصلّى أحد.

- كما نقل نفس الأقوال والأعمال التي قام بها الإمام ؓ كلّ من:

أبو ذر الغفارى، خباب بن الأرت، المقداد بن عمرو الكندى، جابر بن عبد الله الأنصارى، أبو سعيد الخدري، حذيفة بن اليمان، عمر بن الخطاب، عبد الله بن مسعود، أبو أيوب الأنصارى، هاشم بن عتبة المرقال، مالك بن الحارث الأشترى، عدي بن حاتم، محمد بن الحنفية، محمد بن أبي بكر، عبد الله بن أبي سفيان، الحسن البصري، الإمام محمد الباقر ؓ.<sup>١</sup>

## ٦. دعوة الأقربين

استمر النبي ﷺ يدعوا إلى دينه سراً مدة ثلاثة أعوام، عمد فيها إلى بناء الكوادر وإعدادها من أفراد محددين، كانوا السبب في أن ينجذب إلى الدين الجديد جماعة آخرون تقبّلت دعوته.

١. الصواعق المحرقة: ٧٢؛ تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١١٢.

واشتهر من بين السابقين إلى الإيمان برسول الله ﷺ :<sup>١</sup>

- السيدة خديجة بنت خويلد ؓ
- علي بن أبي طالب ؓ
- زيد بن حارثة
- العباس بن العوام
- عبد الرحمن بن عوف
- طلحة بن عبيد الله
- سعد بن أبي وقاص
- أبو عبيدة الجراح
- أبو سلمة
- الأرقم بن أبي الأرقم
- عثمان بن مظعون
- عاصم بن مظعون
- عبيدة بن الحارث
- سعيد بن زيد
- خباب بن الأرت
- أبو بكر بن أبي قحافة
- عثمان بن عفان

وكان النبي ﷺ يخرج مع بعض أتباعه إلى شعاب مكة للصلوة فيها بعيداً عن أنظار قريش، إلا أن البعض منهم رأوه يصلون، فحدث نزاع قصير بين الطرفين، حين استنكروا فعلهم، وهو ما جعل النبي ﷺ يقرر الخاد بيت «الأرقم بن أبي الأرقم» مكاناً للعبادة<sup>٢</sup>، حيث آمن في هذا البيت عدد آخر من المشركين، كان أبرزهم: عمار بن ياسر، وصهيب بن سنان الرومي.

وقد ركز الرسول ﷺ جهده في الدعوة السرية، دون عجلة أو تسرّع، يعرض فيها دينه على كل من وجده أهلاً لتقبل المبادئ السامية، من الناحية الفكرية،

١. السيرة النبوية: ١/٢٤٥.

٢. وكان البيت عند جبل الصفا عرف إلى فترة بدار الخيزران. أسد الغابة: ٤/٤؛ السيرة الحلبية: ١/٢٨٣.

ففي خلال ثلاثة أعوام اكتفى بالاتصال الشخصي بمن وجدَه مؤهلاً وصالحاً للدعوة ومستعداً لقبول الدين الجديد، مما ساعدَه في أن يكسب فريقاً من الأتباع الذين اهتدوا إلى دينه بقبول دعوته.

أما زعماء قريش فإنهما لم يعتنوا بالدعوة الجديدة، كما لم يتعرضوا بأي عمل عدائي للرسول ﷺ بل ظلوا ينظرون إليه باحترام، مراعين قواعد الآداب والسلوك، في الوقت الذي لم يتعرض فيه النبي ﷺ أيضاً لأصنامهم وأهلهما بسوء، ولا تناولها بال النقد والاعتراض بصورة علنية، وذلك لأنّ زعماء قريش كانوا متأكدين من أن دعوته ستنتهي في العاجل بقولهم: إنّها أيام وتنطفئ بعدها شعلة الدعوة هذه فوراً، كما انطفأت من قبل دعوة «ورقة وأمية» اللذين دعوا إلى نبذ الوثنية واعتناق المسيحية، ثم نسي الأمر.

وقد جمع النبي ﷺ في السنوات الثلاث الأولى، أربعين شخصاً، لم يكن فيهم كفاية لأن يصبحوا قوة دفاعية لحماية النبي ﷺ ورسالته، مما جعله يسعى إلى دعوة أقربائه، فكسر بذلك جدار الصمت، بالشروع في دعوة الأقربين ثم الناس أجمعين، فالنبي ﷺ كان يؤمن ويعتقد أن أي إصلاح وتغيير لا بد أن يبدأ من إصلاح الداخل وتغييره، ومن هنا أمره الله تعالى بأن يدعو عشيرته الأقربين، الذين تمنى أن يكونَ منهم سياجاً قوياً يحفظه ويحفظ رسالته من الأخطار المحتملة: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»<sup>١</sup> كما خاطبه بصدق دعوة الناس عامة «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَغْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ \* إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ»<sup>٢</sup>.

١. الشعراء: ٢١٤.

٢. الحجر: ٩٤-٩٥.

وقد اتّخذ النبي ﷺ أسلوباً ميّزاً في دعوة أقربائه، إذ أنّه أعدّ لهم مائدةً كبرى، لـ٤ فرداً من سراةبني هاشم ووجهاهيم، ليكشف لهم أمر رسالته خلال تلك الضيافة، إلّا أنّ الجو لم يناسب الحدث، فانفخَّ المجلس دون تحقيق الغرض، مما اضطرّه إلى إعادةتها في اليوم التالي. فقام النبي ﷺ بعد تناول الطعام، خطيباً فيهم وقال: «إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلّا هو، إني رسول الله إليكم خاصةً وإلى الناس عامةً، والله لتموتن كمَا تنامون، ولتبعثُن كمَا تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنما الجنة أبداً والنار أبداً. يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله عزوجل أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤمن بي ويؤازني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفي فيكم؟» فقام علي عليه السلام وهو في الثالثة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره قائلاً: «أنا يا رسول الله أكون وزيراً على ما بعثك الله». وبعدما تكرّر هذا الموقف ثلاث مرات، أخذ النبي ﷺ ييد علي عليه السلام والتفت إلى القوم قائلاً: «إن هذا أخي ووصيي وخليفي فيكم، فاسمعوا له وأطاعوا».

فضحك الجميع مستهزئين، وقالوا لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيعه وجعله عليك أميراً.<sup>١</sup>

إنّ هذا الإعلان عن وصاية الإمام على عليه السلام وخلافته في مطلع عهد الرسالة وببداية أمر النبوة، يفيد أنّ هذين المنصبين ليسا منفصلين، فقد أعلنها الرسول ﷺ

١. هذا ملخص لتفصيل ما رواه أكثر المفسرين والمؤرخين دون أن يشكّ في صحته أحد، إلّا ابن تيمية الذي اتّخذ موقفاً فريداً من أهل البيت عليهما السلام راجع تاريخ الطبرى: ٢/٦٢؛ الكامل: ٢/٤٠؛ مسند أحمد: ١١/١؛ شرح نهج البلاغة: ١٣/٢١٠.

في يوم إعلانه للدعوة والنبوة، مما يؤكد أن النبوة والإمامية يشكلان قاعدة واحدة، وإنهما حلقتان متصلتان لا يفصل بينهما شيء، كما أن موقف الإمام علي عليه السلام يكشف عن مدى شجاعته الروحية، حينما أعلن بكل جرأة وشجاعة، مؤازرة النبي عليه السلام في حضور قوم ضم شيوخهم وسادتهم، معليناً استعداده للتضحية في سبيل دينه، وهو غلام لم يتعد الخامسة عشرة.

وقد تناول «أبوجعفر الإسکافي» هذا الموقف موضحاً إذ كتب يقول:

هل يكلف عمل الطعام، ودعاء القوم، صغير غير مميز وغير عاقل؟! وهل يؤئن على سرّ النبوة طفل؟! وهل يُدعى في جملة الشیوخ والکھول إلا عاقل ليبيّ وهل يضع رسول الله عليه السلام يده في يده، ويعطيه صفة يميّنه بالأحوة والوصية والخلافة، إلا وهو أهل لذلك، بالغ التكليف، محتمل لولاية الله، وعداؤه، ما بآل هذا الطفل لم يأنس بأقرانه ولم يلتصق بأشكاله، ولم يُر مع الصبيان في ملاعبهم بعد إسلامه، ولم ينزع إليهم في ساعة من ساعاته، بل ما رأيناه إلا ماضياً على إسلامه، مصمماً في أمره، محققاً لقوله بفعله، ولتصق برسول الله عليه السلام من بين جميع من حضره، فهو أمنيه وأليفه في دنياه وأخرته.<sup>١</sup>

## ٧. الدعوة العامة وتطور ردود أفعال قريش تجاهها

بعد تلك السنوات الثلاث، عمد الرسول عليه السلام إلى إعلان الدعوة جهراً، حين وقف ذات يوم على صخرة عند جبل الصفا منادياً بصوت عالٍ: «أرأيتم إن أخبرتكم إن العدو مصبهكم أو مسيكم أكتتم تصدقوني؟» قالوا: بل. قال:

<sup>١</sup>. شرح نهج البلاغة: ٢٤٤-٢٤٥.

«إِنِّي نذير لَكُمْ بَيْنَ يَدِي عَذَابٌ شَدِيدٌ».<sup>١</sup>

فرد عليه أحدهم: تبأّ لك أهذا دعوتنا؟ ففرق الناس على أثر ذلك. إلا أنه بعد فترة من الدعوة العامة، تشكلت جماعة قوية متعاطفة متحابة، من السابقين واللاحقين، أو القدامى والجدد، كانت بمثابة إِنذار لأوساط الكفر والشرك والوثنية، وهم المخالفون، وقد تألفت تلك الجماعة من قبائل مختلفة منعوا الكفار من التعرض لهم، إذ لم يكن اتخاذ أي قرار حاسم بحقهم، أمراً سهلاً ومرحباً. ولذا قرر سادة قريش مواجهة قائد تلك الجماعة ومحركهم، بوسائل الترغيب والترهيب، بالإغراء والتقطيع، والإيذاء والتهديد، واستمرت برامج قريش و موقفها من الدعوة بهذه الأساليب طيلة عشر سنوات هي عمر الدعوة العامة في مكة، حتى اتخذوا قرارهم النهائي بالتخليص منه بقتله، في الوقت الذي تمكّن رسول الله من إبطال مؤامرتهم وإفشاها بالهجرة إلى المدينة.

وقد بدأوا التحرك في مطالبة كفيله رسول الله أبي طالب بأن يبعد النبي رسول الله عنهم قائلين له: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبّ آهنتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإنما أن تكتفه عننا، وإنما أن تخلي بينا وبينه. إلا أن أبا طالب ردّهم بقولٍ جميلٍ حكيمٍ.<sup>٢</sup>

ولكن الدين الجديد انتشر بقوّة بين العرب، والقادمين إلى مكة خلال الأشهر الحرم، فأدرك طغاة قريش أنّ محمداً رسول الله بدأ يفتح له مكاناً في قلوب جميع القبائل، فكثر أنصاره منها، الأمر الذي دفعهم إلى مقابلة أبي طالب مرة أخرى،

١. السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلية: ١٩٤.

٢. السيرة النبوية: ٢٦٤.

ليذكروه إشارة وتصريحاً، بالأنخطار التي أحدثت بهم وبعثائهم نتيجة نفوذ الإسلام وقوته : إنّا والله لا نصبرُ على هذا من شتم آبائنا وعيب آهتنا حتى تكتفَ عنا أو نناظله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين. فسكن غضبهم وأطفأ ثائرتهم وهذا خواطرهم، ليتم معالجة هذه المشكلة بطريقةٍ أفضل.

فأتى النبي ﷺ وأخبره بأمرهم، فرد عليه بالجواب التاريخي الخالد، والذي يعتبر من أسطع وألم السطور في حياة قائد الإسلام الأكبر محمد ﷺ :

«يا عَمّ، وَاللَّهُ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتَرَكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَظْهِرَ اللَّهُ، أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتَهُ». مما أثر في عمّه بتلك الكلمات العظيمة، فأظهر استعداده الكامل للوقوف إلى جانبه قائلاً: إذهب يا ابن أخي فقل ما أحبيت ،فوالله لا أُسْلِمَكَ لشيءٍ أبداً».

وحاولت قريش مساومة أبي طالب مرات أخرى، للتخلص من النبي ﷺ ودعوته، إلا أنه رفض أي نوع من المساومة في هذه القضية، محافظاً على محمد ﷺ ودينه.

فسلكوا طريقاً آخر، ووسيلة أجدى لإثناء النبي ﷺ عن المضي في دعوته، وهي تطميجه بالمناصب والهدايا والأموال والفتّيات الجميلات: فإن كنت إنّما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثر مالاً وإن كنت إنّما تطلب الشرفَ فيما فنحن نسوّدك ونشرّفك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك تابعاً من الجن قد غالب عليك، بذلك أموالنا في طلبك.

إلا أنّ الرسول ﷺ قال لعمّه: «يا عَمّ أَرِيدُهُمْ عَلَى كَلْمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقُولُونَهَا، تَدِينُهُمْ لَهُمُ الْعَرْبُ، وَتَؤْذِي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعِجْمُ الْجَزِيرَةُ».

قالوا: ما هي؟ قال: «لإله إلا الله». فقاموا فزعين قائلين: ﴿أَجْعَلُ الْآلهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنْ هَذَا شَيْءٌ عَجَابٌ﴾<sup>١</sup>.

#### ٨. استخدام الأساليب المتعددة لمنع انتشار الدعوة الجديدة

بعد استخدامُ أسلوب الأخذ والرد مع النبي ﷺ عن طريق كفيله، وعدم جدواه، اضطربت قريش إلى تغيير أسلوبها ونهجها مع الرسول ﷺ في منع انتشار دينه، مهما كلف الثمن. فقرّروا اتخاذ سلاح السخرية والاستهزاء، والإيذاء والتهديد.

وكان أبو طالب من جانب آخر، قد طلب منبني هاشم جميعاً القيام بحماية النبي ﷺ، فلّو نداءه سواء بداع الإيمان أو الرحمة، إلا أن ذلك لم يمنع من إيقاع الأذى بالرسول ﷺ كلما وجدوا الفرصة السانحة، وخاصة إذا وجده وحيداً بعيداً عن أعين حماته.

إن التاريخ يشهد بأن وجود رجال ذوي بأس شديد وقوة بين صفوف المسلمين، مثل «حمزة» الذي أصبح فيما بعد أحد كبار قادة الإسلام، كان لهم أثر كبير في حفظ الإسلام وحماية النبي ﷺ ودعم جماعته. فقد جاء عنه: لما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، فكفوا عما كانوا يتناولون منه.<sup>٢</sup>

أما أساليب قريش فتعددت في الإيذاء والإيقاع بالرسول ﷺ وجماعته، فقد كمن أبو جهل للرسول ﷺ حينما وقف للصلوة بين الركن اليهاني والحجر الأسود، ليضر به بحجر، إلا أنه رجع عن عزمه دون أن ينفذ خطته، محيياً أصحابه في ذلك:

١. السيرة الحلبية: ١/٣٠٣؛ تاريخ الطبرى: ٢/٦٥.

٢. الكامل: ٢/٥٦.

قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما ذكرت منه عرض لي دونه ما لا رأيت مثله في حياتي، فتركته.<sup>١</sup>

ولا شك أن قوّة غييّة أدركت الرسول ﷺ في تلك اللحظة وحفظته، كما وعده الله تعالى قائلاً: «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ»<sup>٢</sup>. فالنبي ﷺ كان يواجه في كل يوم نوعاً خاصاً من الأذى والمضائق من هؤلاء الأشرار، وأشهرهم: عقبة بن أبي معيط الذي شتمه وضربه، فكان أشدّ خصومه بغضّه له ﷺ. وعمّه أبو هب الذي تعرض النبي ﷺ لأذاء مع زوجته أمّ جميل، فقد كان النبي ﷺ يجاورهم فقاموا بإيذائه وإزعاجه، بإلقاء الرماد والتربّح على رأسه الشريف، ونشر الشوك على طريقه أو عند باب بيته. والأسود بن عبد يغوث، أحد المستهزئين، والوليد بن المغيرة،شيخ قريش وحكيمها وأكبر الملائكة فيها، وأمية وأبي، ابنا خلف، وأبو جهل (أبو الحكم بن هشام)، والعاص بن وائل، والد عمرو بن العاص الذي وصف النبي ﷺ بالآخر.

وعندما فشلت أساليب قريش وأسلحتها الصدئة في القضاء على الدين الجديد وأهله، عمدوا إلى استخدام سلاح جديد لعله يكون أقوى من سوابقه، للحيلولة دون انتشار الإسلام واتساع رقعته، وقطع علاقته بالمجتمع العربي، وهو سلاح الدعاية ضدّ رسول الله ﷺ. ومن أساليبه:

الاتهامات الباطلة، وقد أقرّوا استخدامها في دار الندوة، حين طرحا فكرتها على «الوليد بن المغيرة»<sup>٣</sup> الذي كان ذا مكانة مميزة عندهم، فقال: يا عشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم وإنّ وفود العرب ستقدم عليكم فيه،

١. السيرة النبوية: ٢٩٨ / ١. الحجر: ٩٥.

٢. أبو خالد بن الوليد.

وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً، ورأى آلا يقولوا عنه كاهن أو مجنون أو ساحر. وهكذا تحيّروا في ما ينسبون إلى رسول الله ﷺ حتى انفقو على أن يقولوا: إنه ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وأخيه وزوجته وعشيرته، والدليل على ذلك ما أوجده من خلاف وانشقاق وتفرق بين أهل مكة الذين عرفوا بالوحدة والإتفاق.<sup>١</sup>

كما أشاعوا عنه الجنون، وأنّ ما ي قوله ويقرأه ما هو إلا من نسج الخيال ومن أثر الجنون الذي لا يتنافى مع الزهد والأمانة.

وقد رد القرآن الكريم على جميع تلك الاتهامات في آيات كثيرة وفنّدها.

وقد استمرُّ أسلوبهم في الاتهام والتلوين على شخصية النبي الأكرم ﷺ والرسالة المحمدية بكل الصور والمظاهر، فوصفوه بالكافر، والساخر، والجنون، وأنه معلم من قبل نصري، وكذاب وفتّن وشاعر، وما ي قوله أضغاث أحلام.

ولما تأتَّت كل تلك الاتهامات بالتيجة المرجوة، ولم تنفع في الإيقاع به، لمعرفة الناس بالنبي ﷺ وصفاته وأخلاقه منذ سنين بعيدة، اتجهوا إلى أسلوب آخر، وهو معارضة القرآن الكريم عن طريق «النصر بن الحارث» أحد أعداء الرسول ﷺ الذي تعلم في العراق شيئاً من أساطير الفرس وحكاياتهم، ليقصّ منها على الناس فيليهيم عن السماع لرسول الله ﷺ والإصغاء للقرآن الكريم. إلا أن ذلك لم يدم طويلاً، فقد سامت قريش أحاديثه فتفرقـت عنه.

فاتجهوا إلى أسلوب المجادلات الجاهلية والماخذ السخيفة على الرسول ﷺ

١. السيرة النبوية: ٢٧٠ / ١.

ورسالته، وهي تبرز تكبرهم وعنادهم وجهلهم التي طبعوا عليها. ومن أمثل هذه الوسيلة الاعتراف على النبي ﷺ للأمور التالية:

١. عدم نزول القرآن على أحد أثريائهم.

٢. عدم إرسال الملائكة إليهم.

٣. تبديل الآلة بإله واحد.

٤. جدّد الحياة يوم القيمة.

٥. عدم تملّكه لمعجزات متعدّدة كما كان لموسى عليه السلام.

وفي الوقت نفسه قدموا مقتراحات لإصلاح الوضع بينهم وبين النبي

الكريم ﷺ مثل:

- أن يقوم بعبادة أصنامهم سنة، على أن يعبدوا إلهه سنة أخرى.

- تبديل القرآن على آلاً يحتوي على شجب عبادة الأوثان.

- مطالب مادية عجيبة مستحيلة ومتناقضية، كأن يفجر لهم ينابيع، أو يأتي

بإله سبحانه وتعالى.

وعندما قدم وفدُ مسيحيٍّ تكونَ من عشرين رجلاً من قبل أساقة الحبشة لتقضي الحقائق في مكة والتعرّف على الإسلام، وزيارة النبي الأكرم ﷺ في مكة، فجالسوه في المسجد وكلّموه وسألوه بعض المسائل، حتى عرض عليهم دينه وقرأ عليهم آيات من القرآن الكريم، فتأثرت نفوسهم وأمنوا به وصدقوا.

وكان أبو جهل قد شاهد ما حدث فوبخهم على موقفهم وبما عملوا دون أن يؤدوا عملهم كوفد من بلدتهم، إلا أنّهم لم يردوا عليه إلا بخين فكان لهذا الموقف أثره السيء في قريش دفعهم إلى تكوين وفد من «النضر بن الحارث وعقبة

ابن أبي معيط» للسير إلى أخبار يهود المدينة وسؤالهم عن دين الرسول ﷺ فأخبرهم اليهود أن يسألوه عن ثلات، إذا عرفها فهو نبي مرسلاً، وإن لم يفعل فهو متكلّم.

١. عن فتيه ذهبوا في الدهر الأول.

٢. عن رجل طواف.

٣. عن الروح، ما هي؟

فأجابهم الرسول ﷺ بـالآيات القرآنية، عن الروح في الآية ٨٥ من سورة الإسراء، وأصحاب الكهف وذي القرنين في سورة الكهف.

فالنبي ﷺ قابل تلك الآراء الشاذة والمتردّيات المؤذية بصبر عظيم وثبات هائل، حرصاً منه على إبلاغ رسالته.

وبعد هذه الخطة الفاشلة، نفذوا خطة أخرى وهي: منع كلّ من رغب في الإسلام وقدم إلى مكة للتعرف على النبي ﷺ والاتصال به، وذلك بنشر الجوايس في الطرقات للتعرض لهؤلاء ومنعهم من الوصول إلى النبي ﷺ، ومن تعرضوا له في الطريق: الشاعر الأعشى، الذي قدم إلى مكة ليهدى للرسول ﷺ أياتاً شعرية ويعلن إسلامه على يديه، فأقنعواه بالعود إلى بلده بعد أن أخبروه أنّ النبي ﷺ يحرم الخمر، وكان الأعشى يحب الخمر والنساء. وقد مات في نفس العام فلم يفدي على رسول الله ﷺ.<sup>١</sup> كما تعرضوا للطفيلي بن عمرو الدوسي الذي خشيت قريش أن يقوم بالاتصال بالنبي ﷺ وهو شاعر حكيم، صاحب نفوذ وكلمة مسموعة في قبيلته، فخوّقوه من كلام النبي ﷺ وسحره. إلا أنه عندما سمع شيئاً من أقوال الرسول ﷺ دون وعي منه، أحسن القول فأسلم وشهد شهادة الحقّ، ورجع إلى

١. السيرة النبوية: ٣٨٦ / ١.

بلاده داعياً قومه إلى الإسلام، إلى أن تم اتصاله بالنبي ﷺ بخبر فبقي معه حتى قبض عليه ثم شارك المسلمين بعد ذلك في معارك اليهودة زمن الخلفاء الراشدين، وقتل فيها.<sup>١</sup>

وتطورت وسائل وأساليب قريش في التخلص من دعوة النبي ﷺ وإيقاف زحف تلك الدعوة الإسلامية واتساعها في مدة غير طويلة، إلى فرض حصار اقتصادي قوي على النبي ﷺ وال المسلمين، تقطع به كل الشرايين الحيوية لهم، فتحدد بذلك من سرعة انتشار الدين، وتختنق مؤسسه وأنصاره. ولهذا وقع زعماء قريش في دار الندوة ميثاقاً كتبه: «منصور بن عكرمة» وعلّقه في جوف الكعبة، وتحالفوا على الالتزام ببنوده حتى الموت، وذلك في السنة السابعة منبعثة. وقد ضم الميثاق البنود التالية:

١. عدم التعامل التجاري مع النبي ﷺ وأنصاره.
٢. عدم التزاوج منهم.
٣. عدم التحدث معهم أو تناول الطعام معهم.
٤. وأن يكونوا يداً واحداً على محمد ﷺ وأنصاره.

فما كان من «أبي طالب» إلا أن طلب منبني هاشم وبني المطلب، الاستعداد للدفاع عن رسول الله ﷺ والحفاظ على حياته وسلامته، على أن يستقرّوا خارج مكة في شعب بين جبال مكة عُرفَ بشعب أبي طالب، والذي شمل بعض البيوت البسيطة، كما عيّن بعض الرجال في جوانب مختلفة ومترفرفة، لمراقبة الطرق وحراسة المكان تحسباً لأي طارئ.<sup>٢</sup>

١. السيرة النبوية: ١/٣٨٢.

٢. السيرة النبوية: ١/٣٥٠؛ تاريخ الطبرى: ٢/٧٨.

ويشهد التاريخ أن أقوى العوامل في ثبات أقلية وصمودها في وجه الأكثريّة هو: قوّة الإيمان والاعتقاد، وهذا ما تجلّى في أبي طالب وبني هاشم في هذه المأساة.

فقد استمر الحصار ثلاثة أعوام، جاع فيها الأطفال والكبار متحمّلين قسوة الحال، فكان يعيشُ الفردُ منهم على ترفة واحدة طوال اليوم، وربما تقاسّمها اثنان. ولما كان لا يُسمح لهم بالخروج من الشعب إلّا في الأشهر الحرم حيث يسود الأمان في أنحاء الجزيرة العربية، فيخرج بنو هاشم للشراء والبيع ثم العودة إلى الملجأ، فإنّ النبي ﷺ كان يستغل هذا الموسم في نشر دينه ودعوته. إلّا أنّ تجّار قريش كانوا يزيدون في سعر السلعة إذا أرادها مسلّم، على أن يقوم أبو هب والوليد بن المغيرة بتعويض خسارة هؤلاء التجّار. كما أتّهم عيناً الجواصين على الطرق المؤدية للشعب حتى يمنعوا الاتصال بال المسلمين. إلّا أنّ بعضًا من أنصار النبي ﷺ كان يوصل الطعام إليهم سرًا خلال الليل كما أتّهم قريشاً كانوا يصادرون مال كلّ من أراد التعامل مع أصحاب الشعب، في الوقت الذي اشتدّ إيداؤهم من أعلن إسلامه.

ولكنّهم تأكّدوا بعد فترة ليست قليلة بأنّ حصارهم هذا لم يأت بنتيجة مرجوّة، ولم يتحقّق هدفهم منه و من غيره من الوسائل والأساليب، ففكروا في نقض الميثاق بأيّ شكل. فقد صرّح «زهير بن أبي أمّيّة» في مجلس قريش في المسجد الحرام بعدم اتفاق مع عدد آخر من المعارضين لمقاطعة بنو هاشم:

يا أهل مكّة، أناكل الطعام ونبس الثياب، وبنو هاشم هلكي لا يُباع لهم ولا يُبَاعُ منهم؟ والله لا أقعد حتى تُشكّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

وقام «المطعم بن عدي» إلى الصحيفة ليشقّها، فوجّد أنّ الإرضاة قد أكلتها

إلاّ عبارة: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» فَأَسْعِ «أبو طالب» إلى الشّعب يخبر الرسول ﷺ بما جرى، وانفك الحصار وعاد المحاصرون إلى منازلهم مرة أخرى. وكان النبي ﷺ قد عَلِمَ بأمر تقطيع الصحيفة والإرضة التي أكلتها إلاّ اسم الله، فأخبار أبو طالب بذلك، الذي قام بإخبار زعماء قريش بذلك، واتفق معهم على: إن كان حقاً ما ذكر الرسول ﷺ فاتقوا الله وارجعوا عنكم عليه من الظلم والجور وقطيعة الرحم، وإن كان باطلًا دفعته إليكم، فإن شئتم قتلتموه وإن شئتم استحييتموه. وفقالوا: رضينا ، وتعاقدوا على ذلك. إلاّ أنّهم نقضوا اتفاقهم ونكثوا عهدهم لما شاهدوا وتأكدوا ما قاله النبي ﷺ بل أزدادوا شرًا وعنادًا، ورجع بنو هاشم مرة أخرى إلى الشّعب محاصرين فيه فترة أخرى، حتى نقضها «هشام بن عمرو» فانتهى الحصار الاقتصادي لبني هاشم في منتصف شهر رجب من السنة العاشرة للبعثة النبوية الشريفة.

وإلى جانب ذلك، فإنّ أفراداً من المسلمين تعرضوا لإيذاء قريش وتحملوا أشدّ أنواع العذاب، واشتهر منهم:

١. بلال الحبشي، الذي كان غلاماً لـ«أميمة بن خلف» وهو أشدّ أعداء النبي ﷺ فعمد إلى تعذيب هذا الغلام انتقاماً وتشفيّاً من الرسول ﷺ إذ أنه تردد - أي أميمة - من إلحاقي الأذى به ﷺ خوفاً من عشيرة النبي ﷺ الحامية له.<sup>١</sup>

٢. وعمار بن ياسر، الذي كان والده من السابقين إلى الإسلام، فعمد المشركون إلى إيذائهم وتعذيبهم بعد ما انضموا إلى المسلمين، فكانوا يُحرّجون «عماراً وياسر وسمية» في وقت الظهيرة ويبقونهم طويلاً تحت أشعة الشمس، حتى مات ياسر، كما طعن أبو جهل بالرمح سمية في قلبها فمات، فاعتبروا أول

<sup>١</sup>. قتله بلال بالإضافة إلى ابنه بعد أن أسر في معركة بدر.

شهيدين في الإسلام.<sup>١</sup>

أما عمار فقد استخدم التقية للبقاء على نفسه، حيث ظاهر بترك الدين الإسلامي حسب طلبه، فانصرفوا عنه وتركوه. ولما ندم على فعله، طمأنه النبي ﷺ فقال له: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئن بالإيمان. فقال ﷺ: «إن عادوا فعد». <sup>٢</sup>

٣. «عبد الله بن مسعود» الذي أبدى استعداداً للقيام بتلاوة القرآن جهراً على مسامع قريش في المسجد الحرام، فقرأ **﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** **﴿رَحْمَن﴾**  
**﴿عَلَمَ الْقُرْآنَ﴾** فقام إليه الجميع يضربونه في وجهه وهو يقرأ حتى أدمي جسمه ووجهه فتركوه، وهو مسرور بما عمله في تمكين قريش من الاستماع إلى كتاب الله تعالى وأياته المباركة. <sup>٣</sup>

٤. وأبو ذر، أيضاً جابر بالدين حين كان المسلمين يدعون سراً، فقد نادى في المسجد: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. <sup>٤</sup> وبؤكد التاريخ أن نداءه هذا كان أول نداء تحدى جبروت قريش وظلمها، أطلقه رجل غريب عن مكة وأهلها. فهجم عليه جماعة من قريش وضربوه بشدة حتى أنقذه «العباس بن عبد المطلب» من الموت. بحجة أنه من غفار، وتمر تجارة قريش على بلده، فخافوا على تجارتهم فأمسكوا عنه.

ولما يحيى الوقت بعد للدخول في مواجهات ساخنة مع المشركين، فإنّ  
الرسول ﷺ أمره بأن يلحق بقومه يدعوهم للإسلام: «إلحق بقومك فإذا بلغك

١. بحار الأنوار: ١٨ / ٢٤١؛ السيرة الخلبية: ١ / ٣٠٠.

٢. السيرة النبوية: ١ / ٣١٤.

٣. حلية الأولياء: ١ / ١٥٨، طبقات ابن سعد: ٤ / ٢٢٥؛ الاستيعاب: ٤ / ٦٣.

ظهورِي فأتنى».

وقد تمكن من التأثير في قومه، فأسلم أبواه، ونصف رجال قبيلته - غفار - ثمَّ أسلم الباقي بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، ثمَّ تبعتها قبيلة «أسلم» التي وفدت على الرسول ﷺ واعتنقوا الإسلام.

وقد التحق «أبو ذر» بالرسول ﷺ في المدينة وأقام بها<sup>١</sup> و هو أول المجاهرين بالإسلام، ورابع أو خامس من أسلم، فكان من السابقين والأولين، الذين لهم مكانة عظيمة عند الله تعالى ومقاماً لا يضاهى.

---

١. الدرجات الرفيعة: ٢٣٠ - ٢٢٥.

## الفصل الرابع

### موقف النبي ﷺ

### من إيذاء الكفار المسلمين

- الهجرة إلى الحبشة

- الإسراء والمعراج

- سفره إلى الطائف

- المرحلة الجديدة في الدعوة ونتائجها: بيعة العقبة

- الهجرة الكبرى

- الرسول ﷺ في المدينة



## مواجهة المسلمين

### أمام أفعال قريش

#### ١ . الهجرة إلى الحبشة

تعتبر هجرة فريق من المسلمين إلى الحبشة دليلاً بارزاً على إيمانهم وإخلاصهم العميق لدينهم وربهم، فقد قرر فريق من الرجال والنساء، بهدف الحفاظ على عقيدتهم، والتخليص من أذى قريش، والإقامة في مكان آمن يقييمون فيه شعائرهم بحرية ويعبدون الله الواحد، أن يغادروا مكة إلى جهة تحقق أهدافهم، فنصحهم النبي ﷺ بالإتجاه إلى الحبشة قائلاً: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنّ بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدقٍ حتّى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه».

لماذا اختار الرسول ﷺ تلك الأرض؟ ويوضح السر إذا درسنا أوضاع الجزيرة العربية والمناطق المجاورة لها. فالهجرة إلى المناطق العربية التي سكنتها المشركون والوثنيون كانت تنطوي على خطر كبير على هؤلاء الأفراد من المسلمين، إذ أنّهم سيمتنعون عن قبولهم في أرضهم إرضاءً لقريش أو وفاءً وتعصباً لدين الآباء. وكذلك لم تصلح المناطق التي عاش بها اليهود والنصارى لذلك إذ أنّ

الصراع المذهبي والطائفي كان شائعاً بينهما، فلم تكن الأوضاع لتسمح بدخول طرف ثالث في حلبة الصراع، كما أنّ هؤلاء الفريقين - اليهود والنصارى - كانوا يعتقدون العنصر العربي أساساً، مما يمنع التعايش معهم.

أما المناطق الخارجية، فإنّ اليمن كانت تحت حكم الفرس، الذين لم يقبلوا بدعوة النبي ﷺ فيما بعد، حتى إنّ إمبراطور فارس طلب من عامله على اليمن، القيام بالقبض على الرسول ﷺ وإرساله إليه. وكذلك الحيرة فقد كانت تحت النفوذ الإيراني وسيطرته. أما الشام فكانت بعيدةً عن مكة المكرمة، لم تصلح للجوء المسلمين إليها، كما أنها كانت سوقاً لقريش تربط سكانها بهم روابط وعلاقات وثيقة، وهي علاقات اقتصادية قوية.

ولذا فإنّ الفريق المؤمن غادر مكة ليلاً في غفلة من المشركين نحو ميناء جدّة للسفر عبر مينائها إلى أرض الحبشة، حيث وصلوا في الوقت الذي كانت فيه سفيتان تجاريتان على أهبة الإقلاع، فبادر المسلمون إلى ركبها لقاء نصف دينار عن كلّ راكب. وكان الفريق مكوناً من عشرة أو خمسة عشر شخصاً، بينهم أربع من النساء المسلمات، ولم يكونوا من قبيلة واحدة، بل انتمى كلّ واحد منهم إلى قبيلة معينة. وقد حدث ذلك في شهر رجب في السنة الخامسة من بعثة النبي

١.

وقد حاول المشركون في مكة اللحاق بهم، فبعثوا جماعة من رجالهم لإعادتهم إلى مكة، إلا أنّ السفينة كانت قد غادرت المياه. وكان رؤساء «دار الندوة» بمكة وأقطابها، يعلمون جيداً أضرار هذه المجرة وأثارها على أوضاعهم،

ولذا اهتموا في إعادتهم فوراً إلى ديارهم.

وقد تبعت هذه الهجرة، خروج جماعة أخرى بلغ عددها ٨٣ فرداً على رأسهم: «عمر بن أبي طالب» ابن عمّ الرسول ﷺ حيث تمت بحرية، وقد اصطحبوا فيها نساءهم وأولادهم، إلى أرض الحبشة أيضاً. وقد وجد المسلمون أرضها كما وصفها النبي ﷺ: عامرة، وبيئة آمنة حرة، تصلح لعبادة الله تعالى بحرية وأمان. وبيّنت «السيدة أم سلمة» الوضع بقولها: «لما نزلنا أرض الحبشة، جاولنا بها خير جار، النجاشي، أمننا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى، ولا نسمع شيئاً نكرهه».

وقد حدثت هذه الهجرة في رجب من السنة الخامسة من النبوة، وهي السنة الثانية من إظهار الدعوة، فأقاموا شعبان ورمضان، وقدموا في شوال، لما بلغهم أنَّ قريشاً أسلمت فعاد منهم قوم وتختلف آخرون.<sup>١</sup> إلا أنَّ ذلك كان كذباً، فلم يدخل منهم مكَّة إلا القليل، وعادت الأكثريَّة إلى الحبشة ثانية. وكان من دخل مكَّة منهم: «عثمان بن مظعون» الذي دخل بجوار الوليد بن المغيرة، ولكنَّه ردَّ عليه جواره فاختار جوار الله ليواسِي المسلمين ويشارِكُهم آلامهم ومتابعيهم، مما جعله يتلقَّى فيما بعد شيئاً من تعذيب الكفار وأذيَّتهم فأصابوا عينه.

وحينما علمت قريش ما أصبح في المسلمين المهاجرين من أمن وحرية ، ثار فيهم الحسد، وتوجَّسوا خيفة من نفوذهم هناك في الحبشة، التي اعتبرت أرضها الآن قاعدة قوية لهم، كما أنَّهم تخوفوا من اعتناق نجاشي الحبشة لدينهم، فيكسبوا تأييده، مما يدفعه إلى محاربة مكَّة فيما بعد للقضاء على حكومة المشركين الوثنين في

١. الكامل في التاريخ: ٢/٥٢.

شبه الجزيرة العربية. ولذا فقد اجتمع الأقطاب في «دار الندوة» للتشاور في هذا الأمر الخطير، فاستقر رأيهم على إرسال وفد منهم إلى البلاط الحشبي لاستئلة القواد والوزراء بالهدايا القيمة، لإخراج المسلمين من أرضهم، فقد تحدّدت تعليماً لهم إلى رئيس الوفد: عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة: ادفعوا إلى كلّ بطريقٍ هديته قبل أن تكلّم النجاشي فيهم، ثمّ قدّما إلى النجاشي هداياه، وأسألاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلّمهم.

وحينما توجّها إلى الملك الذي تقبّل الهدايا، قالا له: أيّها الملك إنّه قد ضوى - أي لجأ ليلاً - إلى بلدك منّا غلماً سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدينٍ ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشرافٌ قومهم من آباءهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم إليهم، فهم أبصر بهم وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوا بهم فيه.

وقد شجّعهم على قولهم هذا بطارقتهُ الذين حصلوا على الهدايا من قبل، إلا أنَّ النجاشي الحكيم العادل رفض إجابة مطالبهم دون أن يرجع إلى المسلمين فيرى رأيهم. وعندما حضروا أمامه بقيادة «جعفر بن أبي طالب» الناطق باسمهم، سأله الملك: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟

فقال جعفر بن أبي طالب بعد أن وصف حالمهم قبل الإسلام وكيف أنَّ الله هداهم بالنبي ﷺ: وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاحة والزكاة والصيام، فصدقناه وأمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرم علينا وأحلّنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا

قومنا فعدبونا وفتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحلّ ما كنّا  
نستحلّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا  
خرجنا إلى بلادك، واحتزننا على من سواك، ورغبتنا في جوارك، ورجونا ألا نُظلّم  
عندك أيها الملك.<sup>١</sup>

وقد أثّرت كلمات «جعفر» البليغة وحديثه العذب تأثيراً عجيباً في نفس  
النجاشي حتى أغزورقت عيناه بالدموع، وخاصة عندما قرأ عليه بعض الآيات  
القرآنية التي تخصّ عيسى و مريم عليهما السلام فبكى النجاشي وبكى أساقفته معه، وقال:  
«إنّ هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة»، ويقصد أنّ القرآن  
والإنجيل كلام الله وأنّهما شيء واحد. ثم التفت نحو موڤدي قريش قائلاً: انطلقا  
فلا والله لا أسلّمَهم إليّكما.

إلا أنّ «عمرو بن العاص» فكر في حيلة جديدة تخلّصهم من موقفهم  
السيء والمخزي، وهي: أن يخبر الملك بما يسيء إلى المسيح عليهما السلام فقال في اليوم التالي  
للملك: إنّهم يقولون في عيسى بن مريم قولهاً عظيماً. ولكنّ جعفرأً أجاب الملك  
في ذلك: نقول فيه الذي جاءنا به نبيّنا عليهما السلام هو عبد الله ورسوله وروحه وكلماته  
ألقاها إلى مريم العذراء البتول. مما سرّ النجاشي ورضي به وقال: هذا والله هو  
الحقّ. وقال للMuslimين: اذهبوا فأنتم آمنون في أرضي، من سبّكم غُرِّم، ما أحبّ  
أنّ لي دبراً من ذهب، وإنّ آذيت رجلاً منكم. ثم ردّ على وفد قريش هداياهم  
 قائلاً: فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي فأخذ  
الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه.<sup>٢</sup> فخرجوا من عنده خائبين

١. أول الخطاب في ص ٢٠ من الكتاب.

٢. السيرة النبوية: ١/٣٣٨؛ إمتناع الأسماع: ٢١؛ بحار الأنوار: ١٨/٤١٤.

مقبوحين.

## ٢. الإسراء والمعراج

بدأ النبي ﷺ رحلته الفضائية من بيت «أم هانئ» أخت الإمام علي ظهراً<sup>١</sup> إلى بيت المقدس في فلسطين، والذي يسمى المسجد الأقصى، وتفقد بيت لحم مسقط رأس السيد المسيح عليه السلام ومنازل الأنبياء وأثارهم، وصلَّى عند كل محراب ركعتين. ثم بدأ في القسم الثاني من رحلته، المعراج إلى السماوات العلي، فشاهد النجوم والكواكب، واطلع على نظام العالم العلوي، وتحدث مع أرواح الأنبياء والملائكة، واطلع على مراكز الرحمة والعذاب - الجنة والنار - ورأى درجات أهل الجنة، وتعرف على أسرار الوجود ورموز الطبيعة، ووقف على سعة الكون وأثار القدرة الإلهية المطلقة، ثم واصل رحلته حتى بلغ سدرة المنتهى، فوجدها مسريلة بالعظمة المتناهية والجلال العظيم. وهنا كان قد انتهى برنامج الرحلة، فأمر بالعودة من حيث أتى، فمرّ في طريق عودته، على بيت المقدس ثانية، ثم توجه نحو مكة، مارّاً على قافلةٍ تجاريةٍ خاصة بقريش، وبغيرِ لهم قد ضلَّ في البداية يبحثون عنه، وشرب من مائهم، ثم ترجل عن مركته الفضائية - البراق - في بيت أم هانئ، قبل طلوع الفجر. فأخبرها بما حدث، كما كشف عنه في أندية قريش صباح نفس تلك الليلة. إلا أن قريشاً كعادتها كذبته وأنكرته، على أساس عدم استطاعته النبي ﷺ القيام بذلك في ليلة واحدة، وطلبوه منه أن يصف بيت المقدس، فوصفه النبي ﷺ وصفاً شاملاً، مع ما شاهده في الطريق، وخاصة غير

١. جمع البيان: ٦؛ السيرة النبوية: ١/٣٩٥.

قريش، التي أكد لهم بأنّها الآن في موقع التنعيم، فلم تمض لحظات حتى طلت عليهم العبر، فحدثهم أبو سفيان بكلّ ما أخبرهم به الرسول من ضياع بعيدهم في الطريق والبحث عنه.<sup>١</sup>

وقد اختلفت الأقوال عن وقت حدوث الإسراء والمعراج، فادعى «ابن هشام و ابن إسحاق» أنه وقع في السنة العاشرة منبعثة الشريفة، وذهب المؤرخ «البيهقي» أنه حدث في السنة الثانية عشرة منها، بينما قال آخرون إنه وقع في أوائلبعثة، في حين أنّ فريقاً رابعاً أكد وقوعه في أواسطها. وربما يقال في الجمع بين هذه الأقوال أنه كان لرسول الله ﷺ معارج متعددة.

وهناك اعتقاد أنّ المعراج الذي فرضت فيه الصلاة وقع بعد وفاة أبي طالب ؓ في السنة ١٠ منبعثة. والذين تصوّروا أنّ المعراج وقع قبل هذه السنة مخطئون، لأنّ النبي ﷺ كان مخصوصاً في شعب أبي طالب منذ عام ٨ وحتى ١٠، فلمن يكن المسلمون مستعدّين لوضع التكاليف عليهم. وأمّا سنوات ما قبل الحصار، فعلاوة على ضغوط قريش على المسلمين، والتي كانت مانعاً من فرض الصلاة عليهم، فإنّ المسلمين كانوا قلة، ولم يكن نور الإيمان وأصول الإسلام قد ترسخت بعد في قلوب ذلك العدد القليل، ولذا يستبعد أن يكونوا قد كلفوا بأمر زائد مثل الصلاة في مثل تلك الظروف.

أمّا ما ورد في بعض الأخبار والروايات، بأنّ الإمام علياً ؓ صلّى مع الرسول ﷺ قبلبعثة بثلاث سنوات، فليس المراد منها الصلاة المكتوبة، بل كانت عبارة عن عبادة خاصة غير محدّدة، أو كان المراد منها الصلوات المندوبة

١. بحار الأنوار: ١٨ / ٢٨٣ و ٤١٠.

والعبادات غير الواجبة.<sup>١</sup>

وأما بالنسبة لما قيل وذكر عن مراجـاجـ النبي ﷺ جـسـمـانـياً أو روـحـانـياً، فقد قـيلـ فيهـ الكـثـيرـ بالـرـغـمـ منـ آنـ القرآنـ الـكـرـيمـ والأـحـادـيـثـ النـبـوـيـةـ تـؤـكـدـ آنـ ذـلـكـ حدـثـ جـسـمـانـياً، إـلـاـ آنـ بـعـضـ الـأـرـاءـ تـرـىـ آنـ ذـلـكـ وـقـعـ روـحـانـياً، أيـ آنـ روـحـ النبي ﷺ طـافـتـ فـيـ تـلـكـ العـوـامـ ثـمـ عـادـتـ إـلـىـ جـسـدـهـ بـلـ مـرـّـةـ أـخـرىـ، وـذـهـبـ آخـرـونـ إـلـىـ آنـ كـلـ ذـلـكـ حدـثـ فـيـ عـالـمـ الرـوـءـيـاـ، وـرـؤـيـاـ الـأـنـبـيـاءـ صـادـقـةـ.<sup>٢</sup> وـرـبـماـ دـلـ تـكـذـيبـ قـرـيشـ وـانـزـاعـجـهاـ وـاسـتـنـكـارـهاـ لـحـدـثـ الرـسـولـ بـلـ عـلـىـ آنـ ذـلـكـ حدـثـ جـسـمـانـياًـ. وـإـذـاـ كانـ المرـادـ مـنـ مـعـرـاجـ الرـوـحـانـيـ هـوـ التـفـكـيرـ فـيـ عـظـمـةـ الـحـقـ وـسـعـةـ الـخـلـقـ وـالـتـدـبـيرـ فـيـ خـلـوقـاتـ اللهـ وـمـصـنـوعـاتـهـ وـمـشـاهـدـةـ جـمـالـهـ وـجـلـالـهـ، فـلـاـ شـكـ آنـ ذـلـكـ لـيـسـ مـنـ خـصـائـصـ رـسـولـنـاـ الـأـكـرمـ بـلـ إـنـ كـثـيرـاـ مـنـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـأـوـلـيـاءـ اـمـتـلـكـواـ هـذـهـ الـمـرـتـبـةـ، كـمـاـ بيـنـاـ أـعـتـبـرـهـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ مـنـ خـصـائـصـهـ بـلـ وـنـوـعـ مـنـ الـامـتـيـازـ الـخـاصـ بـهـ بـلـ. كـمـاـ آنـ حـالـةـ التـفـكـيرـ فـيـ عـظـمـةـ الـخـالـقـ وـالـسـعـرـاقـ فـيـ التـوـجـهـ إـلـيـهـ، كـانـتـ تـتـكـرـرـ لـلـرـسـولـ بـلـ كـلـ لـلـيـلـةـ، وـلـيـسـ لـيـلـةـ بـعـينـهـ كـمـاـ جـرـىـ وـحدـثـ فـيـ الـمـعـرـاجـ.

أـمـاـ فـيـ الـعـلـمـ الـحـدـيثـ، فـإـنـ الـقـوـانـينـ الـطـبـيـعـيـةـ وـالـعـلـمـيـةـ الـحـالـيـةـ لـاـ تـتـلـاءـمـ مـعـ

مـعـرـاجـ النـبـيـ بـلـ وـذـلـكـ لـلـأـسـبـابـ التـالـيـةـ:

١. إـنـ الـابـتـعـادـ عـنـ الـأـرـضـ يـتـطـلـبـ التـخلـصـ مـنـ جـاذـبـيـتهاـ، أيـ إـبـطـالـ مـفـعـولـهـاـ، وـالـنـبـيـ بـلـ كـانـ قدـ خـرـجـ عـنـ مـحـيـطـ الـجـاذـبـيـةـ وـأـصـبـحـ فـيـ حـالـةـ انـدـامـ الـوزـنـ، فـكـيـفـ تـمـكـنـ آنـ يـطـوـيـ هـذـهـ الـمـسـافـاتـ بـدـونـ الـوـسـائـلـ وـالـأـدـوـاتـ الـلـازـمـةـ، وـعـدـمـ

١. يـرـاجـعـ فـيـ ذـلـكـ الـكـافـيـ ٤٨٢ـ/٣ـ.

٢. نـقـلـ الـعـلـامـ الـطـبـرـيـ فـيـ تـفـسـيرـ مـجـمـعـ الـبـيـانـ إـجـمـاعـ عـلـمـاءـ الشـيـعـةـ عـلـىـ جـسـمـانـيـةـ الـمـعـرـاجـ ٣٩٥ـ/٦ـ.

تواتر الغطاء الواقي، الذي يصون الجسم من التبعثر والذوبان بفعل السرعة المائلة؟

٢. وكيف تمكن من العيش والحياة في أعلى الجو بدون وجود أوكسجين؟

٣. وكيف تمكن أن يصون نفسه من الأشعة الفضائية والأحجار السماوية؟

٤. وإذا كان الإنسان يعيش تحت ضغط معين من الهواء لا يوجد في الطبقات العليا من الجو، فكيف حافظ على حياته هناك؟

٥. لا يستطيع أيّ جسم أن يتحرك بسرعة تفوق سرعة النور، التي هي ٣٠ ألف كم في الثانية، فكيف استطاع النبي ﷺ السير بتلك السرعة المائلة ويرجع إلى الأرض سالمًاً جسم؟!

والمجيب على ذلك سهل ويسير، فإنّ البشر استطاعوا بأدواته وألاته العلمية والتكنولوجية أن يعالج مشكلات عديدة في مجال ارتياح الفضاء، مثل مشكلة الأشعة الفضائية وانعدام الغاز اللازم للتنفس، كما أنّ العلماء يخططون للعيش على سطح الكواكب كالقمر والمريخ، وبذا فإنّ العلم يؤكّد سهولة ارتياح الفضاء وعدم استحالته، فإذا كان البشر في إمكانه أن يقوم بذلك عن طريق الأدوات والآلات العلمية، فإنّ الأنبياء يمكنهم فعلها بواسطة قدرة الله سبحانه وتعالى وفعله. فالنبي ﷺ عرج بعنایة وقدرة الله الذي خلق الوجود كله، وأقام هذا النظام البديع. فجميع العلل الطبيعية والموانع الخارجية مسخرة لله تعالى وخاصة لرادته، ومطيعة لأمره. وكأنّ النبي ﷺ يخبر البشرية وحتى الذين يعيشون في هذا القرن: إنّي فعلت هذا بدون أية وسيلة، وإنّ ربّي قد منّ عليّ وعرفني على نظام السماوات والأرض، وأطلعني بقدرته وعنايته على أسرار الوجود ورموز الكون.

وقال الإمام موسى الكاظم عليه السلام في ذلك: «إِنَّ اللَّهَ يُوصَفُ بِمَكَانٍ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ زَمَانٌ، وَلَكِنَّهُ عَزٌّ وَجَلٌّ أَرَادَ أَنْ يُشَرِّفَ بِهِ مَلَائِكَتَهُ وَسُكَّانَ سَمَاوَاتِهِ، وَيَكْرِمُهُمْ بِمَشَاهِدَتِهِ، وَيَرِيهِمْ مِنْ عَجَائِبِ عَظَمَتِهِ مَا يَنْجِبُ بَعْدَ هَبْوَطَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ عَلَى مَا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ، سُبْحَانَ اللَّهِ تَعَالَى عَمَّا يَصْفُونَ».<sup>١</sup>

### ٣. سفر النبي صلوات الله عليه وسلم إلى الطائف

توفيت السيدة خديجة رضي الله عنها بعد وفاة أبي طالب، بشهر وخمسة أيام، في السنة العاشرة منبعثة.<sup>٢</sup> وهي التي سماها الرسول صلوات الله عليه وسلم عام الحداد أو الحزن. ومنذ هذا الوقت واجهه صلوات الله عليه وسلم ظروفاً صعبة قاسية قليلاً واجهها من قبل. فقد اصطدم منذ بداية السنة الحادية عشرة بأحوال قاسية مفعمة بالعداء والحقن والأخطار التي هددت حياته الشريفة، بل افتقد إمكانية نشر الدعوة. فلما هلك أبو طالب، نالت قريش سفينةً من سفهاء قريش فثارت على رأسه تراباً. وفي البيت عندما بكت ابنته على وضعه هذا قال: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب».<sup>٣</sup>

وقد دفع هذا الأمر المتردي، أن يبحث الرسول صلوات الله عليه وسلم عن بيئه أخرى أفضل من بيئته لنشر الدعوة فيها، فاختار الطائف التي كانت تعتبر مركزاً هاماً آنذاك، فقرر السفر إليها وحيداً لمقابلة زعماء ثقيف، لعله يكسب نجاحاً في مهمته

١. علل الشرائع: ٥٥؛ البحار: ١٨/٣٤٧؛ تفسير البرهان: ٢/٤٠٠.

٢. تاريخ الخميس: ١/٣٠١.

٣. السيرة النبوية: ١/١٥٤؛ بحار الأنوار: ٩/٥.

أو أنصاراً جدداً.

إلا أنّ عرضه لم يؤثر فيهم، بل إنّهم ردوا عليه بصيانته وأوضحت تملّصهم من قبول الدعوة أو اعتناق الدين، بل أنّهم تماذوا في سلوكهم العدوانى فأحاط به جمّعٌ كبيرٌ منهم يسبونه ويصيرون به، فالتّجأ إلى بستان «عتبة وشيبة ابني ربيعة» للتخلّص من هؤلاء السفهاء، وعمد إلى ظل جلس فيه وهو يتصرف عرفاً، فقد ألحقو الأذى بمواقع عديدة من بدنِه الشريف، كما أنّ رجليه سالت منها الدماء، ولما دعا الله سبحانه وتعالى أن يعينه على هؤلاء الأشرار، فقد تقدّم إليه ابنا ربيعة - اللذان كانا ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف - بطبق من عنبر قدمه إليه ﷺ غلام لها اسمه «عداس النصراني» من أهل نينوى، فلما رأى ما يعلمه الرسول ﷺ من علوم عن المسيح عليه السلام أسلم على يديه.

إلا أنّ النبي ﷺ لم يتمكّن من الرجوع إلى مكة بسهولة، حيث خاف أذى المشركين، مما جعله يترك «نخلة» وهي واد بين الطائف ومكة، إلى حراء، فالتحقى رجلاً من بني خزاعة طلب منه أن يخبره «المطعم بن عدي» بحالته، ويسأله أن يجيره رسول الله ﷺ حتى يدخل مكة في أمان.

ورغم أنّ «المطعم» كان وثنياً، إلا أنه قبل أن يجيره ﷺ دخل الرسول ﷺ مكة ليلاً، ونزل في بيت «مطعم» وبات فيه، ثم دخل في الصباح مع أهل بيته إلى المسجد الحرام ثم إلى منزله.<sup>١</sup>

ولم ينسّ الرسول ﷺ عمله الطيب هذا، بل تذكره حتى بعد وفاة المطعم، إذ أنه أعلن في معركة بدر عن استعداده للإفراج عن جميع الأسرى لو كان حياً،

١. السيرة النبوية: ١/٣٨١؛ بحار الأنوار: ١٩/٧.

تقديرًا لما قام به من إجارة وخدمة كبيرة له.

وكان النبي ﷺ يستخدم كلّ وسيلة وطريقة لنشر دعوته، فكان يقوم بالدعوة في كلّ وقت وكلّ مكان، متهزأً الفرص المناسبة لذلك، مثل استغلاله لأسواق العرب الشهيره: عكاظ والمجنة وذى المجاز، حيث كان الخطباء والشعراء يقفون فيها ليلقوا ما عندهم من شعر وخطب، وفكان النبي ﷺ يقف على مكان مرتفع خاطباً: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكون بها العرب، وتذلّ لكم العجم، وإذا آمنتكم ملوكاً في الجنة».<sup>١</sup>

كما أنه كان يلتقي في مواسم الحج برؤساء القبائل وأشرافها يعرض عليهم دينه، ويدعوهم إلى الله سبحانه، ويخبرهم بأنه نبي مرسلاً، ويقول ابن هشام في ذلك: كان ﷺ لا يسمع بقادم من العرب إلى مكة له اسم وشرف إلا تصدقى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده.

---

١. طبقات ابن سعد: ٢١٦ / ١

## المرحلة الجديدة في الدعوة ونتائجها المؤثرة

### ٤. بيعة العقبة

سكنت يثرب قبيلتنا الأوس والخزرج في القرن الرابع الميلادي بعد هجرتهم من اليمن، وهم من القحطانيين . كما سكن بجانبهم اليهود القادمين من شمال الجزيرة العربية. وكثيراً ما كان يحضر منهم جماعة إلى مكة، فكان النبي ﷺ يلتقي بهم ويتصل معهم عارضاً عليهم دينه، وقد كان هذه اللقاءات والاتصالات أثراً فيها بعد وداعاً هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب، فقد كان حجاجهم ينقلون أخباره ﷺ إلى أهاليهم، مما مكنهم التعرف عليه وعلى أهدافه. وقد تمت تلك الاتصالات فيما بين سنوات ١١، ١٢، ١٣ منبعثة.

ومن أشهر من تشرف بمقابلة الرسول ﷺ: «سويد بن الصامت» الذي أسلم ونشر الإسلام بين قومه، إلا أنّ الخزرج قتلته قبل يوم بعاث.<sup>١</sup> و«إياس بن معاذ» الذي رأى في إسلام أهله تخلصاً من النزاع والتناحر بينهم، ليصبحوا بفضل الدين الجديد إخوة تزول بينهم أسباب العداء والقتال.

وكذلك تمت مبايعة ستة أفراد من الخزرج والإيمان به وبالإسلام: إنّا قد تركنا

---

١. بعاث، موضع جرت فيه حرب بين الأوس والخزرج.

قونا ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ مثل ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه، فلا رجل أعزّ منك.<sup>١</sup>

وكان لهؤلاء تأثيرهم الإيجابي في أهل يثرب، حيث أسلم عددٌ منهم، وقدم في السنة التالية ١٢ منبعثة، اثنا عشر رجلاً منهم، عقدوا مع النبي ﷺ بيعة العقبة، وهي أول بيعة في الإسلام، وكان أبرزهم: أسعد بن زرار، وعبادة الصامت.

وكان نصّ البيعة، بعد الاعتراف بالإسلام والإيمان بالله وبرسوله: «بَايعنا رسول الله ﷺ عَلَى أَلَا نُشَرِّكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نُسْرِقُ وَلَا نُزَرِّ، وَلَا نُقْتَلُ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِ بِهَتَانَ نَفْرِيهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلَا نُعَصِّيَ فِي مَعْرُوفٍ» ويرد عليهم الرسول ﷺ: «إِنْ وَفِيتُمْ فَلَكُمُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأُمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنْ شَاءَ عَذَّبْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرْ».

وطلبوا من النبي ﷺ أن يرسل إليهم من يعلّمهم القرآن والدين، إذ أنهم نشطوا في نشر الإسلام بعد عودتهم إلى يثرب، فبعث إليهم: «مصعب بن عمير» الداعية النشط الذي تمكن من أن يجمع المسلمين في غياب الرسول ﷺ ويؤمّهم ويصلّي بهم.<sup>٢</sup>

وهكذا فقد أحدث تقدُّم الإسلام في يثرب، هيجاناً كبيراً، وشوقاً عجياً في نفوس المسلمين من أهلها، فانتظروا حلول موسم الحجّ للإلتقاء بالرسول ﷺ، فخرجت قافلة كبيرة منهم ضمت ٥٠٠ نفر، فيهم ٧٣ مسلماً بينهم امرأتان،

١. تاريخ الطبرى: ٢/٨٦؛ السيرة النبوية: ١/٤٢٧؛ بحار الأنوار: ١٩/٢٥.

٢. السيرة النبوية: ١/٤٣٤؛ بحار الأنوار: ١٩/٢٥.

فاللتقوا بالرسول ﷺ الذي واعدهم بالعقبة: «موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالي التشريق»، وهي الليلة ١٣ من شهر ذي الحجّة، فاجتمع بهم مع عمه «العباس بن عبد المطلب» بعد أن مضى ثلث الليل ونام الناس، حتى لا يشعروا بخروجهم.

فتكلّم فيهم العباس قائلاً: إِنَّ مُحَمَّداً مَنَا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعَنَا مِنْ قَوْمَنَا، فَهُوَ فِي عَزَّ مِنْ قَوْمَهُ وَمَنْعَةٌ فِي بَلْدَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الْأَنْحِيَازُ إِلَيْكُمْ وَاللُّحُوقُ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ وَافْوَنَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُهُ إِلَيْهِ، وَمَانَعُوهُ مَنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحْمِلُتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَازِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ، فَمَنِ الْآنَ فَدَعَوْهُ، فَإِنَّهُ فِي عَزَّ وَمَنْعَةٍ مِنْ قَوْمَهُ وَبَلْدَهُ.

ثم تكلّم الرسول ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغّب في الإسلام ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم». فبایعوه على ذلك وهم في حماس وسرور عظيم.

كما أنّ النبي ﷺ عاهدهم على أن يبقى معهم، ويكون بجانبهم في سلمهم وحربهم: «أَحَارِبُ مِنْ حَارِبْتُمْ وَأَسَلَّمُ مِنْ سَالَمْتُمْ» ثم قال لهم: «أَخْرِجُوكُمْ إِلَيْنَا، اثْنَيْ عَشْرَ نَقِيبًا لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ». فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً، فقال ﷺ: «أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كَفَلَاءٌ كَفَالَّةُ الْحَوَارِيْنَ لَعِيسَى بْنَ مَرِيْمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي - أَيِّ الْمُسْلِمِينَ - فَأَبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مَا تَمْنَعُونِ نِسَاءَكُمْ وَأُولَادَكُمْ». فقالوا: نعم. فبایعوه على ذلك.

وكان النقباء ، ٩ من الخزرج و ٣ من الأوس، وقد انقضّ الجمع بعد ذلك، بعد أن وعدهم الرسول ﷺ أن يهاجر إليهم في الوقت المناسب.<sup>١</sup>

١. بحار الأنوار: ٢٥ / ١٩؛ السيرة النبوية: ٤١ / ١؛ طبقات ابن سعد: ٢٢١ / ١.

أما بخصوص قبول أهل يثرب الدين الإسلامي أسرع من أهل مكة الذين رفضوه خلال ثلاثة عشر عاماً، فإن هناك عاملين هامين كان لها التأثير المباشر القوي في ذلك:

١. وجود اليهود بالمدينة، وقيامهم بنشر الأخبار عن ظهور النبي محمد ودين جديد، مما هيأ أهلها لقبول هذا الدين الذي كانوا يتظرون به، الأمر الذي جعلهم أسرع في تقبيلهم للدعوة خلال البيعة الأولى، حين قال بعضهم لبعض: والله إن النبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقونكم إليه.

٢. كما أنّ الحرب الطويلة التي جرت بين أطراف أهل يثرب، والتي استمرت مائة وعشرين عاماً، قد أنهكتهم وكادت أن تذهب بما تبقى من رمهم، فملوا الحياة، وفقدوا كلّ أمل في تحسن الأحوال والأوضاع، فبحثوا عن مخلص لما هم فيه من حالة سيئة ومشكلات مزمنة. وهذا تمنّوا أن يضع النبي ﷺ حداً لأوضاعهم المتردية فقالوا: «عسى أن يجمعهم الله بك، فإن جمعهم الله بك فلا رجل أعزّ منك».

وقد أحدث كلّ ذلك خوفاً عجياً في قلوب قادة قريش وсадة مكة المشركين المتغطسين، إذ أن ذلك يعني أن المسلمين وجدوا قاعدة قوية في قلب الجزيرة العربية، تجمع كلّ طاقات المسلمين المبعثرة، وتعمل معاً في نشر دينهم وعقيدتهم، مما سيشكل خطراً جديداً يهدّدهم في الصميم، وهذا باذرت قريش في الاتصال بالخرجيين للاستفسار عما حدث في العقبة. فتحالف لهم المشركون من أهل يثرب أنه لم يحدث ما يؤذيهم أو يهدّد مصالحهم، ولم يعلموا عنه، وهم في قوفهم صادقون، إذ أنّهم لم يعلموا بها حدث في العقبة.

وحاولوا إلقاء القبض عليهم قبل خروجهم من مكة، إلا أنّهم كانوا قد

توجهوا قبل ذلك نحو المدينة، فظفروا بـ«سعد بن عبادة» الذي تولّوا ضريه بعد ربط يديه إلى عنقه، حتى خلّصه منهم: «المطعمُ بن عدي».<sup>١</sup>

وفي المدينة المنورة، كان قد أسلم فيها كُلُّ قبيلة «بني عبد الأشهل» قبل أن يروا النبي ﷺ فأصبحوا من الدعاة إلى الإسلام والمدافعين عن عقيدة التوحيد، بفضل نشاط الدعاة: مصعب بن عمير، وأسعد بن زارة، اللذين أثرا في إسلام قادة القبيلة: أُسید بن حضير وسعد بن معاذ، ثم إسلام الباقي.<sup>٢</sup>

وعندما اشتدّ إيداء قريش للمسلمين بعد إسلام جماعة من أهل يثرب، طلب بعضهم النجاة بنفسه والهجرة إلى أي مكان، فاستمهلهم الرسول ﷺ وقال: «لقد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها».<sup>٣</sup>

وبذا فقد ترك المسلمون مكةً وهاجروا إلى المدينة تدريجياً، حتى لا تعلم بهم قريش، إلا أن زعاءها فطنوا لسرهم، فمنعوا السفر والتنقل لأي مسلم، وإعادة كلّ من وجدوه أثناء الطريق، وحبس زوجة كلّ مسلم أراد الهجرة. ولكن لحسن الحظ، لم يشعر كل ذلك، فإنّ معظم المسلمين تمكّنوا من الفرار والهجرة إلى يثرب، ما عدا النبي ﷺ والإمام علي عليهما السلام وأبو بكر، وعدد قليل من المسجونين والمرضى من المسلمين. حتى حان الوقت الذي أقرّ فيه النبي ﷺ الهجرة من مكة في شهر ربيع الأول من السنة ١٣ منبعثة النبي المباركة.

## ٥. الهجرة الكبرى

اجتمع رؤساء قريش في دار الندوة، للتشاور فيما حدث أخيراً، من تجمع

١. السيرة النبوية: ٤٤٩ / ١. ٢. إعلام الورى: ٥٩؛ بحار الأنوار: ١٩ / ١٠.

٣. طبقات ابن سعد: ١ / ٢٢٦.

القوى والعناصر الإسلامية وتركزها في المدينة، فاتّخذوا قراراً قاطعاً وحاسماً وخطيراً، وهو القضاء على النبي ﷺ والخلص منه بقتله، بواسطة اشتراك جميع القبائل في هذا العمل الإجرامي حيث قال المقترح: فتختاروا من كل قبيلة رجلاً قوياً ثم تسلحوه حساماً عضباً، وليهجموا عليه بالليل ويقطّعوه إرباً، فيفترق دمه في قبائل قريش جميعها، فلا يستطيع بنو هاشم وبنو المطلب مناهضة قبائل قريش كلها في صاحبهم، فيرثون حيئتها بالدية منهم. فاستحسن الجميع هذا الرأي واتفقوا عليه، ثم اختاروا القتلة، على أن يؤدوا مهمتهم بالليل أثناء الظلام.<sup>١</sup>

إلا أن جبرائيل عليه السلام نزل على الرسول ﷺ وأبلغه بمؤامرة المشركين فقرأ عليه قول الله تعالى: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُشْتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يخْرُجُوكَ وَيَمْكُرونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ»<sup>٢</sup>.

ثم إن النبي ﷺ قرأن ينام شخص في فراشه ليتصور المشركون أنه ﷺ موجود في منزله لم يبرحه، فيرتکز عملهم على محاصرة البيت دون الاهتمام بمراقبة الطرق في نواحي مكة. فنام الإمام علي عليه السلام في فراش النبي ﷺ وحاصر المنزل أربعون فرداً من قريش، وخرج النبي ﷺ من الباب دون أن يشعر به أفراد قريش المكلّفون بقتله، حينماقرأ ﷺ سورة «يس» إلى قوله: «فَهُمْ لَا يُصْرُونَ». وخروج النبي ﷺ بهذه الصورة والكيفية، فسره البعض بأنّ القوم المحاصرين كانوا نياماً لحظة خروجه، إلا أن آخرين يرون إنّه خرج من البيت عن طريق الإعجاز والكرامة دون أن يروه ويحسّنا به.

وقبيل طلوع الفجر عند ساعة الصفر، هجم المتآمرون على فراش النبي ﷺ

١. طبقات ابن سعد: ١/٢٢٧؛ السيرة النبوية: ١/٤٨٠.

٢. الأنفال: ٣٠. ليشتك: ليسجنوك.

ففوجئوا بوجود الإمام علي عليه السلام يكشف عن نفسه، فغضبوا وندموا على انتظارهم الطويل حتى الفجر، ولاموا أبا جهل الذي منعهم من دخول البيت فحملوه مسؤولية فشل الخطة، ولكنهم أسرعوا في وضع خطة جديدة لترتيب أمر ملاحقة والقبض عليه.

وكان النبي عليه السلام وأبو بكر قد أمضيا ليلة الهجرة وليلتين آخرين في غار ثور الواقع في جنوب مكة، وذلك ليعمي على قريش فلا يتبعوا أثره، إذ أن الطريق إلى المدينة يقع في شمال مكة.

وبالنسبة إلى مصاحبة أبي بكر للنبي عليه السلام فهي مسألة تاريخية غامضة، فيعتقد البعض أنها كانت بالصدفة، أي أنه تقابل معه في الطريق فاصطحبه معه إلى غار ثور، بينما يرى آخرون أن النبي عليه السلام ذهب في نفس الليلة إلى منزل أبي بكر فخرجًا في منتصف الليل إلى الغار.<sup>١</sup> في حين أن فريقاً ثالثاً يذهب إلى أن أبو بكر جاء إلى النبي عليه السلام فأرشده الإمام علي عليه السلام إلى مخبأ النبي عليه السلام.

أما قريش فقد بادرت إلى بث العيون والجوايس في طرقات مكة، ومراقبة مداخلها ومخارجها، وبعثت القافلة تقتص أثره عليه في كل مكان وخاصة طريق مكة - المدينة، كما عينت مائة من الإبل جائزة لمن يقبض عليه عليه وسلم ويرده إليهم، أو من يأتي عنه بخبر صحيح.

وقد تمكّن المتبعون لأثر قدم الرسول عليه السلام من الوصول إليه عند باب الغار، إلا أنهم استبعدوا وجودهما فيه، نظراً لنسج العنكبوت وبيض الحمام. فاستمرت محاولات البحث ثلاثة أيام بلياليها دون جدوى.

<sup>١</sup> . تاريخ الطبرى: ٢٠٠ / ٢ .

وقد تردد على النبي ﷺ خلال تواجده في الغار: علي عليهما السلام وهند بن أبي هالة (ابن خديجة) حسب رواية الشيخ الطوسي في أماليه، وعبد الله بن أبي بكر وعامر ابن فهيرة راعي أغنام أبي بكر، حسب رواية كثير من المؤرخين.

والنقطة الهامة في هذه القضية هي مفادة الإمام علي عليهما السلام النبيّ بنفسه، وتعریض حياته خطراً الموت في سبيل الدين والإسلام وحياة النبي ﷺ، فهو نموذج رائع من الحبّ الحقيقى للحقّ، وقد مدحه الله تعالى في كتابه العظيم قائلاً: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَيْنَعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ»<sup>١</sup>.

وقد دفعت هذه العملية التضحوية الكبرى كبار علماء الإسلام إلى اعتبارها واحدة من أبرز وأكبر فضائل الإمام علي عليهما السلام وإلى وصفه بالفداء والبذل والإيثار، واعتبار الآية المذكورة في شأنه من المسلمات قليلاً بلغ الحديث في التفسير والتاريخ إليها.<sup>٢</sup>

وقد طلب النبي ﷺ من الإمام علي عليهما السلام أن يتبع بعيرين له ولصاحبه، فقال أبو بكر: قد كنت أعددتُ لي ولك يا نبي الله راحلتين نرتاحلها إلى يثرب، فدفع إليه الرسول ﷺ ثمنهما.<sup>٣</sup>

كما أوصى النبي ﷺ علياً عليهما السلام بأن يؤدي أمانته على أعين الناس، وأمره بترتيب رحلة الفواطم: فاطمة الزهراء عليهما السلام، وفاطمة بنت أسد أم الإمام علي عليهما السلام وفاطمة بنت الزبير، ومن يريد الهجرة معه منبني هاشم إلى يثرب، وما يحتاجون له من زاد وراحلة.

١. البقرة: ٢٠٧.

٢. مسنـد أـحمد: ١/٨٧؛ كـنزـ الـعـمالـ: ٦/٤٠٧؛ الـغـدـيرـ: ٢/٤٧.

٣. الـكـاملـ: ٢/٧٣؛ السـيـرةـ الـخـلـيـةـ: ٢/٥٣.

وقد هيأ الإمام عليه السلام أولاً ثلاث رواحلاً ودليلًا أميناً يدعى «أريقط» للترحال إلى المدينة، فخرج النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه مع صاحبه متوجهين إلى يثرب سالكين الخط الساحلي. ومن هذه الليلة يبدأ تاريخ المسلمين، حيث بدأوا يقيسون كلّ ما يقع منحوادث بذلك العام فيحددون تاريخه وزمان حدوثه.

ففي العام الأول للهجرة، حقق المسلمون انتصاراً عظيماً وباهراً، وتأسست لهم في حكومة مستقلة، وتحلّصوا من التشرذم والتبعثر، وتمركّز قواهم وعناصرهم في نقطة واحدة وبيئة حرّة، لا أثر فيها للكبت والاضطهاد، مما جعلهم لكل ذلك يتخدّون هذا العام مبدأً للتاريخهم.

فالنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بنفسه جعل التاريخ الهجري، وإن أي إعراض وتجاهل له واختيار تاريخ آخر مكانه، إعراض عن سنة رسول الإسلام الكريم صلوات الله عليه وآله وسلامه ومخالفة لما رسمه للمسلمين. وأما ما اشتهر بين المؤرخين من أن الخليفة «عمر بن الخطاب» هو الذي جعل هجرة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه مبدأً للتاريخ باقتراح وتأييد الإمام علي عليه السلام فهو غير صحيح، لأنّ شيئاً من الإمعان والتبصر في مراسلات النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ومكاتباته المدرجة في كتب التاريخ والسيرة والحديث، ثبت أنّ النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه هو الذي اعتمد تلك الحادثة الكبرى كمبداً للتاريخ، فقد أرّخ رسائله وكتبه إلى أمراء العرب وزعماء القبائل وغيرهم من الشخصيات البارزة، بذلك التاريخ الهجري، فهناك كثير من الكتب أرّخت قبل السنة ١٦ أو ١٧ من الهجرة، وقد يكون في السنة الخامسة الهجرية.

كما أنّ أصحابه صلوات الله عليه وآله وسلامه أرّخوا في أيام حياته، الحوادث الإسلامية بهجرته، فقالوا: وقع كذا في شهر كذا من الهجرة، فمثلاً قيل: حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في شهر شعبان، ستة عشر شهراً أو ١٧ شهراً أو ١٨ شهراً.

وفي السنة الخامسة من الهجرة ، أمر الرسول ﷺ بإحلال السنة المجرية  
مكان الشهر المجري .

## ٦. وصول النبي ﷺ إلى المدينة

تمكن «سراقة بن مالك» من اللحاق بالنبي ﷺ وأبي بكر وهم في الطريق إلى المدينة، فدعا عليه النبي ﷺ فجمح به فرسه وطرحه أرضاً، فعرف أن ذلك من دعاء النبي ﷺ عليه، فاعتذر له وطلب منه السماح له بالعودة على ألا يخبر أحداً بمكانها وموقعها. فعل، ورد كل من بحث عنها في الطريق.

أما الرسول ﷺ فقد وصل إلى قباء في ١٢ من شهر ربيع الأول، يوم الاثنين، ونزل على : «كلثوم بن الهرم» شيخبني عمرو بن عوف، ولبث في قباء إلى آخر الأسبوع، وبنى فيها مسجداً.<sup>١</sup>

وانتظر لحين قدوم الإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة عليها السلام حيث كان قد لحق به الكفار وحاولوا محاربته، إلا أنه عليه السلام تمكن من التخلص منهم، فتركه القوم خائفين من غضبه وقوته، فواصل سيره باتجاه المدينة، حيث وصلها في منتصف شهر ربيع الأول.

ولما انحدر النبي ﷺ من ثنية الوداع - وهي منطقة قرية من المدينة - وحط قدمه على تراب يشرب، استقبله الناس رجالاً ونساء، كباراً وصغرى، استقبلاً عظيماً، ورحبوا به أعظم ترحيب، مرددين أنا شيد فرحيـن به: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع .

١. تاريخ الخميس: ٣٣٨/١

وأصرّ القوم على النزول عند أحدهم، إلا أنّ النبي ﷺ كان يقول عن ناقته: «خلوا سبيلها فإنّها مأمورة». فانتهت الناقة إلى أرض واسعة كانت ليتيمين من الخررج يقال لها: «سهل و سهيل» كانوا في حجر أسعد بن زرار، فبركت على باب «أبي أيوب خالد بن يزيد الأنصاري»، فاغتنمت أم أيوب الفرصة وبادرت إلى رحل الرسول ﷺ فحلّت وأدخلته منزلاً، وعندما تنازع القوم في أخذها، قال الرسول ﷺ: «أين الرحل؟» فقالوا: أدخلته أم أيوب في بيتها، فقال ﷺ: «المرع مع رحله».

وقد اتفق كتاب السيرة على أنّ الرسول ﷺ دخل المدينة يوم الجمعة، حيث صلى الجمعة في بني سالم بن عوف، وهي أول جمعة جمعها ﷺ في الإسلام، وخطب أول خطبة في المدينة كان لها الأثر العميق في قلوب أهلها ونفوسهم.



## القسم الثاني

### المدينة المنورة - يشرب

و فيه فصول

- ٥ . الأحداث في المدينة المنورة
- ٦ . أحداث السنة الثالثة والرابعة من الهجرة
- ٧ . أحداث السنة الخامسة والسادسة من الهجرة
- ٨ . أحداث السنة السابعة والثامنة من الهجرة
- ٩ . أحداث السنة التاسعة والعشرة والحادية عشرة



## الفصل الخامس

### الأحداث في المدينة المنورة

- السنة الأولى من الهجرة
- بناء مسجد في المدينة المنورة
- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
- معاهدة التعايش السلمي مع اليهود
- السنة الثانية من الهجرة
- تغيير اتجاه القبلة
- معركة بدر ونتائجها الإيجابية
- العمليات العسكرية الصغرى
- زواج السيدّة فاطمة الزهراء عليها السلام.



## حوادث السنة الأولى من الهجرة

كان أول عمل رأى النبي ﷺ أن يقوم به قبل أي عمل آخر، هو أن يبني محلاً لل المسلمين ليتسنى لهم أن يعبدوا الله فيه ويدركوه في أوقات الصلوات، مضافاً إلى أنه كان هناك حاجة أكيدة لمركز يجتمع فيه أعضاء حزب الإسلام - حزب الله - كل أسبوع في يوم معين، ويتشاوروا في مصالحهم وشؤونهم، بجانب أدائهم صلاة العيد فيه مررتين كل عام. لم يكن المسجد في عهد الرسول ﷺ للعبادة فحسب، بل لتلقى فيه العلوم والمعارف الإسلامية والتربوية، إضافة إلى الأمور القضائية والفصل بين الخصومات وإصدار الحكم على الجرميين، فكان بمنزلة المحكمة في هذا اليوم. كما استخدمه الشعرا في إلقاء قصائدهم أمام الرسول ﷺ الذي اتخذ قاعة لإلقاء خطبه الحماسية والجهادية في تعبئة المسلمين ضد الكفار والمرتدين. مما يبين أن النبي ﷺ أراد بذلك أن يعلن للجميع أن دينه ليس مجرد أمر معنوي لا يتصل بالأمور الدنيوية، بل هو دين شامل كامل يهتم بالتقوى وشؤون المعيشة والأوضاع الاجتماعية.

وقد استمرت أغلبية المساجد على هذا المثال حتى مطلع القرن ٤ هـ حيث كانت تحول في غير أوقات الصلاة إلى مراكز لتدريس العلوم المتنوعة، بل إنها حتى بعدها فصلت المراكز العلمية عن المساجد فيها بعد، بقيت المدارس تبني بجانب المساجد، الأمر الذي جسد الصلة الوثيقة والارتباط الأقوى بين العلم والدين.

وفي بناء المسجد اشتراك النبي ﷺ بنفسه في عملية البناء، ينقل الحجارة واللبن، ويردد وهو يعمل: «لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة». وكان «عبار بن ياسر» من عمل بشدة وقوه مع الرسول ﷺ في البناء، إذ كان يحمل اللبن والأحجار بدل النبي ﷺ وبدل الآخرين، حتى شكا إليه ﷺ فعلهم وقال: يا رسول الله قتلوني يحملون علي ما لا يحملون. فقال له النبي ﷺ: «ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية». <sup>١</sup>

وبنى كذلك بجانب المسجد صفة يسكن فيها القراء والمهاجرون المحرومون، وكلف «عبدة بن الصامت» بأن يعلمهم الكتابة وقراءة القرآن.

ثم بعد ذلك بنيت منازله ومنازل أصحابه حول المسجد.

وفي هذه البيئة الجديدة، واجه النبي ﷺ ثلاث مشكلات أو قضايا أساسية:

١. قريش والوثنيين في شبه الجزيرة العربية.
٢. اليهود في المدينة أو خارجها، مع توافر الأموال لديهم.
٣. الاختلاف بين المهاجرين والأنصار، وبين الأنصار أنفسهم - الأوس

١. السيرة الخلبية: ٢ / ٧١؛ تاريخ الخميس: ١ / ٣٤٥.

والخرج - أي الجبهة الداخلية.

وقد تمكّن الرسول ﷺ من التغلب على تلك المشكلات والقضايا بأساليب حكيمه وسياسية محكمة. فبالنسبة إلى التناقضات بين فئات المجتمع، فقد عالجها بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، حينما جمعهم الرسول ﷺ وقال لهم: «تآخوا في الله أخوين أخوين». فأصبح هذا التآخي والوحدة بين الأطراف المتنازعة، طريقاً لحلّ المشكلات الأخرى. كما اختار علياً عليه السلام أخي لنفسه وقال: «يا عليّ أنت أخي في الدنيا والآخرة».

أما مشكلة يهود يشرب، فإنّ النبي ﷺ أدرك أنّه مالم تصلح الأوضاع الداخلية في المدينة، ومالم يضم اليهود إلى جانبه، أي أن يقيم وحدة سياسية متوسعة، فإنّ شجرة الإسلام لن تتمكن من النمو، بالإضافة إلى أنّه لن يتمكن من معالجة القضية الأخرى وهي خطر قريش. ومن هنا رأى النبي ﷺ أن يتقدّم بالتفاهم معهم بعقد معاهدة تعايش سلمي ودفاع مشترك بين الأنصار والمهاجرين، يقعّ عليها اليهود أيضاً.

وتعتبر هذه المعاهدة من أهمّ الأعمال، ومسندًا تاريخيًّاً قوي الدلالة، تكشف عن مدى التزام الرسول ﷺ بمبادئ الحرية والعدالة، كما تكشف عن حنكته السياسية حيث استفاد من هذه الوسيلة من أجل إيجاد جبهة متحدة قوية في وجه الحملات الخارجية، فهي في الواقع واحدة من أكبر الانتصارات السياسية التي أحرزتها الحكومة الإسلامية الناشئة في ذلك الوقت، بل هي أعظم معاهدة تاريخية على الإطلاق. وهي نموذج كامل لرعاية الإسلام وحرصه على مبدأ حرية الفكر والاعتقاد، وضرورة التعاون، وتوضيح حدود صلاحيات واختيارات القائد

ومسؤولية الموقعين عليها. وقد احترم فيها النبي ﷺ دين اليهود وشرؤاتهم في إطار شرائط معينة.

وبالإضافة إلى التعاهد مع يهود يثرب، فإن النبي ﷺ عقد مع طوائف اليهود الأخرى: بنى قريظة، بنى النضير، وبني قينقاع، معااهدات مماثلة فيما بعد، كان من أهمّ بنودها:

- عدم الاعتداء على الرسول ﷺ وأصحابه، فإن فعلوا فإن الرسول ﷺ في حلّ من سفك دمائهم وسبّي ذارياتهم ونسائهم والاستيلاء على أموالهم.

إلا أنّ اليهود تميّزوا بمحادلة النبي ﷺ وطرح الأسئلة العويصة عليه بغية إحراجه وزعزعة إيمان المسلمين به ﷺ، ولكن جميع تلك المخططات باءت بالفشل، وقلّ تأثيرها في صفوف المسلمين، بل إنّها ساعدت في الواقع على إقبال بعضهم على الإسلام، كما حدث لعبد الله بن سلام الذي كان من علماء اليهود وأخبارهم، أعلن إسلامه بعد سلسلة مناظرات ومجادلات مطولة، كما التحق بعده عالم آخر منهم هو «المخريق».

ولم يكتف اليهود بذلك أنّهم استخدمواً أسلوب المؤامرات والدسائس مثل: «فرق تسد» لإضعاف المسلمين، وذلك باستغلال روابط الماضي بين الأوس والخزرج؛ وإشارة العداء بينهم، وإقامة العلاقات السرية مع مشركي الأوس والخزرج والمنافقين، واشتراكهم صراحة في اعتداءات قريش على المسلمين في الحروب التي دارت بين الطرفين، فقدموا كلّ دعم ومساندة للوثنيين والعمل لصالحهم، كما اشتهروا بنقض العهود والمواثيق، الأمر الذي أدى إلى وقوع مصادمات وحروب مستمرة بينهم وبين المسلمين، نتج عنه إنهاء الوجود اليهودي

في المدينة.

أما المشكلة الأخيرة والمرتبطة بإعتداءات قريش، فإن الفصل القادم يتناولها بالتفصيل.

وقد أقام النبي ﷺ في المدينة، منذ ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة إلى شهر صفر من السنة الثانية. وأسلم في هذه الفترة من تبقى من الأوس والخزرج، ولم يبق دار من دور الأنصار إلّا أسلم أهلها، ماعدا بعض الفروع والعوائل من بقوا على شركهم، إلّا أنّهم أسلموا بعد معركة بدر.<sup>١</sup>

---

١. السيرة النبوية: ١/٥٠.

## أحداث السنة الثانية

### من الهجرة

تميّزت هذه الفترة بالاستعراضات العسكرية، والمناورات الحربية، واستعراض القوّة، التي أمر بها الرسول ﷺ منذ الشهر الثامن من الهجرة حتى رمضان من السنة الثانية، وهي أول مناورات عسكرية في تاريخ المسلمين. كما تميّزت الفترة بحدثين عظيمين كان لهما الأثر الكبير في حياة المسلمين وهما: واقعة بدر الكبرى، وتغيير جهة القبلة.

وقد راج في كتابات المؤرّخين وكتاب السيرة، مصطلح الغزوّة، والسرّية. فالغزوّة هي تلك العمليات العسكرية التي كان يقودها النبي ﷺ بنفسه. أمّا السرّية فهي مجموعات عسكرية صغيرة يقودها أحد قواده ، دون أن يشترك فيها الرسول ﷺ.

وقد أعد أول لواء عسكري بقيادة «حمزة بن عبد المطلب» حيث سيّره النبي ﷺ مع ثلاثين فرداً إلى سواحل البحر الأحمر حيث تمر في طرقاته قوافل قريش التجارية. ولم يحدث أي قتال بينهم . وبعث النبي ﷺ بسرية أخرى بقيادة «عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب»

في ستين فرداً بهدف التعرض لقافلة قريش التجارية. إلا أن قتالاً لم يجر بين الأطراف.

كما بعث سرية قادها «سعد بن أبي وقاص» لرصد تحركات قريش. أما في شهر صفر من السنة ٢ هـ فقد أناب على المدينة «سعد بن عبادة» وقاد بنفسه مجموعة من المهاجرين والأنصار للاحقة ركب قريش التجاري واعترضه، حتى بلغ «الأبواء»، ولكنه رجع دون أن يلقى أحداً منهم.<sup>١</sup>

وخرج أيضاً في شهر ربيع الأول من السنة نفسها مع ٢٠٠ فرد حتى وصل إلى «بواط» قرب ينبع، - على بعد ٩٠ كم من المدينة - ولكنه لم يظفر بقافلة قريش بقيادة «أميمة بن خلف».

كما أنه خرج في شهر جمادى الأولى لاعتراض أكبر قافلة تجارية لقريش خارجة من مكة نحو الشام، بقيادة «أبي سفيان» إلا أنه لم يلتقي بهم في «ذات العشيرة».

أما «عبد الله بن جحش» فقد بعثه الرسول ﷺ في شهر رجب على رأس أفراد، للاحقة قافلة قريش التجارية، فنزل نخلة - بين مكة والطائف - وتقابل مع قافلة قريشية بقيادة «عمرو بن الحضرمي» فباغتهم المسلمون وقاتلواهم واستولوا على أموالهم بالإضافة إلى القبض على أسرى.

إلا أن الرسول ﷺ ازعج لحدوث القتال في شهر رجب الحرام، وخاصة عندما استغلت أطراف عدّة كاليهود وقريش هذه القضية للتشهير بالرسول ﷺ وإنّه استخدم الشهر الحرام فسفوك فيه الدماء وأخذ الأموال.

١. تاريخ الخميس: ٣٦٣ / ١.

وكذلك المسلمون فقد عابوا على عبد الله بن جحش فعلته هذه. إلا أن آية قرآنية نزلت فأبعدت تلك المخاوف والحيرة التي أصبح فيها المسلمون.

وقد غنم المسلمون منها، فكانت أول غنيمة حصل عليها المسلمون، وأمّا الأسرى فلم يقبل النبي ﷺ إطلاق سراحهم إلا بعد أن تطلق قريش سراح أسيرين مسلمين، فتم تبادل الأسرى بين الطرفين.<sup>١</sup>

وبذا فإن الهدف من تلك العمليات العسكرية الصغرى، وإرسال القوات الصغيرة، كان هو تحصيل وجمع المعلومات عن العدو ورصد تحركاته وخططه، وليس كما ادعى المستشرقون، إنّها لمصادرة أموال قريش والسيطرة عليها لتقوية نفسه. إذ أن السرايا لم يتعد عدد أفرادها عن الستين أو الثمانين رجلاً، بينما كان يحرس قوافل قريش أعداد أكبر من ذلك، كما أن الهدف منها لم يكن مجرد القتال وسفك الدماء أو الانتقام، لأن الأعداد لم تكن كافية لإجراء قتال أو حرب مع العدو. ويؤكد ذلك ازدحام النبي ﷺ من حدوث القتال الذي جرى بين «ابن جحش» وبين أفراد من قريش، لأنّه: «ما أمرهم رسول الله ﷺ بالقتال في الشهر الحرام ولا غير الشهر الحرام، وإنّما أمرهم أن يتحسّسوا أخبار قريش». <sup>٢</sup>

كما أن النبي ﷺ لم يستخدم في تلك الغزوات الصغرى أحداً من الأنصار، وذلك لأنّهم بايعوه في «العقبة» على الدفاع عن المسلمين، فالمعاهدة بينهم كانت دفاعية، وقد تعهدوا بموجبها بالدفاع عن النبي ﷺ إذا قصده عدو، وبالرغم من ذلك، فإنه إذا خرج بنفسه قائداً للعمليات، فإنه كان يأخذ معه جماعة من الأنصار، تقوية لروابط الإخوة والوحدة بين المهاجرين والأنصار.

١. المغازي: ١٣؛ السيرة النبوية: ٦٠٣/١.

٢. المغازي: ١٦/١.

ويؤكد ذلك إنّه ﷺ لم يشركهم في عمليات قتالية هجومية ابتداء، إلاّ ما حدث بعد ذلك في معركة بدر.

و هكذا فإنّ النبي ﷺ استهدف من تلك السرايا والعمليات العسكرية التفتيسية، وعقد الاتفاques و المعاهدات العسكرية مع القبائل المتواجدة على خطوط التجارة المكية، هو إعلام قريش بقوّة المسلمين عسكرياً، وإنّ جميع طرق التجارة المكية أصبحت في متناول يده، بحيث غدا في إمكانه أن يشن إقتصاد مكة و يهدد خطوطهم، خاصة أنّ التجارة كانت عمود الاقتصاد المكي وأمراً حيوياً لهم، ولذا كان على قريش في هذه الحالة أن تعيد النظر في مواقفها العدائية، وحساباتها في ضوء الأحوال الجديدة، فترك للمسلمين حرية الدعوة والعقيدة، وتفتح لهم الطريق لزيارة بيت الله الحرام، ونشر التوحيد في أنحاء الجزيرة العربية وخاصة الحجاز.

## ١. تغيير اتجاه القبلة

أما الحدث الآخر المهام في هذه الفترة فكان تحويل القبلة إلى الكعبة، فقد تم في الشهر ١٧ من الهجرة، أي في شهر رجب، حين أصبحت قبلة المسلمين بمعنى أّنهم غدوا يتوجهون إلى المسجد الحرام أثناء الصلوات بدل بيت المقدس، فقد صلّى الرسول ﷺ عاماً في مكة نحو بيت المقدس. ولما زاد إيمان اليهود للرسول ﷺ بعد تنامي قوّة المسلمين وانتشار الإسلام، وقولهم: «أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا»<sup>١</sup>، فاغتنمَّ الرسول ﷺ لذلك وشق عليه، فانتظر فرحاً و حيّاً من

<sup>١</sup>. أو قوله: مادرى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هدينكم. مجمع البيان: ١/٢٥٥.

جانب الله، حتى نزلت الآية: «قَدْ نَرِى تَقْلِبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّنَّكَ قِبَلَةَ تَرْضَاها»<sup>١</sup>. فكان تغيير القبلة واحداً من مظاهر الابتعاد عن اليهود واجتنابهم، كما أنّ اتخاذ الكعبة قبلة، كان من شأنه كسب رضا العرب واستئلاة قلوبهم، وترغيبهم في الإسلام، تمهيداً لاعتناق دين التوحيد، ونبذ الأصنام، وخاصة أنّ الكعبة كانت موضع احترام العرب وتقديسهم منذ أن رفع النبي إبراهيم ﷺ قواعدها.

وقد تم التحويل خلال الركعة الثانية من صلاة الظهر، حين أخذ جرائيل عليه السلام يد النبي ﷺ وأداره نحو المسجد الحرام، فتبعه الرجال والنساء في المسجد، فتوجه الرجال مكان النساء واتخذت النساء مكان الرجال.<sup>٢</sup>

## ٢. معركة بدر

كان من أساليب النبي ﷺ في الحروب، جمع المعلومات حول استعدادات العدو، ومدى تهيئه ومكان تواجده وتركيزه، ومعنويات أفراده، وهي مسائل تحظى بالأهمية في المجال العسكري حتى اليوم. وحيث إن المعلومات التي تجمعت لدى الرسول ﷺ تؤكد أنّ قافلة كبيرة لقريش شارك فيها كلّ أهل مكة بأموالهم، ويحمل بضائعها ألف بعير، وتقيم بخمسين ألف دينار، ويقودها أبو سفيان بن حرب، في أربعين رجلاً، وحيث إنّ أموال المسلمين كانت قد صودرت في مكة على أيدي قريش، فإنّ الوقت كان مناسباً للمسلمين لاستعادة أموالهم،

١. البقرة: ١٤٤.

٢. بحار الأنوار: ٢٠١/١٩.

بالاحتفاظ بأموال قريش إلى أن يعيدوا إليهم أموالهم المصادرية، وإلا فإنهم يتصرفون في هذا المال كغنائم حرب يقسمونها فيما بينهم.

ولذا فإن النبي ﷺ خرج في ٣١٣ رجلاً، كان منهم ٨٢ من المهاجرين، و١٧٠ من الخزرج، و٦١ من الأوس، في يوم الاثنين الثامن من شهر رمضان، قاصداً تحقيق ذلك الهدف، وعقد رايتين سلم إحداهما إلى مصعب بن عمير والآخر وهي العقاب إلى الإمام علي عليه السلام، فوصل إلى «وادي ذفران».<sup>١</sup>

ونظراً لتخوف أبي سفيان من التعرض لهجوم من جانب المسلمين، فقد أرسل أحد رجاله إلى مكة يستغيث بهم لنصرته، مما دعا أهلها إلى الاستعداد والتجهز للخروج بقيادة رؤسائهم وعظامهم. وكان ذلك مفاجأة للنبي ﷺ الذي لم يعد رجاله للحرب والمواجهة العسكرية، بل هجوم يحصل منه على الأموال المصادرية. فعقد مجلساً للشورى استطلع فيه آراء رجاله في الانسحاب من الموقع إلى المدينة، أو مواجهة العدو القائم عسكرياً؟ فاتفق الجميع على المواجهة بالسير لمقابلة العدو رغم عددهم القليل، فتحركوا نحو بدر.<sup>٢</sup>

وبالأسلوب العسكري السليم عرف النبي ﷺ مكان العدو، وعددهم وزعماءهم كما عرف موعد وصوفهم إلى ماء بدر. فقال لأصحابه: «هذه مكة قد ألتكم بأفلاذ كبدها».<sup>٣</sup>

إلا أنّ أبي سفيان علم بمتلاحم المسلمين له ومطاردتهم لقافلته، فابتعد عن بدر عند رجوعه من الشام وتلّى جهة ساحل البحر الأحمر، وبعث أحدهم يخبر

١. كانت تمر به قافلة قريش التجارية، ويقع على مرحلتين من بدر.

٢. المغازي للواقدي: ٤٨؛ السيرة النبوية: ٦١٥/١.

٣. السيرة النبوية: ٦١٧/١.

قريشاً بإمكانية الإفلات من يد محمد ﷺ وأصحابه، ولكن «أبا جهل» أصرّ على مواصلة التقدم نحو يثرب وعدم الرجوع إلى مكة قائلاً: والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم عليه ثلثاً، فتنحر الجُرُر -الأباعر- ونطعم الطعام ونسقي الخمر، وتعزف لنا القيان والغنائم، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها. وكان لكلماته أثراً في تشجيعهم على السير نحو المدينة، فنزلوا في بدر.

أما في الجانب الإسلامي فقد تقدم الحباب بن المنذر باقتراح، على السير إلى أدنى ماء من القوم، ودفن العين والآبار، وبناء حوض يُملأ بالماء يستخدمونه للشرب، كما اقترح سعد بن معاذ بناء برج عسكري يقود منه النبي ﷺ العمليات العسكرية، ويشرف على سيرها، فيكون مأمناً له من كيد الأعداء.

أما قريش فقد تحركت باتجاه بدر صباح يوم ١٧ من شهر رمضان، فاستطلعوا أخبار المسلمين، فعرفوا عددهم وعدتهم. إلا أنَّه حدث انقسام في الرأي بينهم، حول الموقع، حين دعا بعض زعمائهم إلى ترك الموقع والعودة إلى مكة دون إجراء أي قتال أو إبداء أي عمل عدائي ضد المسلمين، كان من بينهم: عتبة بن ربيعة، الذي طلب منهم العودة إلى مكة دون حرب، إلا أنَّ أبا جهل تمكَّن من تغيير الموقف لصالح الحرب فحمَّسهم للقتال.

وكان التقليد المُتبَع عند العرب في الحروب، أن يبدأ القتال بالمارزات الفردية، ثم تقع بعدها الحملات الجماعية، فدعوا ثلاثة من صناديد قريش، المسلمين إلى المبارزة وهم: عتبة، وشيبة، وهما ابنا ربيعة بن عبد شمس، والوليد بن عتبة بن ربيعة، فخرج إليهم من المسلمين ثلاثة من الأنصار هم: عوف ومعاذ ابنا الحارث، وعبد الله بن رواحة. إلا أنَّ قريشاً رفضت منازلتهم وطلبت

أفراداً من مكة، فأمر النبي ﷺ عبيدة بن الحارث وحمزة وعلياً بالمبادرة. فبارز حمزة شيبة، وبارز عبيدة عتبة، وعلى بارز الوليد، ثم اتجه حمزة وعلي بعد الفراغ من قتل خصميهم إلى عتبة وقتله. وبعد هذه المبارة بدأ الهجوم العام وتزاحفو، فعدّل النبي ﷺ الصفوف ورجع إلى العريش - برج القيادة - فكان ينزل بين الحين والآخر ويحرضهم على القتال والمقاومة، فقد كان لكلمة أثرها العميق في النفس، والسوق إلى الجنة بالشهادة.

أما خسائر الحرب، في الأرواح والأموال، فإن المسلمين فقدوا ١٤ رجلاً، بينما قُتل من المشركين سبعون، وأُسر منهم سبعون، كان من أبرزهم: النضر بن الحارث، عقبة بن أبي معيط، وسهيل بن عمرو، والعباس بن عبد المطلب، وأبو العاص بن الربيع - صهر النبي ﷺ.

وقد دفن شهداء بدر في جانب من أرض المعركة، ولا تزال قبورهم موجودة، أما قتل المشركين فأمر الرسول ﷺ بإلقائهم في البئر، ووقف ﷺ عليها فخاطب القتلى قائلاً: «يا أهل القليب، بئس عشيرة النبي كتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وأواني الناس وقاتلتوني ونصرني الناس، ثم قال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإني قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً».<sup>١</sup>

ثم صلى العصر بالناس وغادر أرض المعركة - أرض بدر - قبل غروب الشمس، وقسم الغنائم بينهم أثناء الطريق على قدم المساواة ومنح ذوي الشهداء

١. السيرة النبوية: ٦٣٩ / ١؛ السيرة الخلبية: ٢ / ١٨٠. إن مسألة محادثة الرسول ﷺ مع رؤوس المشرك في البئر من مسلمات التاريخ والحديث، وقد أشار إليه كثير من المؤرخين والمحاذين، أبرزهم: صحيح البخاري ج ٥ في معركة بدر؛ صحيح مسلم: ٨، كتاب الجنة؛ سنن النسائي: ٤، باب أرواح المؤمنين؛ مسندي الإمام أحمد: ١٣١ / ٢؛ المعازى: ١١٢ / ١؛ بحار الأنوار: ٣٤٦ / ١٩.

أُسْهِمَّاً منها، كَمَا وَزَعَ خَمْسَهَا عَلَى الْمُشَارِكِينَ فِي الْمُعرِكَةِ، فَرِبَّمَا لَمْ تَكُنْ آيَةُ الْخَمْسِ قَدْ نَزَّلَتْ بَعْدَ آنِذَاكَ، أَوْ فَعَلَ ذَلِكَ لِمُصْلَحَةِ خَاصَّةٍ.

كَمَا قَرَرَ أُسْهِمَّاً لِلْأَشْخَاصِ لَمْ يَحْضُرُوا الْمُعرِكَةَ، لِأَسْبَابٍ خَاصَّةٍ بَعْدِهِمْ مِنْعَتِهِمْ مِنِ الْإِشْتِرَاكِ فِيهَا، أَوْ لِمَهَاتِهِنَّ خَاصَّةً أَنْيَطُوهَا فِي الْمَدِينَةِ وَالطَّرِقَاتِ. وَبَعْثَ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ رَوَاحَةَ، وَزَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، إِلَى الْمَدِينَةِ يَبْشِّرُونَ أَهْلَهَا بِالْإِنْتِصَارِ، إِلَّا أَنَّهُمَا عَلَيْهَا هُنَّا بِوَفَّةِ ابْنَةِ النَّبِيِّ ﷺ زَوْجَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ، فَامْتَزَجَتِ الْأَفْرَاجُ بِالْأَحْزَانِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَحْوِفُ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ وَالْمَنَافِقُونَ مِنْ الْإِنْتِصَارِ الْكَبِيرِ مِنْ جَانِبِ آخِرٍ.

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِإِشْتِرَاكِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي الْمُعرِكَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ أَمْرًا خَاصَّاً، لَأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَكَتَمَ إِسْلَامَهُ مُخَافَةً قَوْمَهُ وَكُرْهَةِ خَلَافَتِهِمْ مُثْلِ أَخِيهِ أَبِي طَالِبٍ، فَكَانَ يَسْاعِدُ النَّبِيِّ ﷺ وَيَنْبَهُ بِمُخْطَطَاتِ الْعُدُوِّ وَنَوَائِيْا وَتَحْرِكَاتِهِ وَاسْتِعْدَادِهِ، مُثْلِمًا عَمِلَ فِي مُعرِكَةٍ أَحَدَّ.

وَفِي مَكَّةَ، تَحَوَّلَتْ بِيَوْتِهِ إِلَى مَأْتِيمَ كَبِيرٍ وَنَاحَتْ قَرِيشُ عَلَى قَتْلَاهَا، إِلَّا أَنَّ أَبَا سَفِيَّانَ مَنَعَهُمْ مِنِ النَّوْحِ وَالبُكَاءِ عَلَى الْقَتْلِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الْاسْتِعْدَادِ لِلثَّأْرِ وَالْإِنْتِقَامِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَ: الْدَّهْنُ وَالنِّسَاءُ عَلَيْهِ حَرَامٌ حَتَّى أَغْزُو مُحَمَّداً.

وَقَدْ سَاعَدَتْ عِوَادَلَ كَثِيرَةٍ فِي إِنْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ بِبَدْرٍ، كَانَ أَهْمَّهَا:

١. عَدْمُ مَعْرِفَةِ الْمُسْلِمِينَ بِهَا لِدِيِّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ إِمْكَانِيَّاتِ بَشَرِيَّةٍ وَقَتَالِيَّةٍ، فَوَاجَهُوا الْأَمْرَ الْوَاقِعَ وَتَعَالَمُوا مِنْ دُونِ أَنْ يَبْطِئُهُمْ شَيْءٌ.
٢. تَقْلِيلُ عَدِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَعْيَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَعَدْدُ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَوَّلِ الْقَتَالِ، وَتَكْثِيرُ عَدِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَعْيَنِ الْكُفَّارِ أَثْنَاءِ الْحَرْبِ.

٣. الأمور الغيبية ، مثل مساعدة المطر ونزوله في هذه الفترة، ومساعدة الملائكة، وثبتت قلوب المؤمنين بواسطة هؤلاء الملائكة، وإلقاء الرعب في قلوب الكفار، حيث تشير الآيات القرآنية في سورة الأنفال وآل عمران إلى كل ذلك.

### نتائج وأثار معركة بدر

أعلن النبي ﷺ قراراً تاريخياً بعد المعركة خاصاً بأسلوب المعاملة مع الأسرى، وذلك بأنّ من علم منهم عشرة من الصبيان، الكتابة والقراءة، كان ذلك فداؤه وينخل سبيله دون أن يؤخذ منه مال.<sup>١</sup> وإنّ من دفع فدية قدرها ٤٠٠٠ درهم إلى ألف، خلّي سبيله، ومن كان فقيراً لا مال له، أفرج عنه دون فداء. وإن الباب مفتوح أمامهم للدخول في الإسلام لينعموا في كنفه مع المسلمين.

ولقد أحدث هذا القرار ردّ فعل كبير لدى عائلات مكة، دفعهم إلى تقديم الفداء إلى المسلمين لإطلاق سراحهم. وكان «أبو العاص بن الربيع» من ضمن الأسرى، وهو زوج زينب ابنة الرسول ﷺ التي تزوجها في الجahليّة، وثبت على دينه بعد إيمان بنات النبي ﷺ كلهما، فبعثت زينب في فدائه بهال فيه قladة كانت هدية أمّها السيدة خديجة عليهما السلام لها ليلة زفافها، فلما رأى الرسول ﷺ القladة، تذكّر زوجته الوفية وبكى بشدة، مما أثر في المسلمين فأطلقوا سراحه دونأخذ الفدية. وأخذ ﷺ على أبي العاص الميثاق بأن يخلّي سبيل زينب ويعتها إلى المدينة ففعل، مع إعلانه الإسلام فيما بعد.

ويعتبر تعليم الأولاد من قبل الأسرى المتعلمين، أول عملية تعليمية لمكافحة الأمية، وهي أعظم خطوة حضارية وثقافية.

١. السيرة الحلبية: ٢/١٩٣.

كما أنه كان لانتصار المسلمين أثر كبير على المراكز السياسية المتناثرة في شبه الجزيرة العربية، فكما كان له أثره القوي على قريش وأهلها، فإنه هدد مراكز أخرى في المدينة وخارجها، كاليهود الذين أبدوا تخوفهم من تطور قوة المسلمين، وخاصة يهودبني قينقاع، الذين بدأوا بتدبير المؤامرات، وممارسة الأعمال العدوانية ضد المسلمين، وإعلان الحرب الباردة بنشر الأكاذيب وبث المعلومات المزيفة، وإطلاق الشعارات القبيحة لتحقيرهم وتخريب سمعتهم وإضعاف معنوياتهم.

إلا أنهم بذلك، كانوا قد أعلنوا نقضهم لمعاهدة التعايش السلمي التي عقدها معهم الرسول الكريم ﷺ إبان قدومه إلى المدينة. وبالرغم من ذلك فإن النبي ﷺ حاول النصيحة بأن يتعايشوا معهم دون إظهار أي عمل تخريبي أو سيئ، وذلك لأن النبي ﷺ لم يكن يريد أن يرفع السلاح ويحاربهم حتى يحافظ على الأمان والاستقرار في يثرب، إذ لم يكن من المصلحة تفجير الموقف في هذه الفترة الحرجة، إلا أنهم أصرروا على موقفهم العدائى، دون أن يقتنعوا بالتغيير أو التخلّى عن مؤامراتهم، مما اضطر الرسول ﷺ إلى استخدام السلاح والقوة في الفرصة المناسبة، وقد حدثت تلك المناسبة، عندما اعتدى يهوديٌّ على امرأة عربية في السوق، بإظهار عورتها والضحك عليها، فقتله رجلٌ مسلمٌ، فاجتمع عليه عددٌ من اليهود فقتلوه، مما اعتبر الشرارة الأولى في إعلان الحرب عليهم. فسارعوا إلى حصونهم وقلاعهم خوفاً من هجوم المسلمين، فحاصرهم النبي ﷺ خمسة عشرة ليلة، قذف الله في قلوبهم الرعب ففقدوا القدرة على المقاومة، ونزلوا عند حكم النبي ﷺ وهو الجلاء عن المدينة، على أن يتركوا أسلحتهم وأموالهم ودورعهم، فخرجوا من المدينة إلى منطقة «أدراعات» في أطراف الشام.<sup>١</sup>

١. المغازي: ١٧٧؛ طبقات ابن سعد: ٢/٢٨.

واضطرت قريش في هذه السنة إلى أن تغير طريقها التجاري إلى الشام، خوفاً من تعرض المسلمين لهم، فاتفق على أن تتخذ طريق العراق، إلا أن المسلمين علموا بذلك، فأرسل الرسول ﷺ زيد بن حارثة في مائة نفر، تمكّنا من الاستيلاء على القافلة، وتقسيم الأموال على المسلمين، بعد فرار القوم.

والأهمية معركة بدر التي هي من المعارك الكبرى للإسلام، اكتسب المشاركون فيها منزلة خاصة بين المسلمين، فقد دعوا بالبدريين.

### ٣. العمليات العسكرية الصغيرة

وقد جرت في هذه السنة أيضاً عدة غزوات، كان أهمها:

**غزوة قرقرة الكلدر**: قرقرة الكلدر ناحية بين المعدن والمدينة يسكنها قبيلة بني سلم حيث بلغ النبي ﷺ أن القبيلة المذكورة تتهيأ للهجوم على يثرب فخرج **ﷺ** بنفسه لتأديبهم، إلا أنهم تفرقوا.

**غزوة السوق**: وذلك عندما قتل أبو سفيان رجلاً من الأنصار وأجيلاً له، وحرق بيته وزرعاً، على أساس أن له نذراً للثار من المسلمين بعد معركة بدر، بأن لا يقارب زوجته مالم يشار لقتلى بدر. فهاجمه المسلمون، إلا أنه فر وترك وراءه أكياس السوق.<sup>١</sup>

**غزوة ذي أمر**: وهو واد بطريق المدينة، وقد جرت عندما أعدّت قبيلة غطفان هجوماً على المدينة، فخرج الرسول ﷺ لمحاربتهم، ولكنهم فروا وهربوا. وأراد أحدهم أن يتخلّص من النبي ﷺ وهو مستريح تحت شجرة في وادي ذي

١. المغازي: ١٨٢؛ طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٠.

أمر، إلا أن النبي ﷺ تمكّن من السيطرة عليه بفعل معجزة إلهية، فأسلم الرجل.

#### ٤. زواج السيدة فاطمة الزهراء ؑ

تقدّم أشراف العرب للزواج من السيدة فاطمة سيدة النساء ؑ إذ تصوّروا أنّ كونهم ذوي شروء ومكانة اجتماعية مرموقة تؤهّلهم لذلك ولا يُرد لهم طلب، ولكنّهم أخطأوا في تصوّرهم، فلم يعلّموا أنّ زوج فاطمة ؑ لا يكون إلا كفوئها في التقوى والفضل والإيمان والإخلاص، وليس المال والشروع والجاه. ولما كان الرسول ﷺ يرد الخطاب بقوله : «أمرها بيد الله» فقد أدركوا أنّ زواجهما ليس سهلاً وبسيطاً. إلا أنّ الإمام علي ؑ حينما تقدّم إلى النبي ﷺ يخطبها وافق على طلبه وقال : «يا علي إنّه قد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك».

فدخل على السيدة فاطمة ؑ قائلاً : «إنّ علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته، وفضله وإسلامه، وإنّي قد سألت ربّي أن يزوجك خير خلقه وأحبّهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً، فما ترين؟».

فسكتت السيدة فاطمة ؑ ولم يرّ الرسول ﷺ في وجهها كراهة، فقال : «الله أكبر، سكوتها إقراراًها». <sup>١</sup>

ولما لم يكن الإمام علي ؑ يملك مالاً، أمره النبي ﷺ ببيع درعه لصرفه على نفقات الزواج، وكان مهرها ٥٠٠ درهم، وسكن أول الأمر في منزل أحد الصحابة بصورة مؤقتة، وعمل فرحاً وزفافاً جميلاً، وأطعم فيه كلّ المسلمين.

<sup>١</sup> بحار الأنوار: ٩٣ / ٤٣.

ونقل ابن بابويه، أن النبي ﷺ أمر بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة ظليلاً وأن يفرحن ويرجزن ويكتبن ويحمدن ولا يقولن ما لا يرضي الله. ثم دعا لها النبي ﷺ: «اللهم إجمع شملهما، وألف بين قلوبهما، واجعلهما وذرتيهما من ورثة جنة النعيم، وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، واجعل في ذرتيهما البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك، ويأمرون بما يرضيك. اللهم إنما أحب خلقك إلى فأحبهما، واجعل عليهما منك حافظاً، وإني أعيذهما بك وذرتيهما من الشيطان الرجيم». <sup>١</sup>

فكانـتـ أـفـضـلـ زـيـجـةـ فـيـ إـسـلـامـ وـأـكـثـرـهـ خـيـرـ وـبـرـكـةـ،ـ إـذـ أـنـجـبـاـ أـفـضـلـ الـأـوـلـادـ وـالـبـنـاتـ وـأـطـهـرـهـمـ:ـ الـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ السـبـطـانـ،ـ وـزـيـنـبـ ظـلـيلـةـ الـتـيـ اـشـهـرـتـ فـيـ نـصـرـةـ أـخـيـهـاـ بـكـرـبـلـاءـ.

أـمـاـ مـاـ دـسـهـ أـصـحـابـ الـأـقـلـامـ الـمـاجـورـةـ وـذـوـ الـنـفـوسـ الـضـعـيفـةـ وـالـقـلـوبـ الـحـاقـدـةـ مـنـ أـبـاطـيلـ وـتـرـهـاتـ حـولـ وجودـ خـلـافـ وـتـنـازـعـ بـيـنـ الـزـوـجـينـ الـطـاهـرـينـ،ـ فـنـكـذـبـهـ الـأـحـادـيـثـ الـكـثـيـرـةـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهـ ظـلـيلـةـ حـولـ مـكـانـهـاـ وـعـلـوـ شـائـنـهـاـ،ـ نـقـطـفـ مـنـهـاـ مـاـ يـلـيـ:

- «أـحـبـ النـاسـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ ظـلـيلـةـ مـنـ النـسـاءـ فـاطـمـةـ وـمـنـ الرـجـالـ عـلـيـهـ».

- «خـيـرـ رـجـالـكـمـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ،ـ وـخـيـرـ نـسـائـكـمـ فـاطـمـةـ بـنـتـ مـحـمـدـ».<sup>٢</sup>

١. بـحـارـ الـأـنـوارـ:ـ ٤٣ـ/ـ٩٦ـ.

٢. لـلـمـزـيدـ مـنـ الإـطـلـاعـ،ـ رـاجـعـ سـيـدـ الـمـرـسـلـيـنـ:ـ ٢ـ/ـ ١١٠ـ -ـ ١٢٠ـ.



## الفصل السادس

### ١. أحداث السنة الثالثة من الهجرة

- الدفاع عن الحرية والكرامة
- معركة أحد
- غزوة حمراء الأسد

### ٢. أحداث السنة الرابعة من الهجرة

- النتائج السلبية لمعركة أحد
- غزوة بنى النضير
- غزوة ذات الرقاع
- تحرير الخمر



## أحداث السنة الثالثة من الهجرة

### ١. معركة أحد

وهي سنة الدفاع عن الحرية والكرامة، وقد وقعت فيها معركة أحد التي تعدّ من أعظم المعارك في الإسلام.

فقد قرر كفار قريش إعلان الحرب على النبي ﷺ على أن تتكلّل قريش نفقاتها، فأعدّت ٤ آلاف مقاتل، إضافة إلى النساء اللائي هدفوا من اشتراكهن: تحريض الرجال على القتال، والصمود وعدم الفرار، وإشعال الحماس في النفوس، وإن فرار الرجال يعني أسرهن، فتصبح الغيرة والحمية سبباً للمقاومة والصمود. كما اشترك في الجيش عدد من العبيد والرقيق طمعاً في العتق الذي وعدوا به متى ما نصروا أسيادهم، مثل وحشي الحشبي.<sup>١</sup>

إلا أن العباس بن عبد المطلب الذي عاش بين قريش كائناً إيمانه، كتب تقريراً مفصلاً عن تلك الاستعدادات وأرسله مع رجل غفارى إلى النبي ﷺ الذي

---

١. بحار الأنوار: ٢٠/٩٦.

أُخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِالْأَمْرِ، ثُمَّ عَقَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ اجْتِمَاعًا عَسْكُرِيًّا لِلتَّشَاورِ مَعَ الْقَادِّيَّةِ وَأَهْلِ الْخَبْرِ فِي وَسَائِلِ مَوَاجِهَةِ الْعُدُوِّ، فَأَشَارَ «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بْنِ سَلْوَلٍ» - مِنْ مَنَافِقِي الْمَدِينَةِ - بِالْقَتَالِ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ، أَيْ لَا يَخْرُجُ الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا بَلْ يَقْاتِلُونَهُمْ حَرْبَ الشَّوَّارِعِ. إِلَّا أَنْ فَتِيَانَ الْمُسْلِمِينَ شَجَبُوا هَذَا الرَّأْيَ وَأَقْرَبُوا الْخُرُوجَ مِنَ الْمَدِينَةِ مَلَاقِيَّةَ الْعُدُوِّ، بَعْدَ أَنْ أَيَّدَ الرَّأْيَ السَّابِقَ أَكَابِرُ أَصْحَابِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. وَكَانَ حَمْزَةُ وَسَعْدُ بْنُ عَبَادَةِ عَلَى رَأْسِ الْقَائِلِينَ بِلِقَاءَ الْعُدُوِّ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، فَأَيَّدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْيَ الْأَكْثَرِيَّةِ بِالْخُرُوجِ لِلْحَرْبِ، إِذَا أَنَّ مَحاَصِرَةَ الْعُدُوِّ لِلْمَدِينَةِ وَسِيَطْرَتِهِ عَلَى مَدَاهِلِهَا وَطَرَقَاتِهَا وَسَكُوتُ جُنُودِ الإِسْلَامِ عَلَى ذَلِكَ، مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَقْتَلَ الرُّوحُ الْقَاتِلِيَّةُ وَالْفَرُوشِيَّةُ فِي أَبْنَاءِ الإِسْلَامِ الْمُجَاهِدِينَ.

وَكَانَ جَيْشُ الْكُفَّارِ قَدْ وَصَلَ أَطْرَافَ الْمَدِينَةِ، حَتَّى اسْتَقَرَ قَرْبَ جَبَلِ أَحَدٍ، يَوْمَ الْخَمِيسِ، الْخَامِسِ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ، فَاسْتَعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ لَبِسَ لَامِتَهُ وَالدُّرُّعَ وَتَقْلِدَ السَّيْفَ وَاعْتَمَّ، فَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، مَمَّا آثَارَ الْمُسْلِمِينَ وَهَزَّهُمْ بِشَدَّةٍ حَتَّى تَصَوَّرُ بَعْضُهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ أُجْبِرُوا عَلَى الْخُرُوجِ، فَطَلَّبُوا مِنْهُ الْمَعْذِرَةَ وَإِجْرَاءَ أَيِّ فَعْلٍ يَقْصِدُهُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَامِتَهُ أَنْ يَضْعُها حَتَّى يَقْاتِلَ». <sup>١</sup> ثُمَّ صَلَّى النَّاسُ الْجُمُعَةَ، وَخَرَجَ عَلَى رَأْسِ الْأَلْفِ مَقَاتِلٍ قَاصِدًا أَحَدًا.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَفَضَ اسْتِرَاكَ جَمَاعَةَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ تَحَالَّفُوا مَعَ «عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بْنِ سَلْوَلٍ» مَعَهُمْ، فَانْعَزَلُوا عَنِ الْجَيْشِ وَعَادُ بِثَلَاثِ النَّاسِ كُلَّهُمْ مِنَ الْأَوْسَاطِ الْمُتَحَالِفِينَ مَعَهُ، إِلَى الْمَدِينَةِ، بِحَجَّةِ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْذَ بِرَأْيِ الْفَتِيَّةِ وَالشَّيَّابِ. وَلِذَلِكَ لَمْ يَشْتَرِكْ الْيَهُودُ وَالْمَنَافِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ.

١. السيرة النبوية: ٢/٢٣؛ المغازي: ١/٢١٤؛ طبقات ابن سعد: ٢/٣٨.

وفي يوم السبت ٧ من شهر شوال، اصطف الجيش الإسلامي أمام قوى الشرك المعدية، فجعل ظهره إلى جبل أحد كمانع طبيعي يحفظ الخلف، ووضع جماعة من الرماة عند ثغرة في الجبل، عليهم «عبد الله بن جبير» وطلب منهم الالتزام بالموقع: «إلزموا مكانكم لا تبرحوا منه إن كانت لنا أو علينا فلا تفارقوا مكانكم».

إلا أن المسلمين انهزوا بعد انتصارهم في بداية المعركة نتيجة تجاهل هؤلاء الرماة لأوامر النبي ﷺ حين أخلوا هذا الموقع الاستراتيجي.

وكانت قريش قد أعدت تسعه رجال شجعان من بني الدار لحمل الراية، قتلهم الإمام علي عليه السلام جميعاً، كما قتل غلامهم حين بز أيضاً.<sup>١</sup> وبذل فإن النتيجة الأولية كانت هزيمة الكفار مخلفين وراءهم غنائم وأموالاً كثيرة، فانتصر المسلمون على عدوهم القوي عدداً وعدة، لأسباب منها:

— أئتم قاتلوا في مرضاة الله، ونشر عقيدة التوحيد، دون أن يهدفوا إلى مصلحة مادية.

ولكنّهم انهزوا بعد انتصارهم الساحق لأسباب كان أهمها:

— تغيير أهدافهم، فقد اتجهت أنظارهم إلى الغنائم في أرض المعركة، ونسوا أوامر النبي ﷺ وتعاليمه بالتمسك بها مهما حدث. وخاصة أولئك الرماة الحامين ظهر المسلمين على جبل أحد، حين تركوا مواقعهم ونزلوا إلى الساحة يريدون جمع الغنائم قائلين: «ولم نقيم هنا من غير شيء وقد هزم الله العدو، فلنذهب ونغنّم مع إخواننا». وهو الأمر الذي استغلّه «خالد بن الوليد» الذي كان آنذاك مع المشركين وكان يتربّص خلوق الثغرة من الرماة، فقتل باقي الرماة وكانوا عشرة من

١. بحار الأنوار: ٢٠ / ٨١.

حسين، ثم هاجم المسلمين الغافلين عن الوضع السئ والذين اشغلوه بجمع الغنائم، فتفرق جموعهم، واجتمع جنود قريش الهاريون فقاتلوا المسلمين قتالاً ضارياً، حتى قُتل منهم سبعون رجلاً. وعندما قتل أحد أبطال المشركين من قريش، حامل لواء الإسلام : «مصعب بن عمير» ظنَّ أنه الرسول ﷺ فصاح: قتلت محمدًا. فانتشر الخبر بين المسلمين وقريش الذين سرروا بذلك فصاحوا: ألا قد قتل محمد. فاضطرب المسلمون - بعد انفراط القيادة ، وإشاعة الفوضى والهرج والرج في الجيش - إلى أن يهرب معظمهم إلى الجبل تاركين أرض المعركة، إلآ عددًا قليلاً منهم.

وكان خمسة من صناديد قريش قد تعاهدوا على أن يضعوا نهاية حياة

النبي ﷺ مهما كلفهم الأمر، وهم:

١. عبد الله بن شهاب، الذي جرح جبهة النبي ﷺ.
٢. عتبة بن أبي وقاص، الذي رمى النبي ﷺ بأحجار فكسر رباعيته.
٣. ابن قميئه الليثي، الذي رمى وجنتي الرسول ﷺ وجرحهما.
٤. عبد الله بن حميد، الذي حمل على النبي ﷺ فقتله أبو دجانة بطل الإسلام.

٥. أبي بن خلف، الذي قتله الرسول ﷺ بيده عندما حمل عليه.

وقد دلت مواقف الرسول الكريم ﷺ في هذه المعركة وغيرها على شجاعته وقوته، وقد أكدتها الإمام علي عليه السلام قائلاً: «كنا إذا أحرر البأس، أتقينا برسول الله ﷺ فلم يكن أحد أقرب منا إلى العدو منه». <sup>١</sup>

١. شرح نهج البلاغة، فصل في غريب كلامه، رقم ٩.

ومن هنا فإن سلامة النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله وسلامه في هذه الحرب بل وفي عامه الحروب تعود في أكثر أسبابها إلى:

- حسن دفاعه عن دينه وعن نفسه، وإلى شجاعته وبأسه في المعارك، إضافة إلى تضحية تلك القلة من أصحابه الأويفاء الذين بذلوا غاية جهدهم للحفاظ على حياته وسلامته صلوات الله عليه وآله وسلامه وانتشر من هؤلاء:

١. الإمام علي صلوات الله عليه وآله وسلامه الذي بلغ ٢٦ عاماً من عمره، حيث قتل ١٢ من رجال قريش، والباقي وهم عشرة قتلهم باقي المسلمين. وهنا سمع هتاف بين النساء والأرض يقول: لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار.

٢. أبو دجانة، الذي جعل من نفسه ترساً يقي النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه من سيف الكفار.

٣. حزنة بن عبد المطلب، الذي دأب على حماية الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه من أذى المشركين دائماً في الظروف القاسية، إلا أن وحشى العبد قتله في هذه المعركة.

٤. أم عمارة، نسيبة المازنية، وقد باشرت القتال وذبت عن الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه بالسيف، ورمت بالقوس حتى جرحت. وقد أعجب النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بشجاعتها فأشاد ب موقفها يوم أحد: «لما قام نسيبة بنت كعب اليوم خير من فلان وفلان» فطلبت منه صلوات الله عليه وآله وسلامه أن يدعوا لها بالجنة فقال صلوات الله عليه وآله وسلامه: «بارك الله عليكم من أهل بيته رحمة الله، اللهم اجعلهم رفيقائي في الجنة».

وقد استغل أبو سفيان وقريش انتصارهم فاعتمدوا الإعلام المزيف في ذلك، بأن آهتهم أعظم من إله المسلمين، قاصداً من ذلك التأثير النفسي، فقد رأى أن الحملة النفسية وال الحرب الباردة يمكنها أن تحطم إيمان المسلمين.

أما هند زوجة أبي سفيان، فقد مثلت مع بعض النساء بجثث المسلمين،

من قطع الأنوف وجدع الآذان وسمل العيون وقطع الأصابع والأرجل والمذاكير، نكایة بالمسلمين وإطفاء للحقد الدفين. وقد بقرت هند صدر حمزة وأخرجت كبده ولاكته بين أسنانها، دون أن تستطيع أكله فعرفت بأكلة الأكباد، كما عرف أبناؤها فيما بعد ببني آكلة الأكباد.

وقال الرسول ﷺ عندما شاهد عمّه حمزة: «ما وقفتُ موقفاً قط أغrieve إلى من هذا».

وهكذا غادر كفار قريش أرض المعركة إلى مكة، أما المسلمين، فبعد أن صلى بهم النبي ﷺ الظهر والعصر، دفنا الشهداء واحداً واحداً أو اثنين اثنين، عند جبل أحد.<sup>١</sup>

أما الشهداء فكانوا ما بين ٧٠ أو ٨١ مسلماً على روايات مختلفة، ولم يتجاوز عدد قتلى قريش ٢٢ فرداً، وأما النبي ﷺ فقد عالجه السيدة فاطمة ؑ والإمام علي ؑ حينما رجع إلى المدينة.

### غزوة حراء الأسد

إلا أنَّ الوضع لم يستقر، بل أنَّ الأحداث استمرت إلى يوم الجمعة حيث غزوة «حرب الأسد».<sup>٢</sup> ذلك أنَّ اليهود والمنافقين أتباع «عبد الله بن أبي» استغلوا الوضع الخطير الذي أصبح فيه المسلمون، وكانوا قد سرروا لما أصابهم، ووجدوا البيوت حزينة يسمع منها أنين الجرحى والبكاء على الموتى والشهداء. ولما كان هناك

١. السيرة النبوية: ٩٨؛ بحار الأنوار: ٢٠/١٣١.

٢. تبعد عن المدينة ثمانية أميال.

خوف أن يؤدي ذلك إلى ضعف الجبهة الداخلية، إذ أنّ انهيار الوحدة والانسحاب في هذه الجبهة أخطر بكثير من تعرض البلاد لهجوم خارجي. ولذا فقد أمر ﷺ بلاحقة العدو في نفس هذه الليلة حتى يرهب العدو ويلشهق قوة المسلمين واتحادهم وأنّ ما أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.<sup>1</sup> فخرج الرسول ﷺ بأصحابه إلى «حمراء الأسد» مخلفاً على المدينة: ابن أمّ مكتوم.

وقد استطاع «معبد بن أبي معبد الخزاعي» رئيس بنى خزانة، الذي ارتبط بعلاقات ودية طيبة مع الرسول ﷺ وال المسلمين بالرغم من كفره وشركه، من أن ينوف أبا سفيان ويرعبه بما ذكره له عن قوة المسلمين، وأعدادهم وملحقتهم لقريش، مما دعاه إلى الانصراف عن مهاجمة المدينة مرة أخرى.

وفي هذه السنة (٣هـ)، أيضاً بعث الرسول ﷺ أيضاً السرايا، واشتهرت منها: سرية محمد بن مسلمة، عندما انزعج كعب بن الأشرف لانتصار المسلمين في بدر، وحاول إثارة قريش عليهم، فبدأ بإيذاء نساء المسلمين، مما جعل الرسول ﷺ يقرر التخلص منه، فأرسل إليه محمد بن مسلمة، الذي أعدّ خطة محكمة للقضاء عليه، فقتلوه بمساعدة أخيه بالرضاعة «أبونائلة». كما تخلّصوا من مفسد آخر هو: «أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي» الذي قام بنفس دور كعب بن الأشرف في إيذاء الرسول ﷺ وال المسلمين.

وفي هذه السنة، ولد السبط الإمام الحسن عليه السلام في ١٥ من شهر رمضان.

١. مجمع البيان: ٢/٢٣٥.

## أحداث السنة الرابعة من الهجرة

### ١. النتائج السلبية لمعركة أحد

بالرغم من إظهار المسلمين قوتهم، ومطاردتهم للعدو ومنعهم من مهاجمة المدينة، فإن المنافقين واليهود والشركين أعدوا المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين، وجهزوا العدة لمحاربتهم، مثل قبيلة «بني أسد» التي أرادت الهجوم على المدينة لنهاها، فأرسل الرسول ﷺ ١٥٠ فرداً بقيادة أبي مسلمة الذي تمكن من القضاء عليهم والتخلص منهم.

ومن المعروف أن النبي ﷺ كان يرسل الدعاة والبلغين من قراء القرآن الكريم، وال المسلمين بالأحكام الإسلامية وال تعاليم النبوية، لينقلوا تلك التعاليم والأحكام إلى الناس في المناطق البعيدة والأماكن النائية، كما كان يبعث من جانب آخر، السرايا والمجموعات العسكرية للقضاء على محاولات التمرد والمؤامرات، ليتسنى لهؤلاء البلغين والدعاة في ضوء الأمن والحرية والأمان، الدعوة إلى الإسلام وإرساء دعائم الحكومة الإسلامية في القلوب، وتنوير الأفكار وإيقاظ العقول. إلا أنه كان يحدث أن بعض القبائل المتوحشة والمتخلفة فكرياً وأخلاقياً كانت تعتمد

على هؤلاء المبلغين وقتلهم بصورة مفجعة مأساوية.<sup>١</sup> مثلما قامت به جماعة من قبيلة «عضل والقارة» الذين طلبوا القراء من الرسول ﷺ وغدروا بهم أثناء الطريق إلى مكان سكنهم. ومن قبلهم طلب أبو براء العامري في شهر صفر من هذه السنة، من الرسول ﷺ أن يبعث رجالاً إلى نجد يدعوهם للإسلام مع أنه لم يسلم، فقال الرسول ﷺ: «إني أخشى عليهم أهل نجد». ولكن أبو براء أعلن عن استعداده لإجاراتهم وضمان أمنهم فقال: أنا لهم جار، فبعث النبي ﷺ أربعين رجلاً من أصحابه الخيار من حفظة القرآن وأحكام الإسلام بقيادة «المندر بن عمرو» و معه كتاب إلى «عامر بن الطفيلي» أحد زعماء نجد، الذي قرر الغدر بهم، فقتل رسول المندر، وطلب من بنى عامر قتل المبلغين، إلا أنهم رفضوا على أساس أن لهم عقداً وجواراً مع أبي براء. فاستصرخ عليهم قبائل «بني سليم» الذين أجابوه، فأحاطوا بالدعاة وقاتلواهم حتى قتلواهم عن آخرهم بعد أن قاوموا بقوة وبسالة عظيمة. وتسمى هذه الحادثة بجريمة بئر معونة، التي لم ينسها الرسول ﷺ فكان يذكر شهداءها فترة من الزمان<sup>٢</sup>، كما أن تلك الحادثتان: الرجيع وبئر معونة، تركتا آثاراً سيئة، وخلفتا موجة من الحزن والأسى في نفوس المسلمين.

## ٢. غزوة بنى النضير

لقد طلب النبي ﷺ من يهود بنى النضير المساهمة في دفع دية اثنين قتلا خطأ، بموجب الاتفاقية المعقودة بين الرسول ﷺ واليهود، والتي تقضي بالتعاون فيما بينهم في تسديد الديمة، إلا أنهم أضمروا له الشر، حينما سار إليهم الرسول ﷺ

١. السيرة النبوية: ٢/١٦٩؛ طبقات ابن سعد: ٢/٥٥.

٢. السيرة النبوية: ٢/١٨٣؛ إمتناع الأسماء: ١/١٧٠.

في عدد قليل من أصحابه، وقصدوا قتله غدرًا، وذلك بإلقاء صخرة عليه من فوق البيت الذي أستند الرسول ﷺ إلى جداره، ولكنّه ﷺ علم بمؤامراتهم سواء من تحركاتهم المشبوهة، أو بخبر جاء من السماء، فترك المكان مسرعاً بالعودة إلى المدينة، دون أن يخبر أصحابه الذين انتظروه طويلاً دون جدوى. وقد أخبرهم عند عودتهم بالسبب: «همت اليهود بالغدر بي فأخبرني الله بذلك فقمت». <sup>١</sup>

ورداً على الموقف الغادر لليهود، فقد أمر الرسول ﷺ المسلمين بالإعداد لحربهم، وبعث رسالة إليهم مع «محمد بن مسلمة» يبلغ فيها سادتهم: «قد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممت به من الغدر بي. أخرجوا من بلادي، فقد أجللتكم عشرًا، فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه».

وكان حكم الرسول ﷺ هذا مطابقاً لما جاء في الميثاق الذي عقد بينهم عند دخوله المدينة: «ألا يعينوا على رسول الله ﷺ ولا على أحد أصحابه بلسان ولا يد ولا بسلاح في السر والعلانية، والله بذلك عليهم شهيد. فإن فعلوا فرسول الله في حل من سفك دمائهم وسببي ذرائهم ونسائهم وأخذ أموالهم». إلا أن المنافقين برئاسة «عبد الله بن أبي» اتصلوا ببني النضير يعرضون عليهم المساعدة والتعاون، بعدم تنفيذ أوامر الرسول ﷺ بالخروج من المدينة، مما دفعهم إلى اللجوء إلى حصونهم، والإعداد للحرب ومقاومة الرسول ﷺ حتى لا يسيطر المسلمون على ديارهم وبساتينهم وعتلكاتهم، وأرسل «حيي بن أخطب» إلى الرسول ﷺ: إننا لا نبرح من دارنا وأموالنا فاصنع ما أنت صانع؛ فما كان من النبي ﷺ إلا أن خرج إليهم، بعد أن استخلف على المدينة «ابن أم مكتوم» وسار لمحاصرة بني النضير،

١. طبقات ابن سعد: ٥٧/٢؛ إمتناع الأسماع: ١/١٧٨.

فاستمر الحصار ست ليال على رواية ابن هشام، أو ١٥ يوماً حسب الروايات الأخرى. وأمر الرسول ﷺ بقطع النخيل المحيطة بحصونهم، وإلقاء النار عليهم، حتى يكرهوا البقاء في تلك الديار بعد إعدام بساتينهم.

دفعهم ذلك فعلياً إلى الرضوخ لمطالب الرسول ﷺ بالجلاء عن موطنهم، على أن تحمل إبلهم ما لهم من مال دون أن يأخذوا السلاح والدروع، فرضى النبي ﷺ بذلك، فخرج جماعة منهم إلى خير وأخرى إلى الشام. أما تقسيم أموالهم فحيث إن المسلمين غنموها دون قتال - وهو الفيء - فـ<sup>فـ</sup>انه يعود أمره إلى الرسول ﷺ خاصة يضعه حيث يشاء ويصرفه فيما يرى من مصالح الإسلام، وقد فعل النبي ذلك وقسم المزارع والبساتين على المهاجرين فقط دون الأنصار، وذلك لما حرموا من ممتلكاتهم وثرواتهم في مكة، وقد أيده في ذلك: سعد بن عبادة وسعد بن معاذ.<sup>١</sup>

وقد جرت هذه الحادثة في ربيع الأول ٤ هـ وأورتها سورة الحشر في القرآن الكريم.

### ٣. غزوة ذات الرقاع

جاء الخبر إلى النبي ﷺ أن قبائل بني محارب وبني ثعلبة من قبائل غطفان، أعدتا للهجوم على المدينة، فسار إليهم النبي ﷺ وأذّهم، دون أن يحدث قتال، وأصاب بعض الغنائم.

كما خرج النبي ﷺ في قبة بلغت ١٥٠٠ فرد من المحاربين قاصداً بدرأ ملقاء أبي سفيان، الذي كان قد قرر في أحد أن يلتقي بهم في هذه السنة، إلا أنهم

١. إمتناع الأسماع: ١٨٢/١.

تغوفوا من مواجهة المسلمين، وذلك من أظهر الصور لحكمة النبي ﷺ في إجراءاته العسكرية، فقد أظهر قوته وعزمته أمامهم، مما كان له أثره القوي في نفوس الأعداء.

#### ٤. تحريم الخمر

وقد حرمَت في أربع مراحل تدريجية ضمن آيات أربع أظهرت الاستياء من الخمر، فبدأت من مرحلة مخففة حتى انتهت إلى مرحلة الإعلان عن التحريم القطعي. فالآيات الأربع منعت من الخمر، بعد أن وصفتها بالرجس وإنها نظير الميسر وإنها عمل شيطاني، مناقض للفلاح ومسبب للعداوة والبغضاء، وبذا فقد استطاع النبي ﷺ بهذه الآيات أن يظهر مجتمعه من أدران هذه العادة الشريرة التي انتشرت في البيئة بقوة، وكانت آفة متفشية ومتجذرة في المجتمع، بحيث إن معالجتها كانت تحتاج إلى وقت طويل وأسلوب مدروس، وقد تمحَّلت المجتمع أن يعالج هذا الوباء الاجتماعي من خلال إعداد الناس لمرحلة التحريم النهائي والقطعي تماماً، كما يفعل الطبيب للمرضى الذين يطول بهم المرض ولذا فإنها حرمَت في أربع مراحل.

وفي هذه السنة ولد السبط الأصغر للنبي ﷺ أي الإمام الحسين عليهما السلام في ٣ شعبان.

كما توفيت السيدة فاطمة بنت أسد أم الإمام علي عليهما السلام.  
وأمر الرسول ﷺ زيد بن حارثة أن يتعلم السريانية من اليهود.<sup>١</sup>

<sup>١</sup>. إمتناع السماع: ١٨٧؛ تاريخ الخميس: ١/٤٦٤.

## الفصل السابع

### ١. أحداث السنة الخامسة من الهجرة

- غزوة دومة الجندل
- غزوة الأحزاب
- زواج الرسول ﷺ بزینب بنت جحش
- غزوة بنی قریظة

### ٢. أحداث السنة السادسة من الهجرة

- قبيلة بنی حیان
- اليهود
- بنو غطفان
- غزوة بنی المصطلق
- قصة الإفك
- الحديبية



## أحداث السنة الخامسة من الهجرة

### ١. غزوة دومة الجندل<sup>١</sup>

خرج الرسول ﷺ في ألف من المسلمين إلها ما ذكر عن أهلها من أنهم يظلمون الناس والتجار وينسون الإغارة على المدينة، إلا أن الأهالي تركوها وهربوا منها عند اقتراب المسلمين منها، فأقام بها النبي ﷺ أيامًا ثم عاد إلى المدينة في ٢٠ من شهر ربيع الثاني، دون حدوث قتال.

### ٢. غزوة الأحزاب

بعد أن أجل الرسول ﷺ يهود بنى النضير عن المدينة، قرر زعماً لهم إجراء أعمال عدائية ضد المسلمين وذلك بالتأمر عليهم، فقدموا مكّة ليحرضوا قريشاً على حرب المسلمين بقولهم: إننا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فلقد جئنا لنحالفكم على عداوة محمد وقتاله، إن محمدًا قد وتركم ووترنا وأجلتنا عن المدينة من ديارنا وأموالنا. كما أنهم استخدموه أسلوبهم الملتوبي حتى يؤثروا في قريش

١. منطقة بين دمشق والمدينة؛ طبقات ابن سعد: ٤٤ / ٢.

ويجذبونهم لجانبهم، فأقرّوا لهم بأنّ ما عليه المشركون خيرٌ من دين محمد، بالرغم من أنّهم موحدون وقريش كفار يعبدون الأصنام، فكانت هذه وصمة عارٌ أضيفت إلى سجلّهم وتاريخهم المشؤوم.

وبذا فإنّهم شكّلوا اتحاداً -العرب واليهود- كما شاركتهم أحزاب أخرى، من بعض القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، وهي غطفان في نجد، وبنو سليم وبنو أسد وغيرها، ولذا سميت بمعركة الأحزاب، أو معركة الخندق، لما قام به المسلمون من حفر خندق حول المدينة للدفاع عنها.

وحينما جاء أحد رجال استخبارات النبي ﷺ بأخبار خروج تلك القوة الكبيرة، شاور ﷺ المسلمين في أساليب الحرب والدفاع، فاقترح سلمان الفارسي حفر خندق حول المدينة، حتى يمكن تحديد الموقع الذي سيحاربون فيه العدو، فشرعوا في حفريه واشترك النبي ﷺ بنفسه في أعمال الحفر مشاركاً للمسلمين همومهم وألامهم، كما كان له دوره المؤثر في تنشيط الآخرين ودفعهم للعمل السريع والاجتهاد فيه والتدقيق. ووصل طول الخندق نحو خمسة كيلومترات ونصف الكيلومتر (٥ و ٥ كم)، والعرض بمقدار خمسة أمتار، والعمق أيضاً خمسة أمتار، بحيث لا يمكن الفارس الماهر من عبوره بالقفز عليه. وانتهي من العمل فيه في ستة أيام. وفي هذه الفترة قال الرسول ﷺ في شأن سلمان: «سلمان من أهل البيت».<sup>١</sup>

وقام العدو بحصار المدينة شهراً، وبلغ عدد جيش المشركين، عشرة آلاف فرد، كان منهم أربعة آلاف من قريش، و٧٠٠ من بنى سليم، و١٠٠٠ من قبيلة

١. المغازي: ٤٤٦؛ الكامل في التاريخ: ٢٢٢/٢.

فزيارة، و ٣٥٠٠ مقاتل من بقية القبائل. أمّا عدد المسلمين فلم يتجاوز ٣ آلاف نزلوا في سفح جبل سلع في موضع مرتفع ومشرف على الخندق، يمكن منه مراقبة تحركات العدو ونشاطاته.

ولما كان الموسم موسم شتاء، والطعام قليلاً، وطالت فترة الحصار - شهر - فإن ذلك دفع المشركين إلى الاتصال بيهودبني قريظة الذين كانوا يعيشون داخل المدينة لمساندتهم، بالرغم من أنهم احترموا الميثاق الذي عقدوه مع الرسول ﷺ لأن «حيبي بن أخطب» تمكن من إقناعهم بنقض ذلك العقد للوقوف مع الأحزاب في حرب المسلمين. وقد تأكد رسول النبي ﷺ سعد بن عبادة و سعد بن معاذ رئيساً الأوس والخرج من مؤامرةبني قريظة ونقضهم للعهد، عندما توجها إلى حصونهم، فأخبرا النبي ﷺ بذلك.

وكان خطةهم التآمرية تقضي بأن يقوم بنو قريظة بالإغارة على أهل المدينة في الداخل، ويرعبوا أهلها ليخفف ذلك من الضغط على الكفار في موقع المعركة عند الخندق. إلا أنّ النبي ﷺ أرسل ٥٠٠ من رجاله بقيادة «زيد بن حارثة و مسلمة بن أسلم» لحراسة المدينة من الأعداء.

وأمّا في ميدان المعركة، فقد تمكن خمسة من شجعان المشركين من عبور الخندق وعلى رأسهم «عمرو بن عبد العامري» فطلبو المبارزة مع أبطال المسلمين. فقال الرسول ﷺ: «أيّكم يبرز إلى عمرو أضمن له الجنة؟». فقام الإمام علي عليه السلام قائلاً: «أنا له يا رسول الله»، وال القوم ناكسو رؤوسهم، وكأنّ على رؤوسهم الطير، وذلك لمكان عمرو وشجاعته المعروفة.<sup>١</sup>

١. المغازي: ٤٧٠ / ٢.

وبذا فقد بُرِزَ الإمام علي عليه السلام وقال النبي ﷺ هنا كلمته الخالدة: «بَرَزَ الإِيمَانُ كُلَّهُ إِلَى الشَّرْكِ كُلَّهُ». وتمكّن الإمام علي عليه السلام من التخلص من عمرو والقضاء عليه حين ضربه ضربة قوية على ساقيه فقطعهما، فكبّر الإمام علي عليه السلام يعلن انتصاره ومقتل عمرو، مما كان له أثره في العدو، فألقى الرعب في نفوسهم، فهربوا إلى مسكنهم تاركين الخندق، وسقط أحدهم بفرسه في الخندق وهو: «نوفل بن عبد الله» فرمي الحرس بالحجارة، مما جعله يطلب مقاتلة أحد المسلمين، فنزل إليه الإمام علي عليه السلام فقاتلته وقضى عليه في الخندق.<sup>١</sup>

ونظراً لضربة الإمام علي عليه السلام المؤثرة ذات النتيجة والفعالية، فقد قال عنها النبي ﷺ: «ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الشَّقَلين» إذ لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا دخله ذل بقتل عمرو بن عبد ود، على عكس ما حدث لبيوت المسلمين، فقد دخله بذلك العز والافتخار، فالضربة كانت في الواقع هزيمة للمشركين والأحزاب ونهاية لقوتهم، بالإضافة إلى الظروف السائدة، من قلة الطعام والعلف والبرد.

### عوامل تفرق الأحزاب

١. اختلاف قبائل غطفان وفرازة مع قريش وتخاذلهم في الهجوم، وخاصة عندما اتصل بهم النبي ﷺ للاتفاق على عودتهم وتراجعهم في مقابل مساعدتهم مادياً.
٢. مصرع فارسهم الأكبر عمرو بن عبدود الذي علقوا عليه الآمال في

١. بحار الأنوار: ٢٥٦ / ٢٠؛ تاريخ الطبرى: ٢٤٠ / ٢.

## الانتصار.

٣. دور «نعيم بن مسعود» في تفرقة أعداء الإسلام و إيقاع الخلاف بينهم، وكان قد أسلم حديثاً، فقد تمكّن بدهائه من التفرقة بين يهودبني قريظة وجيش الأحزاب، حيث أقنع اليهود بأن يأخذوا رهائن من العرب ليكونوا ضماناً في مقابل تعامل اليهود مع المشركين قائلين: «حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تسرعوا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه» وفي نفس الوقت طلب من قريش عدم إعطاء اليهود أحداً من رجالهم إذا طلبوا منهم ذلك، فإنهما سيرسلونهم إلى النبي ﷺ ليقتلهم.

وهكذا فقد جرى الأمر كما رسمه «ابن مسعود» إذ أن الأطراف المتحالفة تأكدت من النوايا السيئة فانسحبت بنو قريظة، وتفرق الشمل ورجع الكفار خائبين.

٤. عامل إلهي، حين بعث الله عليهم فجأة، العاصفة والريح واشتد البرد، فقلعت خيامهم وأطافت أضواءهم، فصاح بهم أبو سفيان: ارتحلوا فإني مرتحل. وقد سجل القرآن الكريم وقائع هذه المعركة وأشار إلى أبرز النقاط فيها ضمن ١٧ آية من سورة الأحزاب . ٢٥-٩

وقد قسمت الآيات الموضوع إلى ثلاثة أقسام:

١. آيات ترسم الوضع العام للمسلمين.
٢. آيات تتعرض لموقف المنافقين.
٣. آيات تبيّن موقف المؤمنين الصادقين.

فهي تؤكد دور عنابة الله بالمؤمنين وحمايتهم من أعدائهم الكافرين، كما أنها

تشرح الحالة العسكرية لل المسلمين، من حصار الأعداء لهم من كل جهة، مما ألقى الرعب في قلوب اليهود من أهل المدينة، وما أظهره المنافقون من إشاعات وتشكيكات بالوضع، لإلقاء روح الهزيمة بين الأفراد.

وبالتالي فهذه الواقعة التي انتهت في ٢٤ من شهر ذي القعدة، كانت امتحاناً اختباراً دقيقاً للنفوس والقلوب، ميزت الصادق عن المنافق، والموفون بالعهد وعن الناقضين له، كما كشفت عن أنّ وعد الله صادقة ومحققة متى توفرت شرائطها ومقدماها، كما أتها وأشارت إلى دور الطابور الخامس في إضعاف الجبهات، وأساليب مواجهتها.

### ٣. غزوة بنى قريظة

قرر النبي ﷺ معالجة قضية بنى قريظة بعد المعركة دون انتظار، وذلك بأمر من الله تعالى. فسار مع المسلمين ليحاصر حصونهم التي تحصنوا بها وأغلقوا الأبواب. وما كان اليوم - السبت - فإنّهم لم يبتغوا القتال فيه أو الحرب. ثم إنّ وفداً منهم طلب من النبي ﷺ أن يتركهم يخرجوا من المدينة بأموالهم مثلما فعل مع بنى النضير، أو يتركوا سلاحهم وأموالهم، فرفض النبي ﷺ مقترحاتهم ومطالعهم حتى لا يفعلوا فعل بنى النضير في تحريك العرب المشركين ضد المسلمين، ولذا فقد سلموا أنفسهم لل المسلمين دون أي شروط، فدخل المسلمون الحصن وجروهم من سلاحهم وحبسوهم حتى يتقرر مصيرهم، أو يحكم عليهم سعد بن معاذ الأوسي حلفهم. وفي المجلس الذي أعد لذلك، حكم سعد عليهم بقتل الرجال، وتقسيم أموالهم ونبي ذرائهم ونسائهم، رغم الإلحاح عليه بحسن الحكم في

حلفائه بنى قريظة.<sup>١</sup>

وقد استند في حكمه إلى:

أ: أنّ يهود بنى قريظة كانوا قد تعهدوا للنبي ﷺ بأنّهم لو تأمروا ضدّ المسلمين وناصروا أعداءهم أو أثاروا الفتنة والقلاقل، فإنّ للمسلمين الحق في قتلهم ومصادرة أموالهم وسيجي نسائهم.

ب: وأنّ حكمه جاء بمثل ما في شريعتهم.

ج: ما قد رأه بعينه مما صدر قبل ذلك من قبائل اليهود حين عفا عنهم النبي ﷺ ولكنّهم نقضوا عهودهم معه ﷺ وأثاروا الأجانب عليهم واشتركوا مع المشركين ضدّهم، الأمر الذي جعله يتخوف من أن يعرض هؤلاء مركز الإسلام للخطر من خلال مؤامراتهم. وخاصة أنّهم كانوا قد أخلوا بالأمن فترة من الزمن في المدينة، ولو لا الحراسة المكثفة التي عينها الرسول ﷺ لفعلوا أفظع الأمور والأعمال.

وقد قسمت الغنائم بين المسلمين بعد إخراج الخمس منها، وأعطي للفارس سهمان، وللرجل سهم واحد، وسلم الرسول ﷺ أموال الخمس لزيد بن حارثة، ليشتري بها السلاح والعتاد والخيل من نجد.<sup>٢</sup>

وقد استشهد سعد بن معاذ الذي كان قد جرح في معركة الخندق، بعد أحداث بنى قريظة. وانتهت هذه المشكلة في ١٩ من شهر ذي الحجة.

١. السيرة النبوية: ٢/٢٤٠؛ المغازى: ٢/٥١٠؛ زاد المعاد: ٢/٧٣.

٢. السيرة النبوية: ٢/٢٤١؛ تاريخ الطبرى: ٢/٢٥٠؛ زاد المعاد: ٢/٧٤.

#### ٤. زواج الرسول ﷺ بزینب بنت جحش

كان «زيد بن حارثة» قد سرقه قطاع الطرق وبايعوه في سوق عكاظ، فاشترىه حكيم بن حزام وأهداه لعمته السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنهما التي أهدته بدورها إلى النبي ﷺ بعد زواجهما. وقد دفعت أخلاق النبي ﷺ وسيرته الحسنة إلى أن يحبه زيد حباً شديداً إلى آخر عمره، حتى أنه فضل العيش معه رضي الله عنه على الرجوع إلى أهله.

ولما قرر النبي ﷺ بأمر من الله تعالى أن يحطّم التقاليد الجاهلية في المجتمع العربي، ليعيشوا جميعاً تحت لواء الإنسانية والتقوى إخوة متحابين، فقد زوج زيداً من ابنته عمته زينب بنت جحش، حفيدة عبد المطلب، مع ما بينهما من الاختلاف في مستوى الانتهاء القبلي والمكانة الاجتماعية إلا أن زواجهما لم يدم طويلاً فافترقا بعد الطلاق. ثم تزوجها النبي ﷺ وذلك للتخلص من تقليد جاهلي آخر متربّ في المجتمع، حيث كان يعتبر الابن المتبني كالابن الحقيقي، يعامله مثله تماماً في الحقوق والواجبات. ولذا فقد كلف الله تعالى نبيه ﷺ بأن يقضي على هذا التقاليد الجاهلي والسنة الخاطئة بإجراء عملي ظاهر للعيان، وهو التزوج من زينب مطلقة متبناه زيد: **﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدُ مِنْهَا وَطَرَا زَوْجُنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَذْعِيَّهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرَا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾**<sup>١</sup>.

١. الأحزاب: ٣٧.

## أحداث السنة السادسة

### من الهجرة

#### ١. اليهود

كان لابدّ من القضاء على خطر اليهود، إذا أراد المسلمون حياة الاستقرار والأمن، حتى لا تكرر قضية الأحزاب مرة أخرى، فأرسل النبي ﷺ مجموعة من شجعان الخزرج لتصفية هذا العنصر الحاقد، وكان على رأسهم: سلام بن أبي الحقيق، الذي عاش في خيبر، فخرجوا حتى وصلوا خيبر فدخلوها ليلاً، فدخلوا على المفسد وقتلوه، إذ طالما أزعج المسلمين بفتنه ومؤامراته، وعادوا إلى المدينة سالمين.

#### ٢. قبيلة بنى حيyan

قرر النبي ﷺ في هذه السنة تخويف هذه القبيلة، التي اعتدت من قبل على عدد من دعاء المسلمين غدرًا ودون رحمة، فقام بسلسلة من المناورات العسكرية واستعراض لقواته القتالية، ليرهب أعداء الله الآخرين أيضًا وقريش خاصة فيذعرهم حيث كان الرسول ﷺ وأصحابه قد نزلوا عسفان على مقربة من مكة،

وكان النبي ﷺ من رأيه، أنه : «لو هبتنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة». كما ذكر جابر بن عبد الله الأنصاري أنّ النبي ﷺ قال عند رجوعه إلى المدينة: «أعوذ بالله من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال».<sup>١</sup>

### ٣. بنو غطفان

في ٣ من شهر ربيع الأول، اعتدى جماعة من بني غطفان على إبل رسول الله ﷺ في منطقة الغابة – وهي قريبة من المدينة من ناحية الشام - وقتلوا رجالاً وأخذوا امرأة، فطاردهم الرسول ﷺ وقاتلهم في ذي قرد، واستعاد منهم المرأة وعدداً من الإبل .

### ٤. غزوة بني المصطلق

وهم من قبائل خزاعة المتحالفه مع قريش. قرر زعيمها «الحارث بن أبي ضرار» أن يغزو المدينة، فأعد الرسول ﷺ عدته للقضاء عليهم، فخرج عندما علم من رجال مخابراته بنواياتهم، فلقيهم عند ماء «المريسيع» وقاتلهم ففرقوا، وغنموا المسلمين منهم كثيراً كما سبوا عدداً كبيراً من نسائهم.

وبعد المعركة، حدث أن تقاتل اثنان من المهاجرين والأنصار على الماء، حتى كادت أن تقع حرب بين الطرفين، لو لا حكمة الرسول ﷺ الذي تمكّن من إخماد الفتنة في مهدّها، وتبنيّب المسلمين أخطارها. إلا أنّ عبد الله بن أبي رئيس المنافقين استغل الموقف فأثار الأنصار ضدّ المهاجرين، على أساس أنّهم أقل

١. تاريخ الطبرى: ٢٥٩/١؛ إمتناع الأسماع: ٥٣٥/٢؛ المغازى: ٢٥٤/٢.

مكانة منهم، مما تركت كلماته أثراً في نفوسهم، إذ أنهم ما زالوا يعانون من بقايا العصبية الجاهلية. وكادت الحركة أن توجه ضربة قاضية إلى صرح الوحدة الإسلامية والإخوة الإيمانية، ولكن زيد بن الأرقم ظهر من بين فتى المسلمين ليرد عليه بالكلمات القوية: «أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك، ومحمد في عز من الرحمن ومودة من المسلمين، والله لا أحبك بعد هذا أبداً». ثم سار إلى النبي ﷺ يخبره بها حدث من المنافق، فأراد الرسول أن يهدى الأوضاع، فأمر بالرحيل في ساعة من النهار لم يكن يرتحل فيها عادة، كما أنه سار ليلاً ونهاراً دون إستراحة إلّا للصلوة، وذلك حتى يشغلهم عن الذي حدث من عبد الله بن أبي المنافق.

وقد طلب ابنه عبد الله من النبي ﷺ أن يسمح له بقتل أبيه، حيث كان مسلماً حقيقةً أفضل من أبيه، ولكن الرسول ﷺ قال: «بل نترفق به ونحسن صحبه ما بقي معنا».

فما كان من المسلمين إلا أن توجّهوا باللوم على ابن أبيه، فلعله من ذلك ذل شديد بين الناس ، فلم يعبأ به أحد، ولم يعد له أي دور، وعاش بقية حياته محترقاً بين الناس.

وقد تزوج الرسول ﷺ «الجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار» التي كانت من بين سباياهم، فأسلمت وأسلم أهلها، ثم أطلق الباكون وهم مائة عائلة من بني المصطلق، إذ اعتبروا من أصهار النبي ﷺ، وأطلق جميع أسرى بني المصطلق رجالاً ونساء بفضل هذا الزواج المبارك، وبفضل سياسة النبي ﷺ الحكيمة.

وفي هذه السنة خرج جماعة من قريش تندد اللجوء إلى الحبشة خوفاً من قوة المسلمين، وكان فيهم عمرو بن العاص، الذي قدم المدايا الكثيرة إلى الملك،

الذي نصحه بأن يعلن إسلامه، إذ لا مفر من انتشار الإسلام في بلاده، فاضطر إلى أن يسلم على يديه، وكتم أمره عن أصحابه.<sup>١</sup>

#### ٥. قصة الإفك

يرى أكثر المحدثين المفسرين أنّ القصة ترتبط بالسيدة عائشة زوجة الرسول ﷺ، ويدركون أحدهاً لا يتلاءم بعضها مع عصمة الرسول الأعظم ﷺ ولذا لا يمكن القبول بها<sup>٢</sup> بينما يذهب آخرون إلى المعنى فيها هو مارية القبطية زوجة رسول الله ﷺ وأم إبراهيم.

ففي رواية البخاري التي نقلها عن السيدة عائشة، ما يتنافى بقوة مع عصمة النبي ﷺ، لأنّها تكشف عن أنه وقع في فريسة بأيدي الشائعات الكاذبة إلى درجة أنه غير سلوكه تجاه السيدة عائشة، بعد أن شك في عفافها وشاور أصحابه في أمرها.<sup>٣</sup> إنّ مثل هذا الموقف مع شخص بريء لا يوجد أي دليل على تهمته، لا يتنافى فقط مع مقام العصمة النبوية، بل حتى مع مقام المؤمن العادي. كما أن الآية ١٤ و ١٢ من سورة النور توبخ أولئك الذين وقعوا في فريسة الشائعات وظنوا السوء، مما يعني أنّ هذا العتاب والتوبية كان يعم الرسول ﷺ أيضاً لو صحت رواية البخاري هذه. ولذا فإنّه يُرفض كل الرواية المذكورة في شأن النزول الذي يتناقض مع عصمة الرسول ﷺ.

١. لاحظ الاختلاف في الموقف هنا وفي أول عهد الإسلام بمكة.

٢. الدر المتنوع: ٥ / ٢٤.

٣. صحيح البخاري: ٦ / ١٠٢، تفسير سورة النور.

وأمامًا بالنسبة لرواية البخاري الأخرى بشأن النزول، والتي ينقلها عن عائشة ومفادها: أنه حدث شجار وصدام بين الأوس والخزرج أمام الرسول ﷺ حينما كان يخطب على المنبر، فاتهموا بعضهم بعضاً بسبب قضية الإفك، حتى أشار عليهم ﷺ بالسكتوت فهدأهم حتى انصرفوا، فهي كذلك لا تتناسب مع أحداث التاريخ الصحيح، إذ أنّ «سعد بن معاذ» رئيس الأوس كان قد توفي قبل حادثة الإفك، التي جرت وقائعها بعد أحداث معركة بني قريظة، وقد صرّح بذلك البخاري نفسه في صحيحه<sup>١</sup>، في باب معركة الأحزاب وبني قريظة، فكيف يمكن أن يحضر مجلس النبي ﷺ ويجادل سعد بن عبادة في قضية الإفك التي وقعت بعد أحداث بني قريظة بعدة شهور؟

ولذا فمن المهم أن نعرف أنّ حزب التفاق حاول أن يزلزل النفوس بإلقاء التهمة والبهتان إلى إمرأة صالحة ذات مكانة وأهمية في المجتمع الإسلامي. وقد فسر قوله تعالى: «الذِّي تُولِّي كُبْرَه» بأنّ الذي تحمل القسط الأكبر من هذه العملية الخبيثة هو: «عبد الله بن أبي» فهو الذي قاد هذه العملية الرخيصة الخطيرة، كما صرحت بذلك السيدة عائشة نفسها<sup>٢</sup>. فقد كان «عبد الله بن أبي» يعمل بتجارة الجواري ويضعهن تحت تصرف الرجال للزنـا بهن، فيجني أرباحاً طائلة من وراء هذه التجارة البغيضة، حتى بعد انتشار الإسلام في المدينة. ولما كان يكرههن على البغاء، واشتكت إحدى نسائه من ذلك، فقد نزلت الآية الكريمة تشجب عمله الدني: «وَلَا تُكِرِّهُوْا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الِّيْغَاءِ إِنْ أَرْدَنَ تَحَصَّنَا لِتَبْتَغُوا

١. صحيح البخاري: ٥/١١٣.

٢. السيرة النبوية: ٢/٢٩٧، وقد فطن ابن هشام لهذه الناحية فترك ذكر سعد بن معاذ بينما غفل عنها البخاري في صحيحه.

عرض الحياة الدنيا<sup>١</sup> وعندما حدث العداء بينه وبين ابنه بعد واقعةبني المصطلق، عمد إلى فعل كلّ ما يشفي غليله ويذهب غيظه، كترويج الشائعات الكاذبة انتقاماً من المجتمع الإسلامي، ليعمل على بلبلة الرأي العام ويشغله بالتوازفه من القضايا، ويصرفه عن القضايا المهمة والمصيرية، إذ أنّ سلاح الشائعات يعتبر من الأسلحة المدمرة، وتستخدم في تشويه سمعة الأفراد الصالحين والمجتمع أيضاً.

أما الرواية الأخرى، فترى أنّ المقصود من الآية مارية القبطية، حيث اتهم فردٌ يدعى جريج بعد وفاة ابنها إبراهيم بأنه هو والد إبراهيم وليس النبي ﷺ فأرسل ﷺ الإمام علياً ليقتله، فصعد جريج إلى نخلة خوفاً من علي ﷺ وفتكه به، فتعقبه عليٌّ، فرمى بنفسه من فوقها فيبدت عورته، فإذا ليس له ما للرجال ولا له ما للنساء، فرجع علي ﷺ إلى النبي ﷺ فأخبره بما رأى، فقال النبي ﷺ: الحمد لله الذي صرف عننا السوء أهل البيت<sup>٢</sup>. وجميع هذه الروايات ضعيفة فلا يمكن القبول بها في شأن نزول آيات الإفك.

#### ٦. الحديبية: رحلة دينية سياسية

كانت السنة ٦ هـ تقرب من نهايتها حينما رأى الرسول ﷺ في المنام أنه دخل الكعبة وحلق رأسه وأخذ مفتاح البيت. فقصص رؤياه على أصحابه، وتفاعل بها خيراً.<sup>٣</sup>

١. النور: ٣٣.

٢. بالرغم ما ذكر عن الإمام علي عليه السلام أنه لم ينظر إلى عورة قط، ولذا قيل عنه كرم الله وجهه.

٣. مجمع البيان: ٩/١٢٦.

إنَّ هذه الرحلة الروحانية انتجت مصالح اجتماعية وسياسية، عزَّزَت مكانة المسلمين في الجزيرة العربية وساعدت على نشر الدين الإسلامي فيها، وذلك لأنَّ:

- القبائل العربية المشاركة تصورت أنَّ النبي ﷺ خالف كلَّ عقائد العرب وتقاليدهم الموروثة بما فيها الحج والعمرة، فأكَدَ بذلك الصلح وتجنب القتال في الشهر الحرام أنَّه لا يعارض تلك الطقوس الدينية، بل يعتبرها فريضة مقدسة مثل والد العرب الأكبر «إسماعيل بن إبراهيم» ويعمل على المحافظة على هذه التقاليد الدينية، مماً قلل من مخاوفهم تجاه الرسول ﷺ ودعوته.

- ولما لم يكن يحمل أسلحة معه على أساس حرمة الأشهر الحرم، فإنَّ ذلك غير من نظرة هؤلاء تجاه دعوة الإسلام حين شاهدوا الرسول ﷺ وهو يحرّم القتال في الشهر الحرام، ويدعو إلى رعاية هذه السنة الدينية القديمة.

- وستكون مناسبة يمكن المهاجرين فيها من زيارة وطنهم وأهاليهم وأقربائهم. أمَّا إذا منعوهم قريش من الدخول فإنَّ سمعتها هي تتعرض للخطر، ويتبَعُ عدواؤها، وينكشف للجميع بطلاق مواقفها، نظراً ل موقفها السيئ تجاه جماعة مسلمة أرادت أداء مراسم العمرة فقط.

- وإذا نجح المسلمون في سعيهم بأداء مناسك العمرة، فإنه سيكون أفضل إعلام لجميع مناطق العرب، إذ أنَّ نداء الإسلام سيتشرَّ في تلك البقاع والمناطق التي لم يصلها دعوة النبي ﷺ وبمبلغه حتى هذا الوقت.

- ولذا فإنَّ الرسول ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ للعمرَة داعياً القبائل المجاورة التي لم تزل على كفرها وشركها إلى مراقبة المسلمين في هذه الرحلة وبلغت أعدادهم ألف وأربعينألف أو ١٨٠٠ أو ١٦٠٠، أحرموا في ذي الحليفة فشاع في الجزيرة العربية أنَّ المسلمين متوجهون صوب مكة للعمرَة في شهر ذي القعدة.

وعند عُسفان، أخبروا الرسول ﷺ بأنّ قريشاً ترفض السماح لهم بالدخول إلى مكّة، كما أرسلت كتيبة من أفرادهم بقيادة: خالد بن الوليد، لتنفيذ الأوامر المعلنة، فغير الرسول ﷺ طريقه حتى لا يلتقي بخالد، سالكاً طرفاً وعرة حتى وصل الحديبية، التي بركت فيها ناقة الرسول ﷺ فنزلوا في ذلك المكان، إلّا أنّ خالد بن الوليد تكمن من الوصول بكتيبيته وحاط بهم وحاصر موكيتهم. ولكن النبي ﷺ لم يكن قد جاء ليحارب في سبيل دخول مكة، ولم يكن هذا هدفه، ولذا فإنّ التفاوض كان من أفضل الحلول لهذه المشكلة، فقال ﷺ: «لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلّا أعطيتهم إياها». فبلغ ذلك مسامع الجميع، فقرروا إرسال عدد من أفرادهم إلى الرسول ﷺ للتعرف على هدفه الأصلي من رحلته وجيئه إلى مكة، فبعثوا إليه بأربعة أشخاص لفهم موقف الرسول ﷺ فقال لهم ﷺ: «إنّا لم ننجي لقتال أحد ولكنّا جئنا معتمرين».

إلّا أنّ المندوبين أكدوا للMuslimين أنّ قريشاً لن تقبل بدخولهم مكة: «يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً». فذهب كلّ تلك المفاوضات سدى دون جدوى، مما جعل الرسول ﷺ يرسل مندوباً عنه إلى قريش يوضح الصورة الصحيحة لهدفهم، وهو زيارة بيت الله وأداء مناسك العمرة، إلّا أنّ قريشاً - خلافاً لكلّ الأعراف الدولية والاجتماعية - والتي تقضي بمحابية السفراء واحترامهم، عمدت إلى عقر الجمل الذي قدم عليه السفير والمندوب النبوى، بل كادوا أن يقتلوه أيضاً، لو لا تدخل جماعة من قادة العرب، فخللت سبيله ليعود إلى النبي ﷺ. كما أنّ قريشاً أرسلت كتيبة لإرهاب الرسول ﷺ وجماعته وإرعابهم ونهب شيء من أموالهم، إلّا أنّ الوضع لم يكن في صالحهم فقد أسرهم المسلمون وكانوا خمسين فرداً، فتدخل النبي ﷺ وعفا عنهم وخلّ سبيلهم، ليؤكد لهم أنه جاء يريد

السلام، وأنّ هؤلاء ينشدون الحرب والقتال.

واختار الرسول ﷺ «عمر بن الخطاب» لمهمة سفارة أخرى لقريش، لأنّه لم يكن قد أراق دم أيّ من المشركين حتى ذلك الوقت، ولكنّه اعتذر عن تحمل هذه المسؤولية المحفوفة بالمخاطر قائلاً: «يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكّة من بني عدي من يمنعني، ولكنّي أذلك على رجل أعزّ بها مني عثمان بن عفان». <sup>١</sup> إلا أنّ قريشاً ألقت القبض على عثمان وحبسوه، لعلّهم يتوصّلون إلى حلّ فيطلقوه ليبلغ الرسول ﷺ رأيهما. فلما أبطأ عثمان عنهم، وأوجد ذلك قلقاً شديداً في نفوس المسلمين، وخاصة إنّه أُشيع أنّ عثمان قتل، فإنّ المسلمين ثاروا وقرروا الانتقام والقتال، مما دعا النبي ﷺ إلى أن يجدد بيته مع المسلمين، فبايعوه تحت الشجرة على الاستقامة والثبات والوفاء، وحلّفوا ألا يتخلّوا عنه أبداً، وأن يدافعوا عن حياض الإسلام حتى النفس الأخير، وسميت هذه البيعة: بيعة الرضوان، التي ذكرها القرآن الكريم بقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتَحَاهُ قَرِيبًا﴾<sup>٢</sup>. وبذا فإنّ موقف المسلمين تحدّد في: إما دخول مكة وزيارة بيت الله، وإما القتال فيما لو تصلب موقف قريش الرافض لذلك. ولكن «عثمان بن عفان» رجع إليهم وأخبرهم أنّ اليمين التي التزمت بها قريش بمنعهم من دخول مكة هذا العام، هي التي تجعلهم في موقف متصلب رافض، وأنّهم سيرسلون إلى الرسول ﷺ من يتفاوض معه في هذا الشأن. وكُلّف سهيل بن عمرو بإثناء هذه

١. السيرة النبوية: ٢١٥، كما أتّ فيه وبين أبي سفيان قرابة، فهو أموي.

٢. الفتح: ١٨.

المشكلة. وننج عن التفاوض بين الطرفين عقد صلح شامل وواسع بينهما.

وفي الوقت الذي كان المنذوب القرشي يتصلب في بعض البنود والمواد، فإنّ النبي ﷺ كان يتناهى عنه ويتنازل عنها، مما كان له أثر بعيد، فالتسامح الذي أبداه الرسول ﷺ في تنظيم وثيقة الصلح، لا يعرف له نظير في تاريخ العالم، لأنّه أظهر بجلاءً أنّ رسول الله ﷺ لم يقع فريسة بيد الأهواء والأغراض الشخصية والعواطف والأحساس العابرة، فكان يعلم أنّ الحقائق لا تتبدل ولا تتغير بالكتابة والمحو، وهو ما جعله يتسامح مع مفاوض قريش الذي تصلب في مطالبه غير الشرعية، وذلك حفاظاً على أصل الصلح وحرصاً على السلام. وقد حدث خلال ذلك، أنّ طلب المنذوب القرشي بأن يمسح الرسول ﷺ ما كتبه: «بسم الله الرحمن الرحيم» ويكتب بدلاً منه: باسمك اللهم. كما طلب مسح كلمة «رسول الله» وإبدالها بمحمد بن عبد الله. فأجابه الرسول ﷺ إلى ذلك.

أما صلح الحديبية، فكان من أبرز بنوده:

١. وقف القتال عشر سنين بين الطرفين.
٢. من قدم إلى النبي من قريش دون إذن وليه، يردّه عليهم، ومن جاء قريشاً من محمد لا يردّه إليه.
٣. السماح بدخول أيّ طرف في التحالف مع أيّة أطراف.
٤. يرجع المسلمين هذا العام على أن يقدموا العام القادم للحجّة.
٥. لا يستقره أحدٌ على ترك دينه، ويعبد المسلمين الله بمكة بحرية وأمان.
٦. احترام الطرفين لأموالهم، فلا خيانة ولا سرقة.
٧. لا تعين قريش على محمد وأصحابه أحداً، سواء بسلاح أو أفراد.<sup>١</sup>

<sup>١</sup> بحار الأنوار: ٢٠/٣٥٢؛ السيرة الخلبية: ٣/٢١؛ مجمع البيان: ٩/١١٧.

ثم كتب الوثيقة بنسختين، ووقع عليها نفر من شخصيات قريش وال المسلمين شهوداً عليها، و وسلم سهيل بن عمرو نسخة قريش، و احتفظ النبي ﷺ بالنسخة الأخرى.

وكثيراً ما اعترض المسلمون على بعض البند، كالبند القاضي بتسليم كل مسلم سار إلى الرسول ﷺ من قريش، والعكس، فأوضحته الرسول ﷺ.

«من جاءهم منا فأبعده الله، ومن جاءنا منهم رددناه إليهم، فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً». فلا قيمة لإسلام وإيمان من يترك المسلمين ويهرب لاجئاً عند المشركين، إذ أنه يؤكد بفعله أنه لم يؤمن حقاً بالإسلام، ولذا لم يكن هناك حاجة لقبوله في جماعتهم.

وهذا الميثاق يؤكد نزاهة الإسلام وروحه وحقيقة تعاليمه، وأنه لم يُطلب نشره بقوة وإجبار، كما يذكره الأجانب وغيرهم دوماً.

وبعد الانتهاء من تلك المراسيم وعودة جماعة قريش، قام الرسول ﷺ ببحر ما كان معه من الهدي في نفس ذلك المكان وحلق، وأدى الآخرون نفس العملية، ثم عادوا إلى المدينة بعد ١٩ يوماً من البقاء في أرض الحدبية.

وكان لهذه المعاهدة نتائج وآثار بعيدة المدى، كان من أبرزها وأهمها:

- ١ . تهيئات الأرضية لنشر الإسلام في المناطق المختلفة، بعد استقرار الأمن والسلام بين المسلمين وقريش، فقد كان يقضى ﷺ أكثر وقته في العمل على إفشال المؤامرات والدفاع عن المدينة والدخول في حروب.
- ٢ . كان لا عratف قريش بالكيان الإسلامي رسمياً، دوره في منح القبائل حريتها في الانضمام إلى المسلمين إذا شاءوا.

٣. زال ستار الحديد الذي ضربه المشركون حول المسلمين في المدينة، فتمكن الناس من الارتحال إلى المدينة والتعرف عليها وعلى تعاليم الإسلام العليا، مما فسح المجال لهم في اعتناق الإسلام كما تمكن المسلمين من السفر إلى مكة وأجزاء أخرى، مما ساعد في نشر الإسلام في تلك الجهات.

٤. التحق عدد كبير من رؤوس الشرك والكفر «خالد بن الوليد و عمرو ابن العاص» بالمسلمين واعتنقوا الإسلام قبل فتح مكة.

٥. زال الحاجز النفسي بين قريش والمسلمين، حين أثبت الرسول ﷺ لهم بأنه معدن عظيم من معادن الخلق الإنساني الكريم، بعد صبره وتجلده وتحمله تصلب قادة المشركين وتعتّهم. فقد شاهدوا موقف النبي الأكرم ﷺ في مخالفته لآراء المعرضين من جماعته لبعض البنود عند توقيع العقد، وذلك في رغبة صادقة منه لإقرار السلام بين الجانبيين، فأبطل بذلك كل الدعايات والإشاعات المغرضة التي رُوّجت ضده و ضد دعوته المباركة، وأثبت أنه حقاً رجل سلام وداعية خير للبشرية، حتى لو سيطر على مقاليد الجزيرة العربية، فإنه سيعامل أعداءه باللطف والحسنى والتسامح.

ويؤكد ذلك قول الإمام الصادق ع عليهما السلام بعد ذلك: «وما كان قضية أعظم بركة منها». إذ لم يك النبى ع أن يصل إلى المدينة حتى نزلت سورة الفتح التي وعدت المسلمين وبشرتهم بالانتصار، مما اعتبر مقدمة لفتح مكة «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً».<sup>١</sup>

وكانت المادة الثانية من المعاهدة، والتي اختلف حولها المسلمون، هي التي

١. بحار الأنوار: ٢٠/٢٦٣؛ زاد المعاد: ٢/١٢٦.

تسبيب في الفتح بعد ذلك، لأنّ قريشاً طلبت من النبي ﷺ بعد فترة قصيرة من توقيع المعاهدة بإلغاء تلك المادة التي تنص: على الحكومة الإسلامية أن تعيد كلّ مسلم هارب من مكة إلى قريش، وليس عليها أن تعيد كلّ هارب من المسلمين.

ولما أثارت هذه المادة المسلمين، فإنّ النبي ﷺ طمأنهم حينما ذكر لأحدهم:  
«إِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكُم مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا يَرَوْنَ».

ذلك لأنّ بعض هؤلاء المسلمين الهاجرين تمكّنوا من تأسيس عصابة خاصة في مراكز بعيدة عن مكة والمدينة، للنيل من قوافل قريش التجارية والتعرض لها وقتل من يقع في أيديهم، الأمر الذي أفلق بالقريش، فراسلوا النبي ﷺ طالبين منه إلغاء هذه المادة للتخلص مما هم فيه من قلق وتوتر، فوافق الرسول الكريم ﷺ على ذلك، ولذلك انضم هؤلاء المسلمين المفترقون إلى جماعة المسلمين بالمدينة، إلا أنّ النبي ﷺ لم يقبل بإعادة المسلمين، كما حدث «لأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط» التي هاجرت إلى المدينة فطلبوها، ولكن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ نَصَرَ أَهْلَ الْكِفَّارِ وَأَخْرَجَ أَهْلَ الْمَسْكِنِ»<sup>١</sup>.

وقد جاء كل ذلك كما حكى القرآن الكريم في سورة المتحنة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾<sup>٢</sup>.

١. المعازي: ٦٣١ / ٢؛ السيرة النبوية: ٣٢٣ / ٢.

٢. المتحنة: ١٠.



## **الفصل الثامن**

### **١ . أحداث السنة السابعة من الهجرة**

- أحداث خير
- إعلان النبي ﷺ عن عالمية رسالته
- عمرة القضاء
- قصة فدك

### **٢ . أحداث السنة الثامنة من الهجرة**

- غزوة ذات السلاسل
- معركة مؤته
- معركة حنين
- فتح مكة
- غزوة الطائف



## أحداث السنة السابعة من الهجرة

### ١. إعلان النبي ﷺ عن رسالته عالمياً

كان من نتائج المعاهدة السابقة، أنها أعطت الفرصة للنبي ﷺ لفتح باب الاتصال مع زعماء وملوك العالم ورؤساء القبائل ورجال الدين المسيحي، فوجه إليهم الرسائل عبر سفرائه ورسله، وهي خطوة اتخذها الرسول ﷺ بعد ١٩ عاماً من الصراع مع قريش المتعنتة، فقد أشغلته الجبهة الداخلية ومشكلاتها وأجرته على أن يصرف كثيراً من وقته في ترتيب البيت الإسلامي، وشؤون الدفاع عن حياض الإسلام وكيان المسلمين.

ولدينا الآن نصوص ١٨٥ رسالة وكتاب من قبل رسول الله ﷺ أرسلها إلى عدة أطراف وشخصيات محلية وعالمية تدعوهם إلى تقبّل الدين الإسلامي، كما تتضمن عقد مواثيق عقدها مع رؤساء القبائل، قام بجمعها وضبطها أرباب السير وكتاب التاريخ، وهي تكشف عن أسلوب الإسلام في الدعوة والتبلیغ، وأنه يعتمد على المنطق والبرهان، لا على السيف والقهر، وعلى الإقناع لا الجبر.<sup>١</sup>

١. أفضل ما تناول الموضوع من مصادر كتابان: أ. الوثائق السياسية للبروفيسور محمد حيدر آبادي الأستاذ بجامعة باريس.

ب. مکاتیب الرسول للعلامة المحقق الشیخ علی الأحمدی. و هو يمتاز بتحقيقـات و تخلیقات أدبية وتاریخیـة و سیاسیـة إسلامیـة فـی غـایـة الأـہمـیـة.

فالدعوة الإسلامية كانت عالمية منذ ظهور الدعوة المحمدية، ويمكن الرد على المستشرقين المعادين للإسلام، والذين يؤكدون على عدم عالمية الدعوة المحمدية، وينظرون إليها بعين الشك والريبة، في محاولة للتعتيم على الحقيقة، فإن القرآن الكريم يظهر بوضوح في آياته التي تشهد بأنَّ النبي ﷺ دعا البشر عامة إلى التوحيد وإلى مبادئ رسالته، ولم يقتصر في ذلك على العرب:

- «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بُشِّرًا وَنَذِيرًا»<sup>١</sup>.

- «وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ»<sup>٢</sup>.

- «لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا»<sup>٣</sup>.

- «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينُ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كُفِّرُوا وَلَوْ كَرِهُ الْمُشْرِكُونَ»<sup>٤</sup>.

ولذا فإنَّ النبي ﷺ اختار ستة أفراد من خيرة أصحابه حملوا كتبه إلى الملوك، تضمنت دعوته العالمية، إلى مختلف جهات الأرض، فتوجه سفراء المداية ورسل الدعوة المحمدية في وقت واحد إلى: إيران والروم والحبشة ومصر واليابان والبحرين والخيرة، واتخذ من هذا اليوم الذي كتب فيه الرسائل خاتماً من فضة نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله، في الأعلى لفظة الجلالـة، وتليه كلمة رسول ثم يليه اسمه الشريف، فختم به الكتب. كما أنه ختم تلك الرسائل بالشمع أو الطين إمعاناً في السرية وحفظاً عليها من التزوير.

١. القلم: ٥٢.

.٢٨. سبا:

٤. التوبـة: ٣٣.

.٣٧. يس:

## ومن أبرز مبعوثيه ورسله إلى العالم:

١. دحية بن خليفة الكلبي: بعثه إلى قيصر الروم في القسطنطينية.

وقد توجه إلى بصرى حيث كان معه رسالة إلى حاكمها، فساعدته في الوصول إلى بيت المقدس التي كان قيصر الروم قد اتجه إليها. ولما قيل له أنّ عليه أن يسجد عند مقابلة قيصر، رفض على أساس أنه لا يسجد لغير الله: «إِنَّمَا جئْتُكُمْ مِّنْ قَبْلِ نَبِيٍّ لِّأَبْلَغُكُمْ بِمَا نَهَا إِنْهُ عَهْدُ الْبَشَرِ قَدْ انْفَضَى وَانْتَهَى، وَأَنَّهُ لَا يَحْقُّ السُّجُودُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَكَيْفَ يُمْكِنُنِي ذَلِكَ وَأَنَا أَحْمَلُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ التَّوْحِيدِيَّةِ إِلَيْكُمْ؟».<sup>١</sup>

وقرأ ترجمان القيسار كتاب النبي ﷺ إليه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى هَرقلِ عَظِيمِ الرُّومِ. سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدَى. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرْيَسِينِ. وَ{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةِ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْأَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُوا فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِإِنَّا مُسْلِمُونَ}». <sup>٢</sup> . محمد رسول الله».

وكان قيصر قد حصل على معلومات وافية عن الرسول ﷺ من أبي سفيان الذي كان متواجداً في هذا الوقت في الشام في تجارتة، كما كتب إلى أحد علماء الروم يسأل عنه ﷺ فأجابه:

«هذا النبي الذي كنا ننتظره، بشرنا به عيسى بن مريم». ولذا فإنّه دعا قومه إلى الإيمان به ﷺ وبالإسلام، إلا أنّهم رفضوا ذلك وثاروا عليه، فأسكنتهم، ثم أمر بإكرام دحية، وكتب جواباً على رسالة النبي ﷺ وأرسل معه هدية إلى ﷺ.

١. طبقات ابن سعد: ٢٥٩/١.

٢. آل عمران: ٦٤.

## ٢. عبد الله بن حذافة السهمي: إلى البلاط الفارسي.

حكم فارس خسرو برويز ثانى ملك بعد أنو شيروان، فجلس على العرش مدة ٣٢ عاماً قبل الهجرة النبوية، وتميز عهده بالاضطراب وعدم الاستقرار، بالرغم من أنّ الفسوز الإيرانى قد امتدّ حتى شمال آسيا الصغرى حتى مشارف القسطنطينية، كما استولى على صليب عيسى المقدس عند النصارى وأحضره إلى المدائن، إلا أنّ الأحوال السيئة وأساليب الحكم غير الصحيحة أدّت إلى ضعف هذه الدولة وخروج المستعمرات من تحت نفوذها، مما ساعد على اجتياح الروم لآراضي إيران، وهروب الامبراطور خسرو برويز، الذي أثار بذلك السخط عليه، فقتله ابنه شيرويه. وبرويز هذا هو الامبراطور الذي اشتهر بأنه مُرق رسالة النبي ﷺ وعامل رسوله بجفاء وسوء أدب، وفيما يلي نص الرسالة إليه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ。 مِنْ مُحَمَّدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كُسْرَى عَظِيمِ فَارِسِ۔ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدَى وَأَمْنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَشَهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، أَدْعُوكَ بِدُعَايَةِ اللَّهِ، فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ كَافِةً لِأَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيَاً، وَيَحْقِقُ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ۔ أَسْلِمْ تَسْلِمْ۔ فَإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمُجْوِسِ».

وقد مرق الإمبراطور الكتاب عند قراءة أول جملة منها دون أن يعلم ما كان فيها، ثم أمر بإخراج الرسول من قصره. وعندما أخبر النبي ﷺ بذلك قال: «اللَّهُمَّ مُرق ملْكَهٗ».<sup>١</sup>

إلا أنّ اليعقوبي، ينفرد برأي آخر، بأنّ الامبراطور الفارسي أرسل هدية من حرير ومسك إلى النبي ﷺ. ويوافقه على رأيه أحمد بن حنبل فقط الذي قال:

١. طبقات ابن سعد: ١/٢٦٠.

أهدى كسرى لرسول الله ﷺ فقبل منه.<sup>١</sup>

أما الإمبراطور المغرور فإنه طلب من واليه على اليمن باذان - التي كانت تتبع فارس - بأن يقبض على هذا النبي ويعشه إليه. فأرسل هذا إليه فارسين طلبا من النبي ﷺ أن يسلّم نفسه للإمبراطور الفارسي أو يقتلاه، فردد عليهما بأن عرض ﷺ عليهما الإسلام، على أن يعودا إليه في اليوم التالي. وفي هذه الفترة، تخلص ابن الإمبراطور الفارسي منه بقتله، فأخبر الله تعالى نبيه بذلك، فذكره للفارسين قائلاً: إنّ ربي قد قتل ربكم ليلة كذا من شهر كذا بعد ما مضى من الليل كذا، وسلط عليه شirovih فقتلته. وكانت الليلة الثلاثاء من العاشر من جمادى الأولى ٧هـ. فطلب السماح لهم بإخبار ملكهم باذان في اليمن بما جرى، فسمح لهم الرسول ﷺ: «نعم أخبراه ذلك عنِّي، إنّ ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى ويتنهى إلى متنه الخف والحاfer، وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكك على قومك».

ولما تأكد الوالي باذان في اليمن من صحة أقوال النبي ﷺ وما حدث بفارس، فإنه أعلن إسلامه مع جميع أعضاء حكومته - وهم من الفرس - وكتب بذلك إلى النبي ﷺ.<sup>٢</sup>

### ٣. حاطب بن أبي بلترة، إلى مصر:

وقد نصت الرسالة إلى المقوقس حاكم مصر: «أسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإنما عليك إثم القبط».

١. مسنّد أحمد بن حنبل: ٩٦/١.

٢. بحار الأنوار: ٢٠ / ٣٩١.

وقد توجه الرسول إلى الإسكندرية حيث كان يعيش هناك في قصر شامخ، وكان متساخماً، مما جعل حاطباً يتناول في خطابه إياه صورة الإسلام وقوة النبي ﷺ كما ذكر التوراة والإنجيل، وأن الإسلام هو الصورة الأكمل للدين المسيح، ثم إن المقوس طلب منه أن يصف الرسول ﷺ وبين مضمون دعوته، فقال، بعد أن سمع وصفه: «كنت أعلم أنّ نبياً بقي، وكنت أظن أنّ مخرجه بالشام فأراه قد خرج من أرض العرب. والقبط لا تطاوعني في اتباعه، وسيظهر على البلاد، وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما هاهنا».

ثم كتب كتاباً إلى النبي ﷺ: «أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعوه إليه، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لها مكان عظيم في القبط، وبثياب، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك». <sup>١</sup>  
وحينما تسلم النبي ﷺ كتابه وهداياه قال: «ضنّ بملكه ولا بقاء لملكه». <sup>٢</sup>

#### ٤. عمرو بن أمية الضميري، إلى الحبشة

اختير عمرو لتسليم كتاب النبي ﷺ إلى نجاشي الحبشة الملك العادل، وكان النبي ﷺ قد أرسل إليه من قبل رسائل بشأن المهاجرين المسلمين للاعتناء بهم ورعايتهم.

وشمل كتابه ﷺ هذه المرة دعوته إلى الدين: «أحمد الله الذي لا إله إلا هو الملك القدس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح الله وكلمته، وإنّ أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالة على طاعته وأن تبعني

١. طبقات ابن سعد: ١/٢٦٠. ٢. طبقات ابن سعد: ١/٢٦٠.

وتؤمن بالذى جاءنى، فإنّى رسول الله وإنّى أدعوك وجنودك. وقد بلغت ونصحت  
فأقبلوا نصيحتى، والسلام على من اتبع المهدى».<sup>١</sup>

ونظراً للعلاقات الطيبة بين الطرفين، فإنّ الرسول ﷺ بدأ كتابه بالسلام عليه  
ومرسلاً تحياته الشخصية، في حين أنه لم يفعل هذا في الكتب الأخرى التي أرسلت  
إلى كسرى وقيصر والمقوصين، فقد خصّه بالسلام عليه دون غيره من الزعماء.

أما النجاشي فقد اعترف بنبوة النبي ﷺ: «أشهد بالله أنه للنبي الذي يتمناه  
أهل الكتاب، وإنّ بشارة موسى براكب الحمار كبشرارة عيسى براكب الجمل، وأنّه  
ليس الخبر كالعيان، ولكن أعوانى من الحبشه قليل، فانظرني حتى أكثر الأعوان،  
وأليّن القلوب، ولو استطع أن آتىه لأتيته».<sup>٢</sup>

وكتب بذلك كتاباً إلى النبي ﷺ ذكر فيه: «إلى محمد رسول الله من النجاشي.  
سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى  
الإسلام. أشهد أنك رسول الله وقد بايعتك وبأيّعت ابن عمك وأسلمت على  
يديه الله رب العالمين. فإني أشهد أن ما تقول حقٌّ. والسلام عليك ورحمة الله  
وبركاته».<sup>٣</sup>

كما بعث إليه بهدايا خاصة.

##### ٥. شجاع بن وهب: إلى أمير الغساسنة:

انزعج ملكها «الحارث بن أبي شمر الغساني» مما قرأ في آخر الكتاب: «وإنّى

١. السيرة الخلبية: ٢٤٨/٣؛ إعلام الورى: ٤٥.

٢. السيرة الخلبية: ٢٤٨/٣؛ الطبقات الكبرى: ١/٢٥٩.

٣. تاريخ الطبرى: ٢٩٤/٢؛ بحار الأنوار: ٢٠/٣٩٢.

أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى ملوكك» فقال: من يتزع مني ملكي؟ أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئتـهـ وأعـدـ الجـيوـشـ واستـعـرـضـ قـوـتهـ العسكريـةـ أـمـامـ سـفـيرـ النـبـيـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إـرـعاـباـ وـخـوـيفـاـ، ثـمـ أـرـسـلـ إـلـىـ قـيـصـرـ بـنـوـيـاهـ، إـلـاـ أـنـ قـيـصـرـ هـدـاـ مـنـ ثـائـرـتـهـ وـكـتـبـ إـلـيـهـ يـمـنـعـهـ مـنـ السـيـرـ إـلـىـ رـسـوـلـ الـإـسـلـامـ، مـمـاـ كـانـ لـهـ الـأـثـرـ فـيـ تـغـيـيرـ مـوـقـفـهـ، فـأـكـرـمـ السـفـيرـ وـمـنـحـهـ هـدـاـيـاـ ثـمـيـنـةـ، وـوـجـهـهـ نـحـوـ الـمـدـيـنـةـ مـعـزـزاـ مـكـرـماـ، وـأـبـلـغـ السـلـامـ إـلـىـ النـبـيـ الـأـكـرـمـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إـلـاـ أـنـ النـبـيـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لـمـ يـقـبـلـ بـأـسـلـوـبـهـ الدـبـلـوـمـاسـيـ غـيرـ الصـادـقـ، فـقـالـ بـادـ مـلـكـهـ. أـيـ أـنـ مـلـكـهـ سـيـزـوـلـ عـمـاـ قـرـيبـ. فـهـاتـ الحـارـثـ فـيـ السـنـةـ ٨ـهــ أـيـ بـعـدـ عـامـ وـاحـدـ.<sup>١</sup>

#### ٦. سليط بن عمرو إلى ملك اليمامة: هودة بن علي الحنفي:

ونص خطابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه «إعلم إن ديني سيظهر إلى منتهي الخف والحافر (أي يعم الشرق والغرب) فأسلم وسلم واجعل لك ما تحت يديك».

وقد استطاع السفير بها أوقى من قوة في المنطق وشجاعة أدبية وخبرة بالأسفار، أن يقنع ملك اليمامة بقبول مبادئه وأهدافه. كما نصحه أحد الأساقفة بتقبل الدين الجديد، وأنه هو النبي الذي بشر به الإنجيل. فكتب كتاباً إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيه: «ما أحسن ما تدعونا إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل إلى بعض الأمر اتبعك» أي أنه طلب أن يجعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليفة من بعده. فقال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا ولا كرامة، لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت. اللهم أكفينيه.<sup>٢</sup>

١. السيرة الخلبية: ٢٥٥ / ٣؛ طبقات ابن سعد: ١ / ٢٦١.

٢. نفس المرجع السابق. سيابة من الأرض: أي قطعة من الأرض.

## آثار تلك الرسائل ونتائجها

أصبح هؤلاء السفراء والرسل دليلاً قاطعاً على عالمية الرسالة الإسلامية، إذ أنّ شعوراً كبيراً تعرفت على النبي العربي محمد ﷺ الذي تأثر به معظم هؤلاء القادة والملوك، فأصبح ظهوره ﷺ حديث الأوساط والمحافل الدينية بالإضافة إلى المراكز السياسية. فقد تمكنت هذه الرسائل من إثارة مشاعر تلك الشعوب المتحضرة ودفعتهم إلى البحث والتحقيق حول من يبشر به التوراة والإنجيل، وتسابقت أفواجٌ وفرقٌ عدة من رجال الدين وغيرهم بالقدوم إلى المدينة لدراسة أوضاع الدين الجديد والتعرف على مبادئه.

### ٢. أحداث خير: بؤرة الخطر

تقع خير على بعد ٣٢ فرسخاً من المدينة، وهي منطقة واسعة خصبة، سكنها اليهود وبنوا فيها الحصون والقلاع المتينة، وبلغ عدد سكانها ٢٠ ألف فرد. ولما كانوا من اشتراكوا في جيش الأحزاب وساعدوا المشركين في حربهم ضدّ النبي ﷺ وال المسلمين، فإنّ النبي ﷺ أسرع للقضاء عليهم وعلى خطفهم نحو الإسلام والمسلمين، إذ هم أشدّ تعصيًّا لدينهم، من تعصب قريش للوثنية، فقد كان يعلن ألف مشرك وثنى إسلامهم في مقابل يهودي واحد. كما أنّ النبي ﷺ تخوف من استغلال جهات أخرى معادية كالقيصر أو كسرى، هؤلاء اليهود في القضاء على الدولة الإسلامية، إذ لا يستبعد منهم ذلك، وخاصة أنّهم كانوا المحرضين لقريش في محاربة المسلمين.

ولذا فقد أعدَّ النبي ﷺ لغزو آخر مركز من مراكز اليهود في الجزيرة العربية وقال: لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد أما الغنيمة فلا، فخرج معه ألف و٦٠٠

مقالات.

وعندما وصل إلى المنطقة، قطع الطريق عن آية إمدادات عسكرية تأتي من الشمال وذلك بقطع خط الارتباط بين قبائل غطفان وفزانة ويهد خير، فلم تستطع هذه القبائل أن تمد حلفاءها اليهود بأي شيء طوال شهر هو مدة الحصار.<sup>١</sup>

ولما كانت حصونهم وقلاعهم متينة وقوية ومتعددة بمداريس قوية شديدة، فإنه كان لابد لفتحها من استخدام تكتيك عسكري مناسب، فكان أول عمل قام به الرسول ﷺ هو احتلال كل النقاط والطرق الحساسة ليلاً، بالسرعة والسرية.

أما اليهود فقد قرروا في اجتماعهم العسكري أن يضعوا الأطفال والنساء في حصن، والذخيرة من الطعام في حصن آخر، بينما يستقر المقاتلون على الأبراج يدافعون عن القلاع والمحصون، في الوقت الذي يخرج أبطالهم ليقاتلوا المسلمين ويبارزونهم خارج الحصون، ولذلك فإنهم تمكّنوا من مقاومة الجيش الإسلامي لمدة شهر، بحيث كانت محاولة فتح كل حصن تستغرق عشرة أيام دون نتيجة.

وقد فتح أول حصن وهو ناعم بعد أن استشهد في معاركه: محمود بن مسلمة الأنباري، وهو أحد فرسان المسلمين، وجراح خمسون مقاتلاً نقلوا إلى منطقة مخصصة للتمريض والعلاج، حيث سمح لبعض نساءبني غفار بالحضور إلى خير للمساعدة في التمريض والتضميد وتقديم خدمات أخرى في المعسكر. ثم جرى فتح حصن القموص وأسرت فيه «صفية بنت حبي بن أخطب» التي

١. الأمالى للطوسى: ١٦٤ . ويرى ابن هشام في سيرته: ٣٢٨ / ٢ أن خروج النبي ﷺ إلى خير كان في شهر حرم، بينما ذهب ابن سعد في الطبقات: ٧٧ / ٢ أنه كان في جمادى الثانية ٧ هـ. ولما كان إرسال الرسل والمندوبيين عنه ﷺ في شهر حرم، فإن الرأى الثاني هو الأقرب إلى الصحة.

أصبحت زوجة للرسول ﷺ فيها بعده.

ولكن الجوع استولى على المسلمين فاضطروا بسببه إلى تناول ما كره أكله من الأنعام، وكادوا أن يهلكوا، فأمر الرسول ﷺ أن تؤخذ شاتان من غنم اليهود إضطراراً، وأطلق البقية - من الأغنام - لتدخل الحصن بأمان. وقد سمح النبي ﷺ بذلك للاضطرار الذي يباح معه المحذور بقدرته، فدعا ربه: «اللهم إنك قد عرفت حالمهم، وأن ليست بهم قوة، وأن ليس بيدي شيء أعطيتهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غباء وأكثرها طعاماً». <sup>١</sup>

ثم بعث رجالاً معروفين من صحابته لفتح الحصون، إلا أن شيئاً جديداً لم يتم، فقال ﷺ:

«لأعطيين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار - أو كرار غير فرار - <sup>٢</sup> فبات كل واحد يتمنى أن يكون هو صاحب هذا النوط الخالد العظيم. وعندما بلغ الإمام علياً عليه السلام مقالة النبي ﷺ وهو في خيمته قال: «اللهم لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت». وفي الصباح طلب النبي ﷺ علياً عليه السلام فقيل أنّ به رد، فأتي به إلى النبي ﷺ فمرر يده الشريفة على عينيه ودعاه بخير فعوقي من ساعته، فدفع إليه اللواء ودعاه بالنصر، وأمره أن يبعث إلى اليهود قبل قتالهم، من يدعوه رؤساء الحصون إلى الإسلام، فإن أبوا ورفضوا، أمرهم بتسلیم أسلحتهم إلى الحكومة الإسلامية ليعيشوا تحت ظلّها بحرية وأمان شريطة أن يدفعوا الجزية. <sup>٣</sup> وإذا رفضوا قاتلهم. ثم قال ﷺ للإمام

١. السيرة النبوية: ٢/٣٢٢.

٢. جمع البيان: ٩/١٢٠؛ السيرة الخلبية: ٢/٣٧؛ السيرة النبوية: ٢/٣٣٤؛ إمتناع الأسماع: ١/٣١٤.

٣. صحيح مسلم: ٥/١٩٥؛ صحيح البخاري: ٥/١٨.

عليه السلام: «لَئِنْ يَهْدِي اللَّهُ بَكُّ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكُ حُمْرُ النَّعْمٍ».<sup>١</sup>

ومن ثم توجه الإمام علي عليه السلام إلى القلعتين المحصتين سالم والوطیح، والتي عجز المسلمون وقوادهم عن فتحها، فخرج إليه الحارت، أخوه مرحبا، فقاتلته الإمام علي عليه السلام وسقط على الأرض جثة هامدة بضربة من ضربات الإمام علي عليه السلام المشهورة، مما أغضب مرحبا أخيه فخرج غارقاً في الدروع والسلاح ليقاتل علياً عليه السلام الذي تمكّن من شق رأسه نصفين، فكانت ضربة قوية بحيث أفرزت من كان مع مرحبا من أبطال اليهود، ففروا لاجئين إلى الحصن. وبقي آخرون منهم قاتلوا علياً منازلة، فقضى عليهم الإمام علي عليه السلام ثم لحق بالفارين إلى الحصن، فضربه أحدهم فطاح ترسه من يده، إلا أن الإمام علي عليه السلام تناول بباباً كان على الحصن فانتزعه من مكانه واستخدمه ترساً يحمي نفسه حتى فرغ من القتال. وبعد ذلك حاول ثانية من أبطال المسلمين، كان منهم أبو رافع مولى النبي عليهما السلام أن يقلّبوا ذلك الباب أو يحرّكوه فلم يقدروا.<sup>٢</sup>

ونقل الشيخ المفيد في إرشاده بسند خاص عن أمير المؤمنين علي عليه السلام بخصوص الباب، قوله: «لَا عَالِجْتُ بَابَ خَيْرٍ جَعَلَتْهُ مَجْنَانِي فَقَاتَلْتُهُ بِهِ، فَلَمَّا أَخْرَاهُمُ اللَّهُ وَضَعَتُ الْبَابَ عَلَى حَصْنِهِمْ طَرِيقاً ثُمَّ رَمَيْتُ بِهِ فِي خَنْدَقِهِمْ».<sup>٣</sup>

وأما المؤرخون فقد نقلوا قضايا عجيبة حول قلع باب خير وعن بطولات الإمام علي عليه السلام في فتح الحصن، إلا أن جميعها لا تتمشى ولا تتيسر مع القدرة البشرية المتعارفة، ولا يمكن أن تصدر منها، حتى أن الإمام علي عليه السلام نفسه يرفع كل شك في

١. السيرة الخلبية: ٢/٣٧.

٢. تاريخ الطبرى: ٩٤/٢؛ السيرة النبوية: ٣٤٩/٢؛ تاريخ الخميس: ٤٧/٢.

٣. إرشاد المفيد: ٦٢.

هذا بقوله: «ما قلعتها بقوّة بشرّيّة، ولكن قلعتها بقوّة إلهيّة، ونفسي بلقاء ربّها مطمئنة رضيّة».<sup>١</sup>

وهكذا انتهت الحرب بانتصار المسلمين، الذي كان وراءه ثلاثة عوامل أساسية:

١. التخطيط العسكري والجراحي الدقيق.
٢. حصولهم على معلومات وافرة عن العدو وأسراره.
٣. بطولة الإمام علي عليه السلام.

فقد تمكّن النبي ﷺ من تحديد قبيلة غطفان ومنعها من إمداد المساعدات لليهود، كما تعرف على أحواهم وأوضاعهم في حصنون خيبر، سواء العسكرية منها أو النفسية للمقاتلين والأفراد. بالإضافة إلى بطولة الإمام علي عليه السلام الذي قال: «فلم يبرز إلى أحد منهم إلا قتلته، ولا يثبت لي فارس إلا طحنته، ثم شددت عليهم شدّة الليث على فريسته حتى دخلتهم جوف مدینتهم مسدداً عليهم، فاقتلت باب حصنهم بيدي حتى دخلت عليهم مدینتهم وحدى أقتل من يظهر فيها من رجالها وأسببي من أجد من نسائها، حتى افتحتها وحدى ولم يكن لي فيها معاون إلا الله وحده».<sup>٢</sup>

ثم أمر الرسول ﷺ بأن تجمع الغنائم كلّها في مكان واحد، وأن ينادي: أدوا الخيط والمخيط، فإن الغلول عار وشمار ونار يوم القيمة.<sup>٣</sup> فالإسلام يشدد على أهمية الأمانة، حتى اعتبر رد الأمانة منها صغر من علائم الإيمان،

١. بحار الأنوار: ٢١ / ٤٠.

٢. الحصال: ٣٦٩ باب السبعة.

٣. وسائل الشيعة: باب جهاد النفس؛ المغازي: ٢ / ٦٨١.

والخيانة من علامي النفاق.

وفي لحظات الفرج بالانتصار على اليهود، رجعت مجموعة من مسلمي الحبشة المهاجرين إليها بقيادة جعفر بن أبي طالب، فاستقبله النبي ﷺ وقبل ما بين عينيه وقال: ما أدرى بأئمها أسر، بفتح خير أم بقدوم جعفر. ثم إنّه عَلِمَ الصلاة المعروفة بصلة جعفر الطيار.<sup>١</sup>

وبالنسبة لقتل الجانين، فقد بلغ عدد شهداء المسلمين ٢٠ فرداً، بينما سُجّل التاريخ أسماء ٩٣ رجلاً هم قتلى اليهود.<sup>٢</sup>

وبعد ذلك تم الاتفاق بين الطرفين على:

١. قبول النبي ﷺ لطلب اليهود بأن يسكنهم في خير كما كان الوضع.

٢. ترك أراضيهم وبساتينهم لهم.

٣. حصول المسلمين على نصف محاصيلها سنوياً.

فالنبي ﷺ لم يجبرهم على شيء بل تركهم أحراضاً في ممارسة شعائرهم والبقاء على ما كانوا يعتقدونه من أصول دينهم، إذ أنه لم يحارب أهل خير إلا عندما تحولت إلى بؤرة خطورة للمؤامرات والكيد للإسلام والمسلمين، فقد أمدوا الكفار والمرتكبين بكل ما يحتاجون للقضاء على الحكومة الإسلامية الناشئة، مما اضطر معه النبي ﷺ إلى إعلان الحرب عليهم وقتالهم وتجريدهم من السلاح ليعيشوا تحت ظل الدولة الإسلامية، ويدفعوا الجزية لقاء دفاع الحكومة الإسلامية عنهم وحمايتهم من الأعداء، وهو ما يعني حماية أنفسهم وأنّ أموالهم مؤمنة لهم من قبل

١. فروع الكافي: ١٢٩/١؛ الخصال: ٨٢/٢؛ إمتناع الأسماع: ٣٢٥/١.

٢. بحار الأنوار: ٣٢/٢١.

ال المسلمين.

وعند جمع الغنائم حصل المسلمون على قطعة من التوراة طلب اليهود إعادتها، فأمر النبي ﷺ بإعادتها إليهم، مما يكشف عن احترام النبي ﷺ للشائع والأديان الأخرى.

وقد توجه النبي ﷺ بعد خير إلى وادي القرى التي شكلت مركزاً آخر لليهود، ففتحها وعقد صلحًا مع أهلها على غرار معايدة خير. وبذا فإن الحجاز طُهرت من فتنة اليهود، وجرّدوا من أسلحتهم، ووضعوا تحت حماية المسلمين ومراقبتهم.<sup>١</sup>

إلا أن بعضهم خطط بعد فترة من الهدوء والاستقرار، للتخلص من النبي ﷺ فقدمت زينب بنت الحارث شاة مشوية سُمِّمت كتفها التي يحبها النبي ﷺ فأثرَه السُّمُّ بعد ذلك وتوفي ﷺ من أثره. ولم ينتقم منها النبي ﷺ بل عفا عنها، فالنبي ﷺ لم يكن كبعض القادة والزعماء الذين يصبغون الأرض بدماء من ظنّ أنهم قصدوا قتلها، أو يملأون السجون بهم، أو يخضعونهم لأشد أنواع العذاب والتعذيب الجسدي والنفسي.

### ٣. قصة فدك

وتبعد فدك عن المدينة بما يقرب من ١٤٠ كم، وهي منطقة زراعية خصبة، اعتبرت نقطة ارتكاز هامة لليهود بعد خير. وقد تميّزت العلاقات بين رئيسها يوشع بن نون وقيادة الإسلامية بالسلام والأمان، حيث تعهد بأن يسلم نصف

١. الكامل في التاريخ: ٢/١٥٠.

محاصيلها سنويًا إلى الرسول ﷺ ليعيشوا تحت راية الحكومة الإسلامية، على ألا يقوموا بأي أمر يعكر صفو السلام والأمن بين الطرفين، وتعهد الحكومة الإسلامية في مقابل ذلك بتوفير الأمن في المنطقة كلها.<sup>١</sup>

ومن الجدير بالذكر أن الأراضي التي يسيطر عليها المسلمون بالحرب والقتال، تعود ملكيتها إلى عامّة المسلمين بإدارة القائد الأعلى للامة، أمّا الأراضي التي لا يستخدمون القوة في احتلالها، فتصبح ملكاً للرسول ﷺ والإمام من بعده يتصرف فيها كما يشاء، فيهبها أو يؤجرها، وعلى هذا الأساس وهب رسول الله ﷺ فدكاً لابنته الطاهرة فاطمة الزهراء ؑ، حيث ابتغى من وراء ذلك تحقيق أمرين:

١. أن يستفيد منها الإمام في أداء واجباته ومطلبات الناس عندما يدير الحكم من بعده، إذ أنه سيكون في حاجة إلى ميزانية كبيرة.
٢. وأن تعيش أسرة النبي ﷺ بعده بصورة تليق بمقامه ﷺ وشرفه ومكانته السامية.

وفي ذلك يذهب معظم العلماء والمفسرين والمحاذين الشيعة وبعض علماء السنة، أنه عند نزول قوله تعالى: «وَاتِّ ذَا الْقُرْبَى حَقَهُ وَالْمُسْكِنُ وَأَبْنَ السَّبِيل»<sup>٢</sup> أوصى النبي ﷺ فدكاً إلى ابنته الزهراء ؑ. ولذلك فقد أعاد المؤمن العاسي بعد فترة من هذا الوقت، فدكاً إلى أبناء الزهراء ؑ بعد توضيح شأن نزول هذه الآية له، كما أن الإمام علياً ؑ قد صرّح بملكيته لفديه في إحدى رسائله إلى واليه على البصرة: «عثمان بن حنيف»: «بلى كانت في أيدينا فدكاً من كل ما أظلته السماء فشحّت عليها نفوسُ قومٍ، وسخت عنها نفوسُ قومٍ آخرين ونعم الحكم الله».<sup>٣</sup>

١. السيرة النبوية: ٢/٣٥٣؛ إمتناع الأسماع: ١/٢٣١؛ فتوح البلدان: ٤٢.

٢. الإسراء: ٢٦. نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

### فَدْكُ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ

عندما حُرمت ابنة رسول الله ﷺ من ملكها الخاص بعد وفاة أبيها ﷺ  
عمدت إلى إثبات حقها واسترداد ملكها من جهاز الدولة، عن طريق  
القانون، فأحضرت الدلائل بالرغم من أنه لا يُطلب من فرد له يد على شيء - أي  
يكون تحت تصرفه - أن يقيِّم دليلاً على ملكيته ذلك الشيء. وكان شاهدها: الإمام  
علي عليه السلام وأم أيمن التي شهد لها النبي ﷺ بأنها من نساء الجنة<sup>١</sup>، إضافة إلى  
رباح الذي كان النبي ﷺ قد أعتقه حسب رواية البلاذري<sup>٢</sup>، إلا أنَّ كل ذلك لم  
ينفع في إرجاع الأرض إلى صاحبتها.

وفي العصر الأموي وزع معاوية بن أبي سفيان فدكاً بين ثلاثة: مروان بن  
الحكم ، عمرو بن عثمان ، ويزيد. وعندما حكم مروان استولى عليها تماماً ووهبها  
لابنه عبد العزيز الذي سلمها لولده عمر، الذي أزال أول بدعة وهي إعادة فدك  
إلى بني فاطمة عليها السلام فقد كان الخليفة المعتدل ، ولكن حكام بني أمية تداولوها ثانية  
حتى نهاية دولتهم.

أما في العصر العباسي فقد ردّها السفاح أبو العباس إلى عبد الله بن الحسن  
ابن الحسن ، ثم قبضها أبو جعفر المنصور من بني الحسن ، ثم ردّها المهدي ابنه  
إليهم ، حتى جاء المأمون فردّها على أصحابها الشرعيين بصورة رسمية.

وقد استغل الأمويون والعباسيون فدكاً استغلالاً سياسياً بجانب الاستفادة  
الاقتصادية واضطرب أمرها بين السلب والرد.

١. الإصابة: ٤/٤٣٢.

٢. فتوح البلدان: ٤٤.

#### ٤. عمرة القضاء<sup>١</sup>

بعد مضي عام واحد على توقيع معايدة صلح الحديبية، وعلى ضوء المادة التي تسمح لل المسلمين بأداء العمرة في العام التالي، فقد قرروا التوجه إلى مكة، وخاصة أنّهم كانوا قد تركوها سبعة أعوام بعدها فيها عن وطنهم. فاستعد ألغان للانضمام إلى النبي ﷺ في أداء العمرة، كان من ضمنهم شخصيات بارزة ملزمة له طوال فترة وجوده في المدينة. وكان ذلك يوم الإثنين ٦ من شهر ذي القعدة. كما أنّ النبي ﷺ تحسباً لأي طارئ أعدّ مائتين من الأفراد مسلحين وضعهم خارج مكة على مقربة من الحرم للتدخل في أية مشكلة تصدر حيالهم.

وفي مكة خرج الأهالي منها إلى رؤوس الجبال وقالوا: لا ننظر إلى محمد ولا إلى أصحابه، فكانوا يراقبون المشهد من بعيد.

وقد بهرت أصوات المسلمين مكّرين كلَّ سكان مكة وسحرت قلوبهم وجلبت عطفهم على المسلمين، مثلما أربع اتحادهم ونظامهم والتفافهم حول النبي ﷺ أفيادة المشركين.

وطاف الرسول ﷺ بالبيت على راحلته، وأمر عبد الله بن رواحة أن يردد هذا الدعاء بلحن ونغم خاص: «لِإِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعْزَّ جَنْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» فرددتها المسلمون وراءه. ثم أمر <sup>بلا</sup><sup>أ</sup> <sup>بلا</sup> <sup>أ</sup> <sup>بلا</sup> أن يؤذن على ظهر الكعبة لصلاة الظهر، فانزعجوا بسبب الأذان، وأحرجتهم مضامينه التي كانت ضدّ ما يحملونه من معتقدات باطلة موروثة.

١. سميت عمرة القضاء لأنّها كانت بدلاً عن العمرة التي منع النبي والمسلمون عنها في العام السابق لها.

وبعد أداء المنسك، ذهب المهاجرون إلى منازلهم التي تركوها منذ سبعة أعوام فجددوا اللقاء بأقربائهم.

إلا أنَّ تأثير أوضاع المسلمين في نفوس أهل مكة، وتحفظهم من إحداث إنقلاب روحيٍّ فيهم، إذ أنَّ هذه الرحلة الدينية، اعتبرت دعائية وإعلامية، أثَّرت في نفوس عدد من أهل مكة فدخلوا الإسلام، مما دعا إلى أن يطلب زعماء قريش من النبي ﷺ مغادرة مكة بعد انقضاء المدة المحددة والمقررة بينهم: «إنه قد انقضى أجلك فانخرج عنّا».

ومن تأثر بالوضع، ميمونة أخت زوجة العباس -أم الفضل- لما شهدت من مشاعر المسلمين، فطلبت الزواج من النبي ﷺ الذي وافقها، فقوى بذلك علاقاته مع قريش، إلا أنَّهم لم يسمحوا للنبي ﷺ بالاحتفال بمناسبة الزواج في مكة، فطلب ﷺ من أبي رافع أن يحضر زوجته بعد ذلك.

وبذا فقد تحقَّقت رؤيا النبي ﷺ قبل عام من هذا، في أنَّه دخل البيت وحلق رأسه، ونزلت آية الفتح التي تناولت تحقيق هذا الوعد:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسُكُمْ وَمُقْصِرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلَمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ ذُونِ ذُلِّكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾<sup>١</sup>.

١. الفتح: ٢٧.

## أحداث السنة الثامنة من الهجرة

### ١. معركة مؤتة

بعد وقوع الأحداث السابقة، واستقرار الأمن في الحجاز بين المسلمين وقريش والأطراف المعادية الأخرى، وضعف نفوذ اليهود وسطوتهم، فكر النبي الأكرم ﷺ في أن يركز في دعوته على سكان مناطق الحدود عند الشام، فوجه لهذا الغرض «حارث بن عمير الأزدي» يحمل كتاباً إلى أمير الغساسنة: الحارث بن أبي شمر الغساني، الذي حكم بصرى، فقبض على سفير النبي ﷺ في مؤتة وقتله مخالفًا بذلك كل الأعراف الدولية التي تقضي باحترام السفراء وحصانتهم، مما أغضب الرسول ﷺ وال المسلمين، فقرر الاقتصاص من قاتل سفيره.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن النبي ﷺ كان قد بعث في شهر ربيع الأول من هذه السنة ١٥ رجلاً إلى منطقة ذات أطلاح من أرض الشام خلف وادي القرى، لدعوة الناس إلى الإسلام، إلا أن الأهالي قتلواهم عن آخرهم مؤثرين عز الشهادة على ذل الأسر، الآجرياً منهم تمكن من الوصول إلى النبي ﷺ ليخبره بالحادث.

وقد أثر هذان الحادثان على الوضع السياسي بين الجانبيين، فأمر النبي ﷺ بالخروج إلى الجهاد في شهر جمادى، ووجه جيشاً قوامه ٣٠ ألف مقاتل لتأديب هؤلاء المخربين والغدرة، وعين القائد عليهم «جعفر بن أبي طالب» فإن قتل فزيد ابن حارثة، فإن أصيب، فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب فليرتضي المسلمين بينهم رجالاً عليهم.

وقد خرج النبي ﷺ بنفسه مع جماعة من أصحابه مشياً لهم ووَدّعهم

قائلاً: «دفع الله عنكم وردمكم سالمين غانمين صالحين».

ومن المؤكد أن القائد الأول لهذا الجيش كان جعفرًا ثم زيداً فعبد الله، فلا مجال لتغيير الوضع الذي ذهب إليه بعض الرواة والمحدثين، الذين اختلفوا ترتيباً آخر، بوضع زيد كقائد ثم جعفر كمعاون له ثم ابن رواحة، إذ أن وضع هذا الترتيب بهذا الشكل أقرب لد الواقع سياسية وأغراض أخرى لا مجال لذكرها هنا، وتبعهم في ذلك كتاب السيرة دون تمحیص وتحقيق.<sup>١</sup>

وفي الشام أعدّ الحاكم الحارث ١٠٠ ألف فارس لإيقاف تقدم المسلمين، كما أعدّ القيسير ١٠٠ ألف آخرين في البلقاء كقوة احتياطية تتدخل عند اللزوم.<sup>٢</sup>

ومن الواضح أنه لم يكن هناك أي تكافؤ بين الجيشين الإسلامي والروماني، سواء في نوعية المعدات الحربية والأجهزة القتالية أو وسائل النقل أو عدد الجنود، والأرض وساحة المعركة الغريبة عن المسلمين، وقيامهم بدور الهجوم لا الدفاع الذي اخذه الروم ونفذوه في أرضهم وبالدهم.

وقد تواجه الجيشان في منطقة مشارف، ولكن المسلمين تراجعوا نحو مؤتة، فبدأت المبارزات الفردية أولاً، فقتل جعفر بعد مبارزة شجاعة، ثم قُتل زيد بن حارثة، وأيضاً ابن رواحة، فاختار الجنود خالد بن الوليد قائداً، فعمد إلى استخدام تكتيک عسكري لم يعرف من قبل، إذ أمر بالعسكر أن يحدث بعض التغييرات في صفوفه بالليل دون صوت، ويذهب عدد منهم إلى مكان بعيد ثم يلتحقوا بالمسلمين عند الصباح مكبّرين، فيظن العدو بوصول إمدادات عسكريةبشرية جديدة إلى جانب المسلمين. ولذا تمكّن المسلمون من مواجهتهم وقتاً لهم،

١. السيرة النبوية: ٣٨٠ / ٢.

٢. المغازى: ٣٧٥ / ٢؛ السيرة النبوية: ٧٦٠ / ٢.

وقتل أعداد كبيرة منهم، فهدأت الأحوال، فرجع الجيش الإسلامي مستفيداً من هذا التكتيك ونجوا بأنفسهم من خطر فناء ساحق وأكيد.<sup>١</sup>

إلا أن المسلمين في المدينة رفضوا منطق الانسحاب من المعركة وفضلوا الاستشهاد في ساحة المعارك على الانسحاب، فهم كانوا يعدون الموت والشهادة في سبيل الله أفضل من الانسحاب.

وقد تأثر النبي ﷺ لشهادة جعفر وبكي بشدة، فكان كلما تذكر جعفر وزيداً بكى.<sup>٢</sup>

## ٢. غزوة ذات السلاسل

إن الاطلاع المبكر على أسرار العدو العسكرية، ومعرفة حجم طاقاته ومبنيه استعداداته واكتشاف خططه، يعد من العوامل الجوهرية المؤثرة في الانتصار عليه. والنبي ﷺ هو أول من ابتكر في تاريخ الإسلام جهازاً خاصاً بهذا العمل في صورة منظمة، وتبعه الخلفاء من بعده، حين استعنوا بجوايس وعيون للعمل في المجالات العسكرية والإدارية.

واستطاع الرسول ﷺ في غزوة ذات السلاسل أن يطفئ نار فتنة باستخدام معلومات دقيقة علمها عن العدو، قبل أن يخسر الكثير بغير ذلك. فقد علم من عناصر المخابرات الخاصة به ﷺ أن أعداداً كبيرة متحالفة تجمعوا في منطقة وادي اليابس هدفوا إلى التوجّه نحو المدينة للقضاء على قوّة الإسلام والمسلمين، وقتل النبي ﷺ والإمام علي عليهما السلام خاصة. فأمر الرسول بنداء «الصلوة جامعة» أي دعوة

١. السيرة النبوية: ٣٨١ / ٢.

٢. بحار الأنوار: ٥٤ / ٢١؛ المغازي: ٧٦٦ / ٢.

الناس إلى الاجتماع به ﷺ فقال ﷺ: «يا أئمّة الناس، إنّ هذا هو عدو الله وعدوكم قد عمل على أن يبيّنك من لهم؟».

فخرجت جماعة بقيادة أبي بكر ساروا مسافة حتى واجهوا قبيلة بنى سليم الذين قاوموا القوّة الإسلامية، فقرر أبو بكر الانسحاب والرجوع من حيث أتى. إلا أنّ النبي ﷺ لم يقبل بهذا الوضع، فانزعج لعودة الجيش بهذه الصورة المهينة، فأمر عمر بن الخطاب بتولي القيادة، ولكنّه لم يحارب أيضاً لقوّة العدو فانسحب أيضاً إلى المدينة. وطلب عمرو بن العاص من النبي ﷺ أن يبعثه إلى هؤلاء الأعداء على أساس أنه من دهاء العرب، إلا أنّ بنى سليم قاتلوا فهزموه وقتلوا عدداً من جماعته، فلم يتأسّ النبي ﷺ ونظم جماعة جديدة واختار الإمام علياً عليهما قائدًا، فاستعد الإمام علي عليهما السلام وتعصب بعصابة كان يشدها على جيشه في اللحظات الصعبة، ولبس بردين يمانين، وحمل رمحًا هندياً، ثم توجه نحو الهدف سالكًا طريقاً غير معروفة ولا مطروقة حتى يعمّي بذلك على العدو، فتمكن من الانتصار عليهم وذلك للأسباب التالية:

١. لم يشعر العدو بتحركاته، وذلك لتغييره مسيره، واستخدامه أسلوب الكتمان في ذلك ، إذ سار ليلاً وكمن نهاراً واستراح خلاله.
٢. كما أنه فاجأ العدو حين صعد بجنوده إلى قمة الجبال ثم انحدر بهم بسرعة فائقة إلى الوادي مركز إقامة بنى سليم، فأحاطوا بهم وهم نائم، وحاصروه وأسروا منهم، وفرّ آخرون.
٣. ثم أن شجاعة الإمام علي عليهما السلام وبسالته النادرة أربعت العدو، وأفقدته القدرة على المواجهة والمقاومة، حيث فرّوا من أمامه تاركين الغنائم وراءهم. وبذا فإنّ النبي ﷺ استقبله بحفاوة وقال له عندما نزل من فرسه: «إركب فإنّ الله ورسوله راضيان عنك».

وكان تضحيه الإمام عَلِيُّهُ وشجاعته من الأهمية بحيث نزلت فيها سورة العاديات كاملة: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا \* فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا \* فَالْمُغَيَّرَاتِ صُبْحًا \* فَأَئَرَنَ يَهْنَقْعًا \* فَوَسْطَنَ يَهْجَمْعًا﴾<sup>١</sup>.

وهناك عدد من المؤرخين كالطبرى، نقلوا هذه الواقعة بنحو آخر مختلف عن ذكرناه، فلا يبعد أن تكون ذات السلسلة اسمًا لغزوتين، وقد نقل كل من الفريقين - السنة والشيعة - واحدة منها وأعرض عن الأخرى لأسباب خاصة.<sup>٢</sup>

### ٣. فتح مكة

أخللت قريش باتفاقية الحديبية ونقضتها، حينما زودت قبيلة بنى بكر بالأسلحة، وهي من كانة المتحالفه معها، وحرضتهم على أن يبيتوا خزاعة المتحالفين مع المسلمين فيغيروا عليهم ليلاً، يقتلون فريقاً ويأسرون آخرين. وأبلغ النبي ﷺ بما حدث لخزاعة على أيدي بنى بكر، فوعدهم النصرة. ولكن قريشاً ندمت على فعلتها من تأليب بنى بكر على خزاعة، واشتراكهم معها في العداون، فأرسلوا زعيهم أبا سفيان إلى المدينة لتطيب خاطر النبي ﷺ وتسكين غضبه وتأكيد احترام قريش لمعاهدة الصلح، إلا أنه عندما وصل إلى بيت ابنته أم حبيبة زوجة الرسول ﷺ لم يجد التقدير والاحترام المطلوب لديها على أساس أنه مشرك نجس، فتوجه إلى الرسول ﷺ وكلمه حول إمكانية تجديد العهد، فلم يرد عليه وهو ما يعني عدم اعتمائه به، فسار إلى بعض أصحابه يطلب منهم أن يشفعوا له عند الرسول ﷺ وإنقاذه بتجديد ميثاق الصلح، ولكن دون جدو. فذهب إلى

١. العاديات: ٥ - ١.

٢. تاريخ الطبرى: ٢/٣١٥؛ السيرة الخلبية: ٣/١٩٠؛ المغازي: ٢/٧٦٩.

منزل الإمام علي عليه السلام والسميدة فاطمة الزهراء عليها فاطمة الزهراء عليهما فرد عليه الإمام علي عليهما : «والله لقد عزم رسول الله عليهما على أمر ما نستطيع أن نكلمه». فالتفت إلى السيدة الزهراء عليهما وهو يطلب شفاعتها أو شفاعة الحسينين لدى النبي عليهما: يا ابنة محمد، هل لك أن تأمرني وبنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ فقالت عليهما وهي تعلم بنو آية الشريرة: «ذلك إلى رسول الله عليهما وإنها صبيان وليس مثلها يغير».<sup>١</sup> فطلب النصيحة من الإمام علي عليهما فقال له: «ما أجد لك شيئاً أمثل من أن تقوم بتجير بين الناس - أي تعطي الأمان للمسلمين - ثم الحق بأرضك». فأدلى ما طلبه منه، ورجع إلى مكة وأخبر سادة قريش بما صنع، فاجتمعوا للتشاور فيما يطفئ غضب المسلمين ويثنى الرسول عليهما عن عزمه.<sup>٢</sup>

أما النبي الأكرم عليهما فقد أعلن التعبئة العامة بهدف فتح مكة، وتحطيم أقوى قلعة من قلاع الوثنية، وإزالة حكومة قريش الظالمة، التي كانت أقوى الموانع والعقبات في طريق تقدم الدعوة الإسلامية وانتشار الإسلام.

وطلب من الله سبحانه وتعالى في دعائه أن يعمي عيون قريش وجواسيسهم كيلا يعلموا بحركة المسلمين وهدفهم: «اللهم خذ على قريش أبصارهم فلا يروني إلاّ باغته ولا يسمعون بي إلاّ فجأة».<sup>٣</sup>

واجتمع في مطلع شهر رمضان الكثيرون، فقد شاركت قبائل وطوائف مختلفة في هذا الفتح العظيم، اشتهر منهم:

- المهاجرون: ٣٠٠ + ٧٠٠ ألوية إضافة إلى ٣٠٠ من الخيول.

١. إمتناع الأسماع: ٣٥٩ / ١.

٢. المغازي: ٢ / ٧٨٠؛ السيرة النبوية: ٢ / ٣٨٩؛ بحار الأنوار: ٢١ / ١٠٢.

٣. المغازي: ٢ / ٧٩٦.

- الأنصار: ٤٠٠٠ + ألوية كثيرة إضافة إلى ٧٠٠ من الخيول.

- قبيلة مزينة: ألف مع مائة فرس، ولواءان.

- قبيلة جهينة: ٨٠٠ مع خمسين فوساً و ٤ ألوية.

- قبيلة بني كعب: ٥٠٠ مع ثلاثة ألوية.

هذا بالإضافة إلى اشتراك عدد آخر من قبائل غفار وأشجع وبني سليم.<sup>١</sup>

ويذكر ابن هشام، أنّ جميع من شهد فتح مكة من المسلمين بلغوا عشرة آلاف، من بني سليم ٧٠٠، ويقول بعضهم ألف، ومن بني غفار ٤٠٠، ومن أسلم ٤٠٠، ومن مزينة ألف و ٣٠٠ نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد.<sup>٢</sup>

إلا أنّ أخبار هذه الحملة الكبيرة وصلت إلى قريش، فقد أخبر جبرائيل عليه السلام النبي ﷺ أنّ أحد المسلمين أرسل كتاباً إلى قريش يخبرهم فيه بتوجههم إلى مكة، وأنّ امرأة تدعى «سارة» وهي مغنية، تريد توصيل الكتاب لهم لقاء حصولها على مال. وقد ساعد النبي ﷺ وال المسلمين هذه المغنية من قبل، عندما تركت عملها في مكة واتجهت إلى المدينة، ورغم ذلك فإنّها خانتهم بعملها جاسوسية تعمل لصالح قريش. مما جعل النبي ﷺ يطلب من الإمام علي عليه السلام والمقداد والزبير أن يلحقوا بها ويدركوها ويصادروا منها الكتاب. وتمكنوا من اللحاق بها عند روضة الخاخ - الخلقة - إلا أنها أنكرت وجود كتاب لديها في رحلها، فهددها الإمام علي عليه السلام: ليخرجنّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنّك. فاستخرجت الكتاب.<sup>٣</sup>

١. المغازي: ٢/٨٠٠؛ إمتناع الإسماع: ١/٣٦٤.

٢. السيرة النبوية: ٤/٦٣.

٣. بين القرآن الكريم ذلك في عدّة آيات من سورة المتحنة.

وهكذا أعد النبي ﷺ للحركة الكبرى، دون أن يعلم أحد وجهته على وجه التحديد، وكان ذلك في يوم ١٠ رمضان. وفي الطريق أفتر على الماء وأمر جنده بالاقتداء به: «إِنَّكُمْ مُصْبَحُوا عَدُوكُمْ، وَالْفَطْرُ أَقْوَى لَكُمْ». إِلَّا أَنَّ الْبَعْضَ مِنْهُمْ أَمْسَكَ عَنِ الْإِفْطَارِ ظنًاً مِنْهُمْ أَنَّ الْجَهَادَ أَفْضَلُ فِي حَالَةِ الصُّومِ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ لِذَلِكَ وَقَالَ عَنْهُمْ: «أُولَئِكَ الْعَصَابَةُ».<sup>١</sup>

وفي هذا الوقت، خرج العباس بن عبد المطلب من مكة متوجهاً إلى المدينة ليتحقق بالرسول ﷺ خلال الطريق، فهو سيؤدي دوراً بارزاً هاماً في عملية الفتح العظيم. كما التحق به عدواً له أحجاً عن الإيمان برسول الله والاستجابة لدعوته وهم: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقد كانوا من أشد المعارضين للرسول ﷺ والمؤذنين له، بالرغم من أن أبو سفيان هذا كان ابن عمّ الرسول ﷺ وأخاه من الرضاعة، وعبد الله هو أخو أم سلمة ابنة عاتكة عمّة الرسول ﷺ. وحاولا مقابلة النبي ﷺ إِلَّا أَنَّهُ لم يأذن لهم، ولم تفع الوسائل في ذلك، إِلَّا ما ذكره لها الإمام علي عليه السلام، بأن يقولا للنبي ﷺ: «قَالُوا تَالُوا لَقَدْ آتَرَكُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ»<sup>٢</sup> فسوف يغفو عنها كما فعل يوسف عليه السلام مع إخواته. وقد حدث ما اقترحه الإمام علي قبل إسلامهما.

وحينما وصل الجيش الإسلامي إلى مشارف مكة، عمد النبي ﷺ إلى إرعب أهلها وتخويفهم بإشعال النيران فوق الجبال والتلال، وزيادة في التخويف وإظهار القوة، أمر بأن يشعل كلّ فرد منهم ناراً في شريط طويل على الأرض.

وهنا أتّجه «ال Abbas بن عبد المطلب» ليؤدي دوره العملي لصالح الطرفين،

١. وسائل الشيعة: ١٢٤ / ٧؛ السيرة الحلبية: ٣ / ٩٠؛ المغازي: ٢ / ٨٠٢.

٢. يوسف: ٩١.

فيقنع قريشاً بالتسليم وعدم المقاومة، إذ أخبرهم بقوّة المسلمين وعدهم ومحاصرتهم لكة المكرمة، وأصطبّح معه أبي سفيان حتى يطلب له الأمان وله كذلك من الرسول ﷺ، فأجاره عند الوصول إلى معسكر المسلمين، خاصة عندما حاول «عمر بن الخطاب» أن يقضى عليه - أي يقتل أبي سفيان - كما أنه حاول إعادة قتله أمام النبي ﷺ على أساس أنه عدو الله فلا بد أن يقتل.

وتحدث النبي ﷺ في خيمته مع أبي سفيان قائلاً: «ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟» فقال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره، لقد أغنى عنِّي شيئاً بعد. فقال الرسول ﷺ: «ألم يأن لك أن تعلم أنِّي رسول الله؟» فقال: أما والله فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئاً. فغضب العباس من عناده وقال: أسلم وشهاده ألا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله قبل أن يُضرب عنقك. فشهد شهادة الحق وأسلم ودخل في عداد المسلمين. فارتفع بذلك أكبر سد، وانزاح أكبر مانع من طريق الدعوة الإسلامية. ومع ذلك فقد أمر النبي ﷺ العباس بحبسه لأنَّه لم يأمن جانبه بعد، قبل أن يتم فتح مكة: «يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل - أي أنفه - حتى تمر به جنود الله فيراها». فطلب العباس من النبي ﷺ: إنَّ أبي سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً. فاستجاب له النبي ﷺ وقال:

«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن طرح السلاح فهو آمن». وذلك بالرغم من أخلاق أبي سفيان المنحدرة وأعماله السيئة تجاه النبي ﷺ وال المسلمين، طيلة السنوات الماضية».

وكان النبي ﷺ قد عزم على أن يفتح مكة دون إراقة دماء وإزهاق أرواح

وتسلیم العدو دون شروط. وقد تم ذلك نتيجة التخطيط السليم، وتحييد موقف أبي سفيان العدائي وهو قائد قريش، ولما كانت القطع العسكرية الإسلامية تمر من أمام أبي سفيان، كان العباس يوضح له اسمها وخصوصياتها، فمررت كتيبة النبي ﷺ فقال للعباس: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة يا أبا الفضل، والله لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً. فرد عليه العباس موبخاً: ويحك يا أبا سفيان، ليس بملك، إنّها النبوة.

وحينئذ أطلق النبي ﷺ أبو سفيان ليرجع إلى مكة فيخبرهم بما رأى من قوّة الجيش الإسلامي، ويحذرهم من مغبة المواجهة والمقاومة، والتسلیم للأمر الواقع بإلقاء السلاح والاستسلام دون قيد أو شرط. فصاح في أهل مكة: يا معاشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، أو قال: هذا محمد في عشرة آلاف، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلى بابه فهو آمن.

وأضاف النبي ﷺ إلى ذلك: و من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن. وهو موقع خامس عينه الرسول ﷺ للتأمين من القتل.

وأدّى كل ذلك إلى إضعاف نفوس أهل مكة، حتى القياديين الأعداء، ركزوا إلى المطالبة بالتسلیم دون مقاومة.

وبالرغم من أنّ النبي ﷺ قد أمر جنوده بعدم بدء القتال، فلا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنّه أمر بقتل عشرة من الأفراد وإن وجدوا تحت أستار الكعبة وهم:

١. عكرمة بن أبي جهل

٢. هبار بن الأسود

٣. عبد الله بن أبي السرح

٤. قيس بن حبابة الكندي
٥. الحويرث بن نقيند
٦. صفوان بن أمية
٧. وحشى بن حرب، قاتل حمزة
٨. عبد الله بن الزبعرى
٩. حارث بن طلاله
١٠. عبد الله بن خطل
- وأربعة نساء.<sup>١</sup>

وكان كلّ واحد من هؤلاء إما قتل أحداً، أو ارتكب جنایة أو شارك في مؤامرة أو حرب ضدّ الإسلام والمسلمين.

وفي دخول مكة أخذ النبي ﷺ الحيطه والحدر، ففرق الجنود، على أن يدخلوها من أسفلها، وأخرون يتذدون طريقاً من أعلىها، وأعداداً أخرى تدخل من جميع المداخل والطرق المؤدية إلى داخل مكة، فدخلت الفرق كلّها مكة دون قتال، إلاّ ما حدث مع جبهة خالد بن الوليد، الذي قابله مقاومة صغيرة تمكّن من السيطرة على الوضع بعد هروب المع狄ين.

أما النبي الأكرم ﷺ فقد دخل مكة من ناحية أذاخر وهي أعلى نقطة في مكة، فضررت له قبة من أدم بالحجون – عند قبر عمّه العظيم أبي طالب - ليستريح فيها، فقد أبى أن ينزل في بيت من بيوتها. واغتسل بعد الاستراحة، فركب راحلته القصواء متوجهاً إلى المسجد الحرام لزيارة بيت الله العظيم والطواف به على راحلته، حيث لم يترجل، وكبير المسلمين، حتى ارتجت مكة لدوي صوته،

١. السيرة النبوية: ٤١٠؛ تاريخ الخميس: ٢٠ / ٩٠.

فسمعه المشركون الذين تفرقوا في الجبال ينظرون المشهد المثير. وحينما كان يمر على أي صنم من أصنام المشركين، يقول وهو يشير بقضيب في يده: «**جاء الحق وزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ رَهْوًا**<sup>١</sup>»، فيقع الصنم لوجهه، ثم أمر بتحطيم أكبر الأصنام على مرأى من المشركين.

وبعدأخذ استراحة، طلب من عثمان بن طلحة أن يأتيه بفتح الكعبة، فقد كان هو سادن الكعبة، حيث كانت السدادة توارث جيلاً بعد جيل. وفتح النبي ﷺ باب الكعبة ودخل البيت، ودخل بعده، أسمة بن زيد، وبلال وعثمان. ثم أمر ﷺ بإغلاق الباب، الذي قام خالد بن الوليد بحراسته ومنع الناس عنه.

ولما كانت جدران الكعبة من الداخل مغطاة بصورة الأنبياء والملائكة وغيرهم، فإن النبي ﷺ أمر بمحوها جميعاً وغسلها بماء زمزم.

وقد اشترك الإمام علي عليه السلام في كسر بعض الأصنام الموضوعة في الكعبة، وحاول النبي ﷺ أن يصعد على كتفيه، إلا أن ضعف الإمام عليه السلام لم يساعد له في ذلك، فطلب منه النبي ﷺ أن يصعد -عليه- على كتفه قائلاً: «يا علي اصعد على منكبي»، فصعد على منكبيه، فألقى صنم قريش الأكبر وأصنام أخرى محطمة إلى الأرض.<sup>٢</sup> ثم وقف النبي ﷺ على باب الكعبة وقال: «الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده». ثم أتجه إلى الناس الذين يشاهدون الرسول ﷺ وهو يكسر الأصنام ويحمد الله، فسألهم:

«ماذا تقولون وماذا تظلون؟» فقالوا: نقول خيراً ونظن خيراً. أخ كريم وابن

١. الإسراء: ٨١.

٢. مستند أحمد بن حنبل: ١/٨٤؛ السيرة الحلبية: ٣/٨٦؛ تاريخ الخميس: ٢/٨٦.

أخ كريم، وقد قدرت. فقال ﷺ: «إِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ أخِي يُوسُفَ: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>١</sup>.

وبهذا أعلن ﷺ العفو العام الشامل عن أهل مكة بقوله: «ألا لبئس جيران النبي كنتم، لقد كذبتم، وطردتم وأخرجتم وأذيتم ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني، اذهبوا فأنتم الطلقاء».<sup>٢</sup>

وكان الوقت ظهراً فحان وقت الصلاة ، فصعد بلال سطح الكعبة ورفع نداء التوحيد والرسالة - الأذان - وبعدها ردّ مفتاح الكعبة على عثمان بن طلحة وقال له:

«هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برّ ووفاء». فالنبي ﷺ هو أول من يتلزم بالتعليم الإلهي في أداء الأمانة إلى أهلها، فيعيد مثل تلك الأمانة الكبرى إلى أصحابها. ثم ألغى جميع مناصب الكعبة السائدة في الجاهلية، إلا ما كان نافعاً للناس، كالسدانة، والحجابة - وهي القيام بشؤون أستار الكعبة - وسقاية الحجيج.<sup>٣</sup>

وفي حديث له ﷺ إلى أقاربه، في اجتماع ضمّ بني هاشم وبني عبد المطلب، أوضح لهم أنّ صلة القربي التي تربطهم به ﷺ لا تبرر لأحد منهم أن يتتجاهل قوانين الحكومة الإسلامية، فيتخدّ من انتسابه إلى زعيمها ذريعة وغطاء لارتكاب ما لا يحل لآخرين.

وهو ﷺ بهذا قد شجب كلّ تمييز وتفضيل غير صحيح وسليم، داعياً إلى لزوم العدل ومراعاة المساواة بين جميع الطبقات: «يا بني هاشم، يا بني عبد

١. يوسف: ٩٢.

٢. بحار الأنوار: ١٠٦/٢١؛ السيرة الخلبية: ٤١٢/٢.

٣. بحار الأنوار: ١٣٢/٢١.

المطلب، إني رسول الله إليكم وإني شفيع عليكم، لا تقولوا أن محمداً منا، فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلا المتقون، فلا أعرفكم تأتوني يوم القيمة تحملون الدنيا على رقابكم، ويأتي الناس يحملون الآخرة. ألا وإنّي قد أذرت فيما بيني وبينكم وفيما بين الله عزّوجلّ وبينكم، وإنّ لي عملي ولكم عملكم». <sup>١</sup>

ثم دعا إلى اجتماع تاريخي كبير عند بيت الله الحرام، حضره حشد كبير من أهالي مكة، وألقى فيهم خطاباً تاريخياً عالج الأمراض الاجتماعية الخاصة بالمجتمع العربي في ذلك العصر وحتى عصرنا الحالي، ومن أهمّ ما ورد وتناوله <sup>بشكل</sup> في هذا الخطاب:

١. التفاخر بالنسب: فقد كان من الأمراض المستحكمة في البيئة العربية الجاهلية، إذ كان من أكبر أمجاد المرء أن يتسلب إلى قبيلة معروفة، أو يتفرع نسبة عن عشيرة بارزة كقرיש مثلاً. فأبطل الرسول <sup>ص</sup> في خطابه هذه العادة السيئة بقوله: «أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائهما، ألا إنكم من آدم وآدم من طين».

وبذا فإنّ <sup>ص</sup> صنف الشخصية بالقوى والورع: «ألا إن خير عباد الله عبد اتقاه» فأعطى الفضيلة والمنزلة لأهل القوى والورع خاصة.

٢. التفاضل بالقومية العربية: فقد اعتبروا الانتساب إلى العرق العربي مفخرة، فقال <sup>ص</sup>: «إن العربية ليست بأب والد، ولكن لسان ناطق، فمن قصر عمله لم يبلغ به حسيبه».

٣. المساواة بين أفراد البشر: فقد دعا إلى دعم المساواة بين الأفراد والجماعات: «إن الناس من آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربي

<sup>1</sup>. بحار الأنوار: ٢١/١١١.

على العجمي، ولا للأحرن على الأسود، إلّا بالتقوى». وبذلك ألغى التمييز العنصري مؤسساً بذلك ميثاق حقوق الإنسان قبل أيّ جهة عالمية.

**٤. الأحقاد والخروب الطويلة:** إذ أنّ الخروب المتلاحقة بين القبائل العربية أدت إلى نشأة الحقد والضغينة، فلم يجد طريقةً للقضاء عليها إلّا بالطلب من الناس أن يتنازلوا عنّا لهم من دماء في عنق الآخرين، سفكت في عهد الجahليّة، فتعتبر ملفات العهد القديم باطلة. وقال في ذلك «ألا إنّ كلّ مال ومؤثرة ودم في الجahليّة تحت قدمي هاتين».

**٥. الأخوة الإسلامية:** حيث دعا إلى اتحاد المسلمين ووحدة كلمتهم وحقّ المسلم على أخيه المسلم، فهو من أهمّ مميزات الدين الإسلامي، وهو بهذا يرّغب غير المسلم في اعتناق الإسلام إذا سمع ورأى مثل هذه الحقوق والعلاقات المتبادلة بين المسلمين: «ال المسلم أخو المسلم، والمسلمون إخوة، وهم يد واحدة على من سواهم، تكافؤ دمائهم ليسعى بذمتهم أدناهم».<sup>١</sup>

وبعد ذلك تفرّغ النبي ﷺ للحكم على بعض المجرمين والمؤذين، حيث كان هناك عدد من المجرمين المكثّين، كان لابدّ من عقابهم على ما فعلوا من أعمال سيئة، وذلك بالرغم من إصدار العفو العام، وقد طارد الإمام علي عليهما السلام اثنين منهم لجأ إلى بيت أم هانئ اخت الإمام علي عليهما السلام التي أجارتها، ولكن الإمام علي عليهما السلام طلب منها أن يعلم النبي ﷺ بأمانها ليعطي رأيه في جوارها وأمانها كمرأة، فقبل ﷺ ذلك وقال: «قد أجرنا من آجرت، وأمنا من أمنت، فلا يقتلهما».<sup>٢</sup> وهو بهذا وضع

١. روضة الكافي: ٢٤٦؛ السيرة النبوية: ٤١٢/٢؛ مغازي الواقدي: ٨٣٦/٢؛ بحار الأنوار: ٢١/١٠٥.

٢. الإرشاد: ٧٢.

قاعدة تقبل جوار المرأة وأمانها. كما أن عبد الله بن أبي السرح الذي ارتد عن الإسلام وأمر النبي ﷺ بقتله، نجا من القتل بشفاعة عثمان بن عفان له. وكذلك عكرمة بن أبي جهل الذي فر إلى اليمن، وتشفّعت فيه زوجته، فنجا من القتل. كما أمن أيضاً كبير المجرمين صفوان بن أمية حينما طلب «عمير بن وهب» من النبي ﷺ أن يعفو عنه، فأمهله أربعة أشهر ليعلن إسلامه بعد التفكير.

وكذلك وضع ﷺ قاعدة مبايعة النساء له ﷺ، فقد بايعته المرأة للمرة الأولى في بيعة العقبة بهذه الكيفية: [حيث أمر الرسول ﷺ بإحضار قدح ماء، ثم ألقى في الماء شيئاً من الطيب والعطر فأدخل يده فيه، وتلا الآية التي وردت فيها الأمور المذكورة، ثم نهى من مكانه وقال لهن: من أرادت أن تباعي فلتتدخل يدها في القدح، فإني لا أصافح النساء].<sup>1</sup> وقد أجرى البيعة بهذا الأسلوب، لوجود عدد كبير من النساء الفاسدات بينهن، فكان لابد من ذلك حتى لا تستأنف إحداهن عملهن القبيح بعد ذلك في السر.

### هدم بيوت الأصنام

وللقيام بهذه المهمة الضرورية، أرسل النبي ﷺ فرقاً عسكرية إلى ضواحي مكة وداخلها وفي بيوتها هدم الأصنام المتواجدة فيها، كما أعلن ﷺ: «من كان في بيته صنم فليكسره». وأرسل خالد بن الوليد إلى تهامة لدعوه قبيلة جذيمة بن عامر وهدم أصنامهم، ونهاه النبي ﷺ عن القتل أو إراقة الدماء. إلا أنه لما كانت هذه القبيلة قد قتلت أيام الجاهلية عمّ خالد ووالد عبد الرحمن بن عوف، فإنه

١. في سورة المتحنة ١٢: «إِلَّا يُشْرِكُنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يُسْرِقُنَّ وَلَا يُزَنِّنَ وَلَا يُقْتَلُنَّ أُولَادُهُنَّ وَلَا يَأْتِنَّ بِهِنَّ يَفْتَرِينَ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ».

حقد عليهم، وأمر بقتل عدد منهم، الأمر الذي أغضب النبي ﷺ عندما علم بذلك، فأرسل مالاً كثيراً مع الإمام علي عليهما السلام ليدفع دية هؤلاء المقتولين وقال: «اللهم إني أبرأ ما صنع خالد بن الوليد».<sup>١</sup> وارتاح بعد ذلك لما أقدم عليه الإمام علي عليهما السلام من معاملة طيبة لأهالي المنكوبين وقال: «والله ما يسرني يا علي أن لي بها صنعت حمر النعم، أرضيتي رضي الله عنك، أنت هادي أمّتي».<sup>٢</sup>

#### ٤. معركة حنين

وبعد أن استقر النبي ﷺ في مكة مدة خمسة عشر يوماً، غادرها إلى أرض قبيلة هوازن وثقيف، بعد أن عين معاذ بن جبل ليعلم الناس القرآن وأحكام الإسلام، وعتاب بن أسيد لإدارة الأمور والصلة بالناس جماعة في مكة المكرمة.

وقد بلغ الجيش الذي سار به إلى هوازن: ١٢ ألف مسلحاً، إذ شاركه هذه المرة ألفان من شباب قريش الذين أسلموا بعد الفتح بقيادة أبي سفيان.<sup>٣</sup> إلا أنَّ كلَّ ذلك العدد الكبير لم يساعد في النجاح والانتصار كما ذكر القرآن الكريم: «لَقَدْ نَصَرْتُكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتُكُمْ كَثُرَتُكُمْ فَلَمْ تُفْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحْبَتْ ثُمَّ وَلَيْسَ مُذَبِّرِينَ»<sup>٤</sup> وقد بز من طرف العدو: مالك بن عوف النصري الذي عرف بالفروسيّة والشجاعة، كما أنه أدار الاتصالات المكثفة بين هوازن وثقيف، لإخراج خدعة عسكرية توجه منها

١. السيرة النبوية: ٤٢٠ / ٢؛ الكامل: ١٧٣ / ١؛ إمتناع الأسماع: ٤٠٠ / ١.

٢. مجالس ابن الشيخ: ٣١٨.

٣. طبقات ابن سعد: ١٣٩ / ٢؛ مغازي الواقدي: ٣ / ٨٨٩.

٤. التوبة: ٢٥.

ضربة إلى جيش الإسلام، فقد اقترح بوضع الأطفال والنساء والأموال وراء ظهور الرجال حتى يضطروا إلى أن يقاتلوا عنهم، كما أرسلوا الجواسيس ورجال مخابراتهم للتجسس على المسلمين، مثلما بعث النبي ﷺ رجاله إلى ديار الأعداء.

وبحسب الوضع والموقع، قرر مالك بن عوف أن يخفى الجنود خلف الصخور وفوق الجبال لياغتوا المسلمين في الوادي، الذي دخلته أول كتيبة، من بني سليم بقيادة خالد بن الوليد فبادرهم العدو وأخذ يرشقهم بالحجارة والنبال ويضربونهم بالسيوف، فوقعوا فيهم ضرباً وقتلأً، مما أدى إلى إصابة المسلمين بالفوضى وببللة الموقف وخلللة الصفوف فالفرار، الأمر الذي جعل النبي ﷺ يأمر العباس بن عبد المطلب بأن ينادي على هؤلاء الفارين والهاربين ويرجعهم، فبلغت صرخاته مسامعهم فثارت حميتهم ونادوا: ليك ليك. وبذا فقد تمكن النبي ﷺ من تنظيم صفوف جيشه من جديد، وحملة حملة رجل واحد على العدو لغسل ما لحق بهم من عار الفرار، وتمكنوا من النيل منهم وإجبارهم على الانسحاب من الموضع والفرار من أمامهم وذلك بتشجيع وحماس من الرسول ﷺ: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب». مما كان الأثر الفعال في إلقاء المذريمة المنكرة بقبيلة هوازن، تاركين وراءهم أموالهم ونساءهم وصبيانهم الذين كانوا قد وضعوهم خلف ظهورهم حسب أوامر وخططة قائدتهم.

أما النتيجة النهائية للمعركة، فكانت شهادة ثانية أفراد من المسلمين، وأسر ستة آلاف من العدو، وغنائم كثيرة من الحيوان وأربعة آلاف أوقية فضة.<sup>١</sup>

وأعطى النبي ﷺ أوامره بإرسال الغنائم والأسرى إلى الجعرانة – بين مكة والطائف – وبلغ من حنق المسلمين على المشركين في هذه المعركة، أن قتلوا

١. ٤ آلاف أوقية تساوي ٨٥٢ كيلو غرام.

الرجال وذرّيّتهم، فلماً بلغ ذلك النبي ﷺ قال: «ألا لا تُقتل الذريّة». وعندما قيل له: إنّها هم أولاد مشركين. قال ﷺ: «أو ليس خياركم أولاد المشركين؟ كُلّ نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها، وأبواها يهودانها أو ينصرانها».<sup>١</sup>

## ٥. غزوة الطائف

سكنت قبيلة ثيف، واشتركوا مع هوازن في قتال المسلمين، وهرروا بعد المعركة السابقة إلى الطائف متّحصّنين في قلاعها وحصونها، فأمر النبي ﷺ بالإعداد لمطاردتهم وملاحقتهم حتى ديارهم. فأرسل فريقاً عسكرياً بقيادة أبي موسى الأشعري ملاحقتهم في أوطاس، فأحرز انتصاراً كبيراً على العدو. وأمّا النبي ﷺ فقد توجه بجيشه إلى الطائف، حيث هدم حصن مالك بن عوف في طريقه، وسواء بالأرض، حتى لا يستغلّه العدو فيها بعد.

واشتهرت حصون الطائف وقلاعها بالملعنة وارتفاع الجدران، فتمكنوا من ردّ المسلمين عن طريق حذفهم ورميهم، الذي أدى إلى تراجعهم. فاقترب سليمان الفارسي أن يرمي الحصن بالمنجنيق - الذي يأخذ دور الدبابة في الحروب الخديثة - فبدأوا برمي الحصون وأبراجها بالحجارة طوال عشرين يوماً، مما أصاب عدداً من المسلمين في هذه الأعمال.<sup>٢</sup>

وممّا يذكر أنّ سليمان الفارسي هو الذي صنع جهاز المنجنيق، وعلم المسلمين كيفية استخدامه، بينما يرى آخرون أنّ المسلمين حصلوا على هذا السلاح

١. إمتاع الاسماع: ٤٠٩/١.

٢. السيرة النبوية: ٤/١٢٦ ويرى ابن هشام أنّ النبي ﷺ هو أول من استخدم المنجنيق في الجزيرة العربية.

من يهود خيبر، وأن سليمان ربياً أدخل عليه تحسينات إضافة أنه علم المسلمين أسلوب استعماله.

كما أنّ الرسول ﷺ كان قد حصل على بعض الآليات الحربية من خلال ما ترك في حربه لقبيلة دوس التي استخدمتها في معاركها ضدّ المسلمين، فاستفاد منها النبي ﷺ في غزو الطائف.

إلا أنّ نتائج تلك العمليات والآليات لم تأت بنتيجة حاسمة، فاتجه النبي ﷺ إلى جانب آخر قد يكون أكبر قوّة وأثراً من الجانب العسكري، وهو الناحية النفسية والاقتصادية. إذ أنّ أرض الطائف كانت زراعية، ذات نخل وأعناب، مما فكر به الرسول ﷺ لتهديدهم وتخويفهم لأنّه سيعمد إلى قطع الأعناب وإفماء المزارع، إذ استمر المعتصمون بالحصن في المقاومة. وعندما لم يرضخوا للتهديد، نفذ المسلمون عملياً أوامر النبي ﷺ بالقطع والحرق والإتلاف، مما أزعج الأهالي وطلبو من النبي ﷺ أن يأمر رجاله بالكف عن ذلك، فتركوا العمل بهذا التكتيك. وقام بمحاولة أخيرة للتخلص منهم، فنادى: أي عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر. فنزل عدد منهم ملتحقًا بال المسلمين، وعرف منهم الرسول ﷺ بعض الأخبار المرتبطة بالحصن، وأنّه لا نية لهم للاستسلام، ولديهم الاستعداد للمقاومة حتى لو طال الحصار عاماً واحداً، فلن يقعوا في أزمة أو ضيق بسبب طول الحصار. ولذا فإنّ الجيش الإسلامي رأى أنه من الأصلح الرجوع عن ساحة القتال، وذلك للأسباب التالية:

١. مقتل عدد من المسلمين، من قريش والأنصار، كما أنّ شهر شوال كان قد انتهى وبدأ شهر ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم، وللحفاظ على هذه السنة، فقد رأى النبي ﷺ أن ينهي الحصار في أقرب وقت.

٢. كما أنّ موسم الحجّ كان قد اقترب، وخاصةً أنّ إدارة الموسم و المناسبات أصبحت في يد المسلمين الآن، وليس بيد المشركين كما في السابق.

ولكل ذلك ترك النبي ﷺ الطائف متوجهاً إلى الجعرانة حيث حفظت الغنائم والأسرى، فاستقر فيها ١٣ يوماً وزع فيها الغنائم بأسلوب جدير بالدراسة والتأمل: فقد أخلى سبيل بعض الأسرى، وخطط لإخضاع وإسلام مالك بن عوف قائد المعارك ضد المسلمين، وكان من بين المشركين مع هوازن، قبيلةبني سعد التي أرضعت إحدى نسائها - حليمة السعدية - النبي ﷺ وبر بينهم وعاشرتهم خمس سنوات، ولذا فإنّ جماعة مسلمة منهم قدمت إلى النبي ﷺ يطلبون سراح الأسرى من هذه القبيلة، وذكروه بكل حياته بينهم في تلك السنوات. فردد عليهم النبي ﷺ محسناً إليهم بأكثر مما قدموا، وتنازل عن نصيبه في الأسرى، فتبعه المهاجرون والأنصار والآخرون، فارجعواهم إلى ذويهم. كما أنّ النبي ﷺ دعا أخته شيماء وبسط لها رداءه ورحب بها، ودمعت عيناه، وسألها عن أمّه وأبيه من الرضاعة، فأخبرته بموتها، فقال: إنّ أحبت فأقيمي عندنا محبة مكرمة، وإنّ أحبت أن أمتلك وترجعي إلى قومك فعلت. فاختارت الرجوع إلى أهلها بعد أن أسلمت طوعاً ورغبة، ومنحها ثلاثة عبيد وجارية.<sup>١</sup>

وقد أدّت معاملات النبي ﷺ هذه، وإطلاق الأسرى إلى رغبة هوازن في الإسلام، فأسلموا من قلوبهم، ففقدت الطائف آخر حليف لها.

أما بالنسبة لمالك بن عوف فقد رأى النبي ﷺ فرصة طيبة للسيطرة عليه، وهو رئيس التمردين، فقال لوفدبني سعد: أخبروا مالكاً إنّه إن أتاني مسلماً

١. البداية والنهاية: ٤١٣ / ٢؛ الإمتناع: ٣٦٣ / ١.

رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل. وعندما بلغه ذلك، وعلم بقوعة الإسلام وأخلاق النبي ﷺ وعظمته، قرر الالتحاق بالنبي ﷺ فخرج من الطائف لإدراك النبي ﷺ في مكة أو الجعرانة، حين ردّ عليه ماله وأهله وأعطاه الإبل، فأسلم وحسن إسلامه، وجعله قائداً على من أسلم من قومه حارب بهم ثيف.

وأما الغنائم، فقد قسمها بين المسلمين، وزع الخمس الذي هو حقه الخاص، بين أشراف قريش حديث العهد بالإسلام ليتألفهم، مثل: أبي سفيان ومعاوية ابنه، وحكيم بن حزام، والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو، وحويطب ابن عبد العزى، والعلاء بن جارية، وصفوان بن أمية، وغيرهم ممّن كانوا أعداء بالأمس القريب، لكل واحد منهم مائة بعير.<sup>١</sup> وهذا الفريق يصطلح عليه في الفقه الإسلامي: المؤلفة قلوبهم. وهم يشكلون إحدى مصارف الزكاة بنص القرآن الكريم.

إلا أنّ بعضهم لم يستحسن أسلوب النبي ﷺ في التوزيع، ورأى أنه لم يعدل حين وزع خمس الغنيمة على أبناء قبيلته، ومن أشهرهم:

- ذو الخويصرة التميمي، الذي رفض أسلوب النبي ﷺ مما دعا عمر بن الخطاب أن يستأذن النبي ﷺ لقتله. ولكن النبي ﷺ قال: دعه فإنه سيكون له شيعة (أي تبع) يتعمّدون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية.<sup>٢</sup> وقد أصبح فعلاً زعيماً لفرقة الخوارج في عهد الإمام علي عليه السلام.

كما اشتكتى عدد من جانب الأنصار، حول كيفية توزيع الخمس، فخطب

١. المحدث: ٤٧٣؛ معاذري الواقدي: ٩٤٤ / ٣؛ السيرة النبوية: ٤٩٣ / ٣.

٢. وجاء في السيرة الحلبية أنه أصل الخوارج.

فيهم النبي ﷺ موضحاً موقفه من هذا التوزيع في تأليف القلوب: «أفلا ترثون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبغير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم، والذي نفس محمد بيده، لو لا الهجرة لكونت إمرئاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار». <sup>١</sup> ثم ترحم عليهم قائلاً: «اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

فآثار بهذه الكلمات مشاعرهم فبكوا بشدة وقالوا: رضينا يا رسول الله حظاً وقساً. ويكشف ذلك عن عمق حكمة النبي ﷺ وحنكته السياسية، وأسلوب معالجته للمشكلات بروح الصدق واللطف.

وبعد ذلك خرج النبي ﷺ معتمراً من الجعرانة، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة فوصلها في أواخر ذي القعدة أو أوائل شهر ذي الحجة، مستخلفاً على مكة: عتاب بن أبي سعيد، الذي بلغ من العمر عشرين عاماً، وقدر له راتب يومي درهم واحد، ولما احتاج بعضهم على هذا التعيين، قال: «لا يحتاج منكم في مخالفته بصغر سن، فليس الأكبر هو الأفضل، بل الأفضل هو الأكبر، وهو الأكبر في موالتنا وموالاة أوليائنا، ومعاداة أعدائنا، فلذلك جعلناه الأمير عليكم والرئيس عليكم، فمن أطاعه فمرحباً به، ومن خالفه فلا يبعد الله غيره».<sup>٢</sup>

وأكد بذلك النبي ﷺ معيار الأهلية والجدارة والكفاءة في حيازة المناصب الاجتماعية والأمور الاجتماعية الأخرى.

ومن أحداث هذه السنة أيضاً:

١. السيرة النبوية: ٤٩٨ / ٢؛ مغازي الواقدي: ٩٥٧ / ٣.

٢. بحار الأنوار: ١٢٢ / ٢١؛ إمتناع الأسماع: ٤٣٢ / ١.

وفاة زينب بنت الرسول ﷺ وهي التي كان زوجها ابن خالتها أبي العاص الذي بقي على شركه بعد أن آمنت هي بأبيها، ولكته آمن في الفترة الأخيرة وأعاد النبي ﷺ إليه زوجته.

كما أنّ النبي ﷺ رزق في أواخر هذا العام ولدًا سمّاه إبراهيم من زوجته مارية القبطية، فأهدى المولدة هدية ثمينة، وعُقَّ له في اليوم السابع وحلق شعره وتصدق بوزنه فضة في سبيل الله.<sup>١</sup>

---

١. تاريخ الخميس: ٢/١٣١.



## الفصل التاسع

### ١. أحداث السنة التاسعة من الهجرة

- هدم الأصنام
- عام الوفود
- مسجد ضرار
- غزوة تبوك
- إعلان البراءة من المشركين
- وفد ثقيف

### ٢. أحداث السنة العاشرة من الهجرة

- وفود القبائل على المدينة
- وفود نجران والماهله
- حجّة الوداع - الخلافة بعد النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)
- وضع أساس التعامل مع: المرتدين والأخطار الخارجية
- وفاة ابنه إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
- مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

### ٣. أحداث السنة الحادية عشرة من الهجرة

- الكتاب الذي لم يكتب
- اللحظات الأخيرة



# أحداث السنة التاسعة

## من الهجرة

### ١. عام الوفود

انتهت السنة الثامنة بسقوط أكبر قاعدة من قواعد الوثنية والشرك، في أيدي المسلمين، الذين انتصروا على أعدائهم تماماً، فأخذت القبائل المتمردة تتقرب إليهم تدريجياً، وتواترت وفودها على النبي ﷺ تقدم للاءها وتعلن إسلامها وتقبل الرسالة المحمدية، مما دعت تلك الكثرة من الأعداد الواقفة على النبي ﷺ أن يسمى بعام الوفود.<sup>١</sup>

إن دراسة الوفود وما دار بينهم وبين الرسول ﷺ تفيد بوضوح بأن الإسلام انتشر في الجزيرة العربية عن طريق الدعوة والتبلیغ. وتحدث القرآن الكريم في سورة خاصة عن حضور تلك الوفود على النبي ﷺ وما حققه الإسلام من فتح وانتصار: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفُتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَذْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجًا \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا»<sup>٢</sup>.

إلا أنه بالرغم من ذلك فإن النبي ﷺ أعد في هذا العام عدّة سرايا بعثها إلى

---

١. سجل المؤرخ محمد ابن سعد في الطبقات: ١/٢٩١ ، أسماء ٧٣ وفداً قدموا على الرسول ﷺ طوال

السنة ٩ هـ.

٢. سورة النصر.

جهات معينة، من جملتها سرية الإمام علي عليهما السلام إلى أرض طيء، وقد اختصت هدم مظاهر الوثنية.

كما وقعت غزوة واحدة مثل غزوة تبوك، وإن لم يقاتل فيها النبي عليهما السلام أحداً، إلا أنها كانت تمهد لفتح المناطق الحدودية.

## ٢. هدم الأصنام

أدرك النبي عليهما السلام في ضوء تعاليم الوحي أنّ الوثنية كجرثومة الكوليرا، تهدم فضائل الإنسان وشرفه، وتقضى على مكارم الأخلاق، وتحط من مكانة الإنسان الرفيعة، وتجعله كائناً حقيراً أمام الطين والحجر. وعلى هذا الأساس أمره الله تعالى أن يجتث جذور الشرك من كيان ذلك المجتمع الموبوء، بإزالة كلّ مظاهر الوثنية وأنواعها وأشكالها، مستخدماً القوة تجاه الجماعات المعارضة. وعلم عليهما السلام أنّ في قبيلة طيء صنماً كبيراً يقدس حتى ذلك الوقت، فأرسل الإمام علي عليهما السلام مع ١٥٠ فارساً ليحطّم هذا الصنم ويهدم بيته.

ونجح الإمام علي عليهما السلام في مهمته، وعاد بالغنائم والأسرى إلى المدينة، وهرب رئيسها «عدي بن حاتم الطائي» إلى الشام ملتحقاً بأهل دينه، لأنّه كان نصراًانياً حسب ما ذكر بنفسه، وترك أخته في قومه. إلا أنّ النبي عليهما السلام أرجعها إلى أخيها بالشام، فأخذت توبيخه مما صنع من هروبه مع أهله، وتركتها وحيدة، ثم طلبت منه أن يذهب إلى النبي عليهما السلام ويعلن إسلامه، فاحترمه النبي عليهما السلام عندما قدم إليه في المدينة، وقدم له ما يليق به كأمير وسيد على قومه.

ولما شاهد من سيرته وأفعاله ما يدلّ ويؤكّد على أنّه نبي الله، أسلم على

يديه عليه السلام.<sup>١</sup>

### ٣. غزوة تبوك: وهي قلعة قوية في طريق حجر الشام.

أعدّ إمبراطور الروم قوّة عسكريّة لهاجمة المسلمين الذين ازدادت قوّتهم وأعدادهم وخطّرهم على الدولة الرومانية. وتالقت هذه القوّة من ٤٠ ألف فارس وكانت مجهزة بأحدث الأسلحة والمعدات، وتقدّمت إلى منطقة البلقاء، فأمر النبي ﷺ عندها أصحابه بالتهيؤ والاستعداد لغزو الروم، في موسم شديد الحرارة، وجدب وعسرة، إلا أن الدوافع المقدّسة والجهاد في سبيل الله غلب على كلّ تلك الأمور الدنيوية، فشارك ٣٠ ألف من المسلمين في هذه الغزوة تحدّدت نفقاتها من الزكاة من أهل الغنى والثروة. وقد اعتبرت هذه الغزوة خير حمل لمعرفة المجاهدين الصادقين من المنافقين والمبدعين، إذ أن بعضهم تخلّف بحجّة الخوف من أن يفتتن النساء الروميات، وهو عذر صبياني أقبح من الذنب: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئْذَنْ لِي وَلَا تَفْتَنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ».<sup>٢</sup>

وكان منهم أيضاً المنافقون الذين تظاهروا بالإسلام، فتبّعوا الناس عن النبي ﷺ وخوّفهم من قوّة الرومان، واعتذروا بالحر الشديد: «وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارٌ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ».<sup>٣</sup>

كما أنّ مجموعة من الحوننة ألغت شبكة جاسوسية في المدينة، تمكّن النبي ﷺ من القضاء عليها بهدم المكان الذي اجتمعت به وحرقة، وهو بيت سويلم اليهودي.

١. مغازي الواقدي: ٢/٩٨٨؛ السيرة النبوية: ٣/٥٧٨؛ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة الإمامية: ٣٥٢. ٢. التوبة: ٤٩. ٣. التوبة: ٨١.

وكذلك تختلف عنهم المخلفون الثلاثة، الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم، حينما قالوا بأنهم سيلحقون برকبه ﷺ بعد ما يفرغون من الحصاد، فوبخهم الله تعالى وعاقبهم، ليكونوا عبرةً لغيرهم. كما تختلف عن الغزوة ولكن بنية صادقة البكاوون، وذلك لعدم تمكّنهم من المشاركة في الجهاد، لفقرهم وعدم حصولهم على دواب تحملهم، ولم يستطع النبي ﷺ أن يجهز ذلك لهم فقال: لا أجد ما أحملكم عليه. كما لم يشارك فيها الإمام علي عليه السلام فقد أباه النبي ﷺ في المدينة، خوفاً من إثارة فتنة أو قيام انقلاب خلال غيابه، بمساعدة القوى المضادة للإسلام. وبالرغم من أن النبي ﷺ قد استخلف على المدينة «محمد بن مسلمة» فإنه قال للإمام علي عليه السلام: «أنت خليفي في أهل بيتي ودار هجري وقومي» فكانه تعين كقائد عسكري في المدينة يحفظ الأمن والاستقرار فيها. ولذا فإن المناقفين استغلوا ذلك فرصة لنشر الشائعات والأقاويل في عدم اصطحاب النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام معه في الجيش، مما جعل الإمام عليه السلام يسير إلى الرسول ﷺ وهو على بعد ثلاثة أميال من المدينة ليسأله عن هذا الأمر قائلاً: «يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني لأنك استثقلتني وتحففتعني» فقال الرسول ﷺ حينئذ كلمته التاريخية الخالدة التي اعتبرت من الأدلة القاطعة على إمامته وخلافته بعده ﷺ: «كَذِبُوا وَلَكُنُّكُمْ خَلْفُكُمْ لَا تَرْكَتُ وَرَائِي، فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ، أَفَلَا تَرْضِي يَا عَلِيٌّ أَنْ تَكُونْ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبْيَ بَعْدِي».<sup>١</sup>

وهكذا فقد استعرض النبي ﷺ المعسكر قبل تحرك الجيش، وألقى فيهم خطاباً هاماً لتقوية معنويات المجاهدين، وشرح فيه هدفه من هذه التعبئة العامة الشاملة.

<sup>١</sup>. إمتناع الأسماع: ٤٥٠ / ١.

وفي الطريق واجه متابعَ ومشاقَ كثيرةً، ولذا سُمي هذا الجيش بجيش «العسرة»، إلَّا أنَّ إيمانَهم العميق، وحبِّهم للهدف المقدَّس، سهلَ عليهم الأمر. وعندما مروا بأرضِ ثمود، غطى النبي ﷺ وجهَه بثوبِه وأمرَ أصحابَه بسرعةِ السير: «لا تدخلوا بيوتَ الذين ظلموا إلَّا وأنتم باكون خوفاً أن يصييكم مثلما أصا بهم». كما نهاهم أن يشربوا من مائتها ولا يتوضأوا به للصلوة ولا يطبخوا به طعاماً.<sup>١</sup> ولكنَّهم شربوا عندما وصلوا إلى البئر التي كانت تشرب منها ناقة صالح عليه السلام فنزلوا عليها بأمرِ الرسول ﷺ.

كما أنَّ النبي ﷺ أظهرَ في الطريق بعضَ الأمورِ الغريبة حتى لا يؤثِّر شكَ بعضِهم في إيمانِ الآخرين، مثلما جرى لนาقةِ التي ضلتَ الطريق، وببدأ المنافقون في التقليل من قوَّةِ النبي ﷺ واتصاله بالله سبحانه وتعالى، فأخبرهم بموقعها، بعلمِ الله تعالى. وتنبأَ عن أبي ذرٍ وما سيجري له عندما تأخَّرُ عنهم فقال:

رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويعث وحده.<sup>٢</sup>

على كل حال، وصلَ الجيش في مطلع شهر شعبان إلى أرض تبوك، دون أن يجدوا أثراً لجيش الروم الذي كان قد انسحب إلى داخل بلاده مفضلاً عدم مواجهة المسلمين، ومؤكدين حيادهم تجاه الحوادث والوقائع التي تجري في الجزيرة العربية. فجمعَ النبي ﷺ القادة وشاورَهم في أمر التقدُّم في أرض العدو، أو العودة إلى العاصمة. فقرروا العودة لاستعيد الجمجمُ نشاطه بعد المشاق والتعب، إضافةً إلى أنَّهم حققوا هدفهم بتخويف العدو وإلقاء الرعب في قلوبهم، فقالوا للنبي ﷺ: إنْ كنتَ أُمِرتَ بالسيرَ فَسِرْ، فقال ﷺ: «لو أُمِرتَ به ما استشرتُكم

١. السيرة النبوية: ٢/٥٢١؛ السيرة الحلبية: ٣/١٣٤.

٢. السيرة النبوية: ٢/٥٢١؛ السيرة الحلبية: ٣/١٣٤.

فيه». <sup>١</sup> فاحترم الرسول ﷺ آراء هؤلاء وقرر العودة إلى المدينة. ورأى النبي ﷺ أن الوقت مناسب للاتصال ببعض حكام ورؤساء المناطق الحدودية، ليعقد معهم معاهدات أمن وعدم اعتداء، ليأمن جانبهم. فاتصل شخصياً بزعماء أيلة وأذرح والجرباء. وعندما قدم يوحنا بن رؤبة زعيم أيلة، إلى النبي ﷺ قدم له فرساً أبيض وأعلن عن طاعته له ﷺ، فاحترمه ﷺ وصالحه وكساه برباً يهانياً، وقبل أن يدفع جزية قدرها ٣٠٠ دينار سنوياً على أن يبقى على دينه المسيحي، ووقع الطرفان على كتاب أمان، فضمن بذلك أمن المنطقة الإسلامية شرالاً.

وفي طريق تبوك تقع منطقة دومة الجندي ذات الخضراء والماء، وتبعد عن الشام ٥٠ فرسخاً، وعن المدينة عشرة أميال، حكمها رجلٌ مسيحي هو: أكيدر بن عبد الملك. فأرسل النبي ﷺ قوة بقيادة خالد بن الوليد لإخضاعه، فتمكن من السيطرة عليهم وإحضار أكيدر إلى الرسول ﷺ، فأعلن خضوعه وقبل دفع الجزية والبقاء على دينه، وكتب عهداً وصالحاً، وأهداه، ثمّ أوصله إلى بلده بحراسة خاصة.<sup>٢</sup> فانتهت بذلك الأعمال العسكرية في تبوك.

ويمكن تقسيم نتائج تلك العمليات العسكرية كما يأتي:

١. إبراز مكانة وسمعة الجيش الإسلامي في المناطق الخارجية، مما أثر في القبائل هناك فتسارعوا بالقدوم والوفود على الرسول ﷺ بعد عودته من تبوك، لتعلن خضوعها وطاعتها، حتى سمى ذلك العام بعام الوفود.
٢. ضمان أمن الحدود بعد توقيع المعاهدات والاتفاقيات مع حكام تلك

١. مغازي الواقدي: ١٠١٩/٣.

٢. بحار الأنوار: ٢٤٦/٢١؛ طبقات ابن سعد: ١٦٦/٢.

المناطق.

٣. تمهيد الطريق لل المسلمين لفتح الشام بعد ذلك، عندما تعلموا منه رسالة أساليب تكوين وإعداد الجيوش الكبرى لحربة القوى العظمى.

٤. تمييز المؤمن عن المنافق.

وبعد أن مكث رسالة عشرين يوماً في تبوك، توجه إلى المدينة، إلا أن اثنين عشر منافقاً تآمروا لاغتيال النبي رسالة قبل أن يصل إلى عاصمتها، كان ثمانية منهم من قريش والآخرون من أهل المدينة، وذلك بتتغیر ناقته في العقبة - بين المدينة والشام - ليطروحه في الوادي، غير أنه رسالة علم بمؤامرتهم فأرعبهم بصياحه فيهم، فتركوا العقبة هاربين، ورفض رسالة أن يرسل من يقضي عليهم أو اللحاق بهم. ثم وصل الجيش إلى المدينة فرحين مسرورين معتززين بما حققوه من انتصار على الأعداء، وإلقاء الرعب في قلب دولة كبيرة، ولما أرادوا التفاخر والتباكي على الذين تخلفوا بعذر وقلوبهم مع جنود الإسلام، فإن النبي رسالة منعهم من ذلك، لأنّ النية الصالحة والفكر الطيب يقوم مقام العمل الصالح الطيب.

ثم أقدم رسالة على معاقبة الثلاثة الذين تخلّفوا عن الجيش بأعذار واهية وهم: هلال بن أمية، كعب بن مالك، ومراة بن الربع، فقد أعرض بوجده الكريم عنهم، ولم يكتثر بهم حينما قدّموا المهمة بعودتهم مظفرین، وقال فيهم: لا تكلّموا أحداً من هؤلاء الثلاثة، مما أثر في التعامل معهم تجاريًّا، فكسدت بضائعهم ، وانقطعت روابطهم مع أقربائهم، فأثر ذلك في نفسياتهم: «حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبّت وضاقت عليهم أنفسهم»<sup>١</sup>. فقاموا بالتوبة إلى

الله، فأعلن النبي ﷺ عفوه عنهم، ورفع المقاطعة عنهم.<sup>١</sup>  
وكانت هذه آخر معركة اشترك فيها الرسول ﷺ إذ لم يشارك بعدها في أي قتال.

#### ٤. مسجد ضرار

أصبح أبو عامر والد حنظلة غسيل الملائكة، الذي استشهد في أحد، من المتعاونين مع المنافقين، الذين خططوا دائمًا للتخرّب وإفساد أعمال الإسلام، ولذا قرر النبي ﷺ اعتقاله فهرب إلى مكّة و منها إلى الطائف ثم إلى الشام، فقاد منها شبكة تجسسية لصالح المنافقين. وكتب في إحدى رسائله إلى جماعته، يطلب منهم أن يبنوا مسجداً في قباء في مقابل مسجد المسلمين ليتخدزوه مركزاً لتخطيط وتنفيذ مؤامراتهم. وكان النبي ﷺ قد رفض من قبل طلبهم هذا قبل مسيره إلى تبوك، فاستغلوا غيابه فأقاموه. ولما عاد النبي ﷺ طلبوا منه أن يؤدي ركعتين فيه ليسبعوا عليه الصفة الشرعية، إلا أن جرائيل عليه أوصى إليه ﷺ بحقيقة الأمر والنية، وسمّاه مسجد ضرار ووصفه بأنه مركز لإيجاد الفرقة والتآمر بين المسلمين: «وَالَّذِينَ أَتَحَدُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَنَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلُفُنَّ إِنْ أَرْدَنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* لَا تَقْمِ فِيهِ أَبْدًا لَمَسْجِدٌ أَسْسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقْعُمَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ»<sup>٢</sup>.

١. السيرة الحلبية: ٣/١٦٥.

٢. التوبة: ١٠٧.

مما دعا الرسول ﷺ أن يأمر فوراً بتدميره وإحراقه وتسويته بالأرض، فتحول مكانه إلى مزبلة فيما بعد.<sup>١</sup> وكان ذلك ضربة قوية للمنافقين، إذ انتهى حزبهم الخبيث وهلك حاميهما الوحيد عبد الله بن أبي بعد شهرين من غزوة تبوك.

## ٥. وقد ثقيف

وهي من القبائل العنيدة التي تصلبت في موقفها أمام المسلمين، وخاصة عندما حاصرهم الجيش الإسلامي، فلم يتنازلوا أو يسلمو، إلا أن موقفهم تغير بعد غزوة تبوك التي أشهرت قوة المسلمين، وخوفت عدة جهات، مما دفع عروة بن مسعود الثقفي أحد سادتهم إلى أن يقدم إلى المدينة ويعلن إسلامه على يدي الرسول ﷺ ثم يرجع إلى قومه داعياً لهم إلى الإسلام، فرشقه بالنبال والسهام حتى استشهد.

إلا أن موقفهم المتصلب تغير بعد فترة حينما علموا أن مصالحهم التجارية وغيرها معرضة للخطر إذا لم يحسنوا علاقتهم بال المسلمين، فقرروا التوجه إلى النبي ﷺ وإعلان إسلامهم، فأوفدوا عنهم عبد ياليل مع خمسة رجال للفتاوض مع النبي ﷺ، وهناك أمر النبي ﷺ بإكرامهم، وعيّن «خالد بن سعيد» قائماً بشؤون صيافتهم.

وفي المفاوضات التي جرت بين الطرفين، اشترط عليهم الرسول ﷺ أن يهدموا الأصنام فرفضوا أول الأمر، ولكنهم أطاعوه بالتالي على أن يقوم أشخاص غرباء - ليسوا من قبيلتهم - بهدمها. كما طلبوا إعفاءهم من الصلاة، فقال ﷺ: «لا خير في دين لا صلاة فيه». ثم وقع الطرفان على شروط المعاهدة التي تمت

١. السيرة النبوية: ٥٣٠ / ٢؛ بحار الأنوار: ٢٥٣ / ٢٠.

بينهم، واختار عليه السلام منهم عثمان بن أبي العاص<sup>١</sup> الذي حرص على التفقّه في الدين وتعلم القرآن، فأمره عليهم وجعله نائباً دينياً وسياسياً عنه في قبيلة ثيف، وأن يصلّي بالناس جماعة، مراعياً أضعفهم: «يا عثمان تجاوز في الصلاة – أي خفف الصلاة وأسرع فيها – وأقدر الناس بأضعفهم، فإنّ فيهم الكبير والصغير والضعف وهذا الحاجة». ثم كلف عليه السلام أبا سفيان والمغيرة بن شعبة، للتوجّه معهم لهدم الأصنام هناك.<sup>٢</sup>

#### ٦. إعلان البراءة من المشركين في منى

في أواخر هذا العام -٩ هـ - نزل جبرائيل عليه السلام على النبي عليه السلام مع عدّة آيات من سورة البراءة، يطلب أن يتلوها رجل يختاره الرسول عليه السلام في موسم الحج. وقد تضمنت الآيات رفع الأمان عن المشركين، وإلغاء جميع العهود - إلا ما التزم بها أصحابها ولم ينقضوها - فيبلغ ذلك إلى رؤوس المشركين ليوضّعوا موقفهم تجاه الدولة الإسلامية خلال أربعة أشهر، فإذا لم يتركوا ما هم عليه من شرك ووثنية خلال الأربعة أشهر، نزعت عنهم الحصانة ورفع عنهم الأمان. أمّا الدوافع التي كانت وراء صدور هذا العهد: البراءة:

١. كان التقليد السائد عند العرب جاهلياً أن يعطي زائر الكعبة ثوبه الذي يدخل به مكة إلى فقير، ويطوف بثوب آخر، وإذا لم يكن له ثوب آخر، فإنه يستعيده ليطوف به حول البيت، وإن لم يجد طاف عرياناً بادي السوأة، حتى لو كانت إمرأة، فإنّها تطوف عارية بالبيت على مرأى من الناس، وهو الأمر الذي انطوى

١. كان أحدّنهم ستة.

٢. السيرة النبوية: ٢/٥٣٧؛ السيرة الخلبية: ٣/٢١٦؛ أسد الغابة: ١/٢١٦.

على نتائج سيئة.

٢. كما أنه بعد انتشار الإسلام وإظهار قوّته في خلال عشرين عاماً، رأى النبي ﷺ أن يستخدم القوّة لضرب كلّ مظاهر الوثنية، على أنها نوع من العدوان على الحقوق الإلهية والإنسانية، فكان لابدّ من استئصال جذور الفساد باستخدام القوّة العسكريّة كآخر وسيلة.

٣. ثم إنّ الحجّ كان أكبر العبادات والشعائر الإسلامية، فكان على الرسول ﷺ أن يقوم بتعليم المسلمين مناسك الحجّ على الوجه الصحيح بعيداً عن تأثير أيّ نوع من الشوائب والزوايد، فكان لابدّ من اشتراك النبي ﷺ بنفسه في تعليمهم هذه العبادة بصورة عملية، ولكن بشرط أن تخلو منطقة الحرم ونواحيها من المشركين العابدين للأصنام، ليصبح الحرم الإلهي خالصاً للموحدين والعباد الواقعين.

٤. والنبي ﷺ لم يحارب لفرض العقيدة لأنّ العقائد لا تخضع لأيّ قهر أو فرض، بل انحصر نضاله في القضاء على مظاهر الاعتقاد بالأوثان، بواسطة هدم بيوت الأصنام.

ولكلّ ذلك فإنّ النبي ﷺ اختار أبا بكر بعد أن علمه تلك الآيات من سورة البراءة، ووجه صوب مكة يرافقه أربعون رجلاً، ليتلوها على مسامع الناس يوم عيد الأضحى، إلاّ أن جبرائيل عليه السلام أخبره ﷺ: «إنه لا يؤدي عنك إلاّ أنت أو رجل منك» مما جعل النبي ﷺ أن يطلب من الإمام علي عليه السلام القيام بهذه المهمة: «إلحظ أبا بكر فخذ براءة من يده و إمض بها إلى مكة و انبذ بها عهد المشركين إليهم، أي إقرأ على الناس الوافدين إلى منى من شتى أنحاء الجزيرة العربية براءة، بما فيها النقاط الأربع التالية:

١. لا يدخل المسجد مشرك.
  ٢. لا يطوف بالبيت عريان.
  ٣. لا يحج بعد هذا العام مشرك.
  ٤. من كان له عهد عند الرسول ﷺ فهو له إلى مدّته، أي يحترم ميثاقه وماله ونفسه إلى يوم انقضاء العهد، ومن لم يكن له عهد ومدّة من المشركين فإلى أربعة أشهر، فإن أخذناه بعد أربعة أشهر قتلناه، ويسري هذا ابتداء من اليوم العاشر من ذي الحجّة. ويعني هذا أنّ هذا الفريق من المشركين، عليه أن يحدد موقفه من الدولة الإسلامية، فاما الانضمام إليها وترك مظاهر الشرك، وإما القتال.<sup>١</sup>
- وقد أدرك الإمام عقبة أبو بكر في الجحفة وأبلغه أوامر النبي ﷺ فأعطاه الآيات، ورجع أبو بكر إلى المدينة مستفسراً عن سبب موقف النبي ﷺ فأخبره بما أمره جبرائيل عقبة.
- ولم يمض على قراءتها المدة المعلومة، حتى اعتنق أكثر المشركين الإسلام، فتم بذلك استئصال جذور الوثنية في أواسط السنة ١٠ هـ، ويؤكد هذا الموقف على نية النبي ﷺ بالكشف عملياً عن أهلية الإمام علي عقبة وصلاحيته للقيام بأمور الدولة في المستقبل.

## أحداث السنة العاشرة من الهجرة

### ١. ورود وفد نجران، والمباهلة

تقع نجران على الحدود بين الحجاز واليمن، واعتنق أهلها المسيحية، وكان النبي ﷺ قد كتب إلى أسقف نجران أبو حارثة يدعوه إلى الإسلام أو دفع الجزية، أو الحرب بين الطرفين، فتشاور مع رجاله وشخصيات دينية كان من ضمنهم شرحبيل الذي عرف بالعقل والحكمة والتدبر فقال: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة. ثم اتفقوا على إرسال وفد منهم إلى النبي ﷺ ضم ستين شخصاً من أهل العلم بقيادة ثلاثة من أساقفتهم:

- أبو حارثة بن علقة: أسقف نجران الأعظم والممثل الرسمي للكنائس الرومية في الحجاز.

- عبد المسيح: رئيس الوفد.

- الأئم: من الشخصيات المقدرة عندهم.<sup>١</sup>

وحيينا وصلوا المدينة ودخلوا المسجد مقابلة النبي ﷺ في ملابسهم الخاصة من ديماج وحرير وذهب، والصلبان في أعناقهم، انزعج النبي ﷺ لذلك فأخبرهم الإمام علي عليه السلام بأن يضعوا حلتهم وخواتيمهم ثم يعودوا إليه، فدخلوا من ثم

<sup>1</sup>. السيرة الخلبية: ٣/٢١١.

على النبي الأكرم ﷺ الذي احترمهم وتقبل هداياهم، ثم طلبوا الإذن بالصلاحة - أي صلاتهم - فأذن لهم ممدلاً بذلك على التسامح الديني الذي تميز به الرسول الأكرم ﷺ والإسلام.

ثم جرت المفاوضات و المناقشات الدينية بينهم وبين النبي ﷺ وخاصة فيما يرتبط بالسيد المسيح، فأوضح لهم النبي ﷺ ما جاء حوله مفصلاً في القرآن الكريم، وأنه بشر وليس إلهأً ولكنهم لم يرضخوا لمنطق النبي ودلائله فدعاهم إلى المباهلة بعدما نزلت عليه الآيات: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِي هِهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَانْفَسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِيْنَ﴾<sup>١</sup>.

وافتقد الطرفان على إجراء المباهلة في الصحراء خارج المدينة، فاختار الرسول ﷺ من أهله أربعة أشخاص فقط هم: الإمام علي عليه السلام والسترة فاطمة الزهراء عليها السلام والإمامان الحسن والحسين عليهما السلام فلم يكن غيرهم أظهر نفساً وأقوى وأعمق إيماناً. وفي الموعد المحدد سار النبي ﷺ إلى الموقع بأسلوب مميز، فقد احتضن الإمام الحسن عليه السلام وأخذ يد الإمام الحسن عليه السلام وسارت السيدة الزهراء عليهما السلام خلفها، وهو يقول: إذا دعوت فأمنوا

وكان زعماء الوفد النجراوي قد قرروا أنه إذا خرج النبي ﷺ بأهله فقط، لم يباهلوه فإن ذلك يدل على صدقه وثقته بحاله، فلما شاهدوا ذلك بأنفسهم اندهشو بالله، فكيف خرج النبي ﷺ بابنته الوحيدة وأفلاذ كبده المعصومين للomba، فأدركوا أنه ﷺ واثق من نفسه ومن دعوته، إذ لو لم يكن كذلك لما خاطر بأحبائه ولما عرضهم للبلاء السماوي، ولهذا قال أسف نجران: يا معشر

١. آل عمران: ٦١.

النصارى، إِنِّي أَرِي وجوهًا لَو شاءَ اللَّهُ أَنْ يُزيلَ جبلاً مِنْ مَكَانِهِ لَأَزَالَهُ بِهَا، فَلَا تَبَاهُلُوا فَهُلُوكُوا وَلَا يَقْسِى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نَصْرَانِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَاتَّفَقُوا بِذَلِكَ عَلَى عَدَمِ أَدَاءِ الـ مـ باـ هـ، وـ اـ سـ تـ عـ دـ اـ دـ هـ لـ دـ فـعـ الجـ زـ يـ رـةـ سنـوـيـاـ لـ لـ نـبـيـ ﷺـ فـيـ مـ قـابـلـ قـيـامـ الـ دـوـلـةـ إـسـلـامـيـةـ بـالـدـفـاعـ عـنـهـمـ.

وجاء عن السيدة عائشة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الـ مـ باـ هـ وـ عـلـيـهـ مـرـطـ كـسـاءـ مـرـجـلـ مـنـ شـعـرـ أـسـوـدـ فـجـاءـ الـ حـسـنـ فـأـدـخـلـهـ ثـمـ جـاءـ الـ حـسـنـ فـأـدـخـلـهـ، ثـمـ فـاطـمـةـ ثـمـ عـلـيـ، ثـمـ قـالـ: «إِنَّمـا يـرـيدـ اللـهـ لـيـذـهـبـ عـنـكـمـ الرـجـسـ أـهـلـ الـبـيـتـ وـيـطـهـرـكـمـ تـطـهـيرـاـ».<sup>١</sup>

ويؤكـدـ الرـغـشـريـ، أـنـ ذـلـكـ دـلـيـلـ قـوـيـ عـلـىـ فـضـلـ أـصـحـابـ الـكـسـاءـ، وـبـرـهـانـ عـلـىـ صـحـةـ نـبـوـةـ النـبـيـ ﷺـ.

وـأـمـاـ عـنـ وـقـتـ حـدـوـثـ الـ مـ باـ هـ، فـقـدـ جـاءـ أـنـهـ لـأـخـلـافـ بـيـنـ الـمـؤـرـخـينـ بـأـنـ كـتـابـ الـصـلـحـ كـتـبـ عـامـ ١٠ـهـ وـفـيـ يـوـمـ ٢٥ـ مـنـ شـهـرـ ذـيـ الـحـجـةـ. وـيـذـكـرـ السـيـدـ اـبـنـ طـاوـوسـ أـنـهـ كـانـ يـوـمـ ٢٤ـ وـهـوـ الـأـصـحـ، بـيـنـماـ رـأـيـ فـرـيقـ آخـرـ أـنـهـ كـانـ فـيـ يـوـمـ ٢١ـ أوـ ٢٧ـ مـنـ الشـهـرـ نـفـسـهـ.<sup>٢</sup>

وـقـدـ جـاءـ عـنـ السـيـدـ اـبـنـ طـاوـوسـ قـصـةـ الـ مـ باـ هـ فـيـ كـتـابـ الـإـقـبـالـ بـصـورـةـ مـفـضـلـةـ لـمـ تـرـدـ فـيـ أـيـ كـتـابـ آخـرـ، مـشـيـراـ بـأـنـ مـحـتـوـيـاتـهـ اـقـبـسـتـ مـنـ كـتـابـيـنـ:

- ١ـ . كـتـابـ الـ مـ باـ هـ لـأـبـيـ الـ فـضـلـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـ مـطـلـبـ الشـيـبـانـيـ.<sup>٣</sup>
- ٢ـ . كـتـابـ عـلـمـ ذـيـ الـ حـجـةـ تـصـنـيـفـ الـ حـسـنـ بـنـ إـسـمـاعـيلـ بـنـ إـشـناـسـ.<sup>٤</sup>

أـمـاـ رـأـيـنـاـ حـوـلـ توـقـيـتـ الـ مـ باـ هـ، فـإـنـ الـ درـاسـةـ الـ عـلـمـيـةـ ثـبـتـ أـنـ الـ وـاقـعـةـ لـمـ

١ـ . الـأـحـزـابـ: ٣٣ـ. ٢ـ . الـإـقـبـالـ: ٧٤٣ـ.

٣ـ . يـرـىـ النـجـاشـيـ أـنـ لـهـ فـتـرـيـنـ مـنـ الـحـيـاـةـ، كـانـ فـيـ إـحـدـاـهـ مـوـثـقـاـ بـهـ، وـفـيـ الـأـخـرـيـ لـمـ يـكـنـ مـوـثـقـاـ بـهـ.

٤ـ . مـنـ مـشـايـخـ الطـائـفـةـ الـإـمـامـيـةـ، تـوـفـيـ ٤٦٠ـهـ. وـنـقـلـ أـحـادـيـثـ الـ مـ باـ هـ.

تحدث في شهر ذي الحجّة عام ١٠ هـ أنّ الرسول ﷺ كان قد توجه إلى مكّة لتعليم مناسك الحجّ في هذه السنة، وفي اليوم ١٨ من هذا الشهر – وهو يوم الغدير، نصب عليه ﷺ في غدير خمٌّ خليفة على المسلمين من بعده، ولم تكن حادثة الغدير بالأمر المبين حتى يتبع النبي ﷺ سفره فوراً إلى المدينة، إذ أنه نصب خيمة جلس فيها الإمام علي ؓ ليدخل عليه المهنّون، واستمر ذلك حتى ليلة ١٩ من ذي الحجّة، حيث بدأت أمّهات المؤمنين في التهنة عند نهاية المراسيم، فلا يمكن لذلك أن يغادر الرسول ﷺ غدير خم في يوم ١٩، نظراً لوجود الكثير من الحجاج الذين كانوا يودعون النبي ﷺ في هذه البقعة.

والشاهد التاريخية تؤكّد أنّ النظرية المذكورة في توقيت المباهلة لا تحظى بالاعتبار الكافي، فلابدّ لمعرفة زمن الحادثة التي هي من مسلمات القرآن والتفسير والحديث، تحري المزيد من التحقيق والدراسة والتقصي. وأما سبب اختيار العلماء للوقت والزمن، فذلك لأنّ الشيخ الطوسي اختاره استناداً إلى روايات نقلها في كتابه، مع وجود رجال غير ثقات ضمن سنته.

وتعتبر قصة مباهلة الرسول ﷺ مع وفد نجران من أحداث التاريخ الإسلامي الجميلة والمثيرة، وإن قصر بعض المفسرين والمؤرخين في روایة تفاصيلها وتحليلها، إلا أنّ عدداً من العلماء كالزمخشري في الكشاف، والإمام الفخر الرازي في تفسيره، وابن الأثير في الكامل، تناولوها بدقةائقها.<sup>٢</sup>

١. تبعد عن الجحفة ميلين، والجحفة على ٦ أميال من البحر الأحمر، وتقرب من رايغ الآن، و٤ أميال من مكّة. أما بحساب المقاييس الحديثة فهي تبعد عن مكّة ٢٢٠ كم. والميل عبارة عن ٣آلاف ذراع، والفرسخ يساوي ٩ آلاف ذراع، وقيل إن الميل ٤ آلاف ذراع، والفرسخ ١٢ ألف ذراع. والميل ثلث الفرسخ، والفرسخ يعادل ٣ أميال.

٢. الكشاف: ١/٣٨٢؛ مفاتيح الغيب للرازي: ٢/٤٧١؛ الكامل: ٢/١١٢.

كما أنها وما نزل فيها من القرآن الكريم تعتبر أكبر فضيلة تدعم موقف الشيعة، في الكشف عن مقام ومكانة من باهل بهم رسول الله ﷺ والذين يتخذهم الشيعة أئمة وقادة لهم، فالآية الكريمة اعتبرت الإمام الحسن والحسين عليهما السلام أبناء للرسول ﷺ والسيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام هي المرأة الوحيدة التي ترتبط بالرسول ﷺ وعبر عن علي عليهما السلام بأنفسنا، فكان بحكم هذه الآية بمنزلة نفس رسول الله ﷺ، أي من حيث الصفات النفسية والمؤهلات الروحية.

## ٢. وفود القبائل في المدينة

بعد إعلان البراءة من المشركين والوثنيين في موسم حج ٩ هـ ارتكبت القبائل فعمدت إلى إيفاد مندوبيهن عنها إلى عاصمة الإسلام للحوار والتعرف على الدين الجديد والخضوع للدولة الإسلامية. وهو ما يكشف عن أنه في عام ١٠ هـ فقد هؤلاء كل حصن يمنعهم عن رسول الله ﷺ، إذ لم تنته الفترة المقررة لإعلان موقفهم - سواء بالرفض أو القبول - بعد أربعة أشهر، إلا وقد دخلت كل مناطق الحجاز تحت راية التوحيد، بالإضافة إلى سكان اليمن والبحرين واليابان.

وقد بعث ﷺ إلى اليمن: معاذ بن جبل لينشر دين التوحيد ويشرح لهم التعاليم فأوصاه قائلاً: «يسر ولا تعسر، وبشر ولا تنفر» إلا أن النبي ﷺ رأى أن يرسل الإمام علي عليهما السلام إلى تلك الجهات ليزيل المشكلات التي تعرقل تقدم الإسلام في تلك الديار. ولكن الإمام علي توافق في ذلك وقال: يا رسول الله تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدرى ما القضاء - أي ما فعلته قبل هذا - فضرب الرسول ﷺ بيده على صدره وقال: «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه» ثم أوصاه بوصايا أربع هامة قائلاً: «يا علي أوصيك : بالدعاة فإنّ معه الإجابة،

وبالشکر فإنّ معه المزید، وإیاك أن تخفر عهداً أو تعین عليه، وأنهك عن المکر فإنّه لا يحیق المکر السیء إلّا بأهله، وأنهك عن البغی، فإنّه من بُغی عليه لينصره الله».

وفي الیمن دخلت قبیلة همدان کلّها في الإسلام في يوم واحد، حينما قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فكتب الإمام عليه السلام بذلك إلى النبي ﷺ فاستبشر وابتهج وخَرَ ساجداً شکراً لله وقال: «السلام على أهل هَمْدان». وعلى أثر إسلام همدان تتابع أهل الیمن على الإسلام.<sup>١</sup>

وقد حاولت جماعة من القبائل اغتیال النبي ﷺ فقد اتفق ثلاثة من أفراد قبیلة بنی عامر المعروفة بالشر والطغیان أن يدخلوا المدينة على رأس وفد بنی عامر متظاهرين بالتفاوض مع الرسول ﷺ واغتیاله غدرًا. والثلاثة هم: عامر، أربد، وجبار. وشملت خطتهم أن يتحدث عامر إلى الرسول ﷺ في الوقت الذي يعد فيه أربد لضربه بالسيف، إلا أنّ الوضع لم يجبر كما خطّط له، فقد هاب أربد النبي ﷺ وانصرف عن نیته، فغضب عامر و هدد بمحاربة النبي ﷺ وغادر المجلس بعد أن دعا عليه النبي ﷺ وعلى صاحبه، فاستجاب الله دعاءه سريعاً حيث مات في الطريق بمرض الطاعون، واحترق أربد بصاعقة وهو في الصحراء.

### ٣. حجّة الوداع

في عام ١٠ هـ أمر الله تعالى نبیه الكریم ﷺ أن يشارک في مراسيم الحجّ، ویعلم مناسکه للناس، ویوقفهم على واجباتهم في هذه العبادة الكبرى عملياً، كما يقوم بإزالـة كل ما ارتبط بها من زوائد طيلة السنوات الماضية، ویعيـن حدود

١. الكامل: ٢/٣٥؛ بحار الأنوار: ٢١/٣٦٠.

عرفات ومنى و يوم الإفاضة منها. ولذلك فقد تهيأً عدًّا كبير من المسلمين لمرافقته النبي ﷺ في هذه الرحلة المباركة، فخرج الرسول ﷺ من المدينة يوم ٢٦ من ذي القعدة حتى بلغ ذي الحُلْيَة - قرب مسجد الشجرة - فأحرم ودخل الحرم مليئاً: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لِكَ وَالْمُلْكَ لَبِيكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ لَبِيكَ» وهو نداء إبراهيم عليه السلام . وكان يكرر التلبية كلما شاهد راكباً أو علاً مرتقاً من الأرض أو هبط وادياً، وعندما شارف مكة قطع التلبية. فدخل مكة في اليوم الرابع من شهر ذي الحجّة متوجهاً نحو المسجد الحرام رأساً، ودخله من باب بني شيبة وهو يحمد الله ويثنى عليه ويصلّى على إبراهيم عليه السلام ، فبدأ من الحَجَر الأسود فاستلمه أولاً، ثم طاف سبعة أشواط حول الكعبة المعظمة، ثم صلّى ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام ثم توجه نحو الصفا والمروة للسعى بينهما، ثم التفت إلى حُجَّاج بيت الله الحرام وقال: «من لم يسوق منكم هدياً فليحلّ وليجعلها عمرة (أي فليقصر في محله ما حرم عليه الإحرام) ومن ساق منكم هدياً فليقم على إحرامه».

إلا أن البعض منهم كره أن يحل إحرامه والنبي ﷺ مُحِرّم، فأمرهم بتنفيذ ما قال: «لو كنت استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم». أي أنني لو كنت أعلم بالمستقبل وعرفت موقف الناس المتعدد وخلافهم هذا من قبل، لما سقت الهدي، وفعلت ما فعلتموه، ولكن ما العمل وقد سُقْت الهدي فلا يمكنني الإخلال من الإحرام حتى يبلغ الهدي محله. فمن الواجب على أن أبقى في

١. استلمه يعني مسح الحجر الأسود باليدين قبل الشروع بالطواف، واستلامه نوع من تجديد الميثاق مع الخليل إبراهيم عليه السلام والعمل على نصرة عقيدة التوحيد على نحو ما فعل إبراهيم عليه السلام . وقد اعتمـر النبي ﷺ في الفترة المدنية مرتين، واحدة في عام ٧هـ والأخرى عام ٨هـ بعد فتح مكة، فهذه كانت ثالث عمرة له مع الحجّ.

إحرامي، أي أنحر هديي بمنى كما أمر الله سبحانه و تعالى، وأما أنتم فمن لم يسوق الهدي منكم فإنّ عليه أن يحلّ إحرامه، واحسبوها عمرة ثم احرموا للحجّ مرة أخرى.

وقد كره النبي ﷺ خلال فترة الحجّ أن يمكث في دار أحد، ولذا فإنه كان يأمر بضرب - أي بإعداد - خيمة له خارج مكة. وقصد النبي ﷺ عرفات في اليوم الثامن من ذي الحجّ عن طريق منى التي توقف فيها إلى طلوع الشمس من اليوم التاسع، فركب بعيره نحو عرفات، ونزل في خيمة أعدّت له في نمرة، وألقى هناك خطاباً تارينيناً هاماً وهو على ناقته، في جموع بلغت ١٠٠ ألف.

وببدأ خطابه قائلاً: «أيتها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، فإني لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيتها الناس، إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم - عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا وكحرمة بلدكم هذا، وكحرمة يومكم هذا».

وقد ألغى في هذا الخطاب عادات الثأر الجاهلية المشؤومة بادئاً بأقربائه، مثل الانتقام، والخيانة، أي أداء الأمانة، والربا، كما استوصى بالنساء خيراً.

«وقد تركتُ فيكم ما إن اعتصمت به فلن تضلوا أبداً، أمراً بيناً كتاب الله وستة نبيه. والمسلمُ أخو المسلم، والمسلمون إخوة، ولا نبي بعدي ولا أمة بعدهم. ألا كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي».

ثم سار بعد الغروب إلى المذكورة، ووقف فيها من الفجر إلى طلوع الشمس، وتوجه في اليوم العاشر إلى منى وأدى مناسكها، ثم توجه نحو مكة لأداء بقية المناسك.

وكان الإمام علي عليه السلام يومذاك في اليمن، فعلم بتوجه النبي ﷺ إلى مكة، فخرج مع جنوده للمشاركة في الموسم واصطحب معه شيئاً من بز اليمن وحريرها

أخذها جزية من أهل نجران. وبعد أن أدى مناسك العمرة، رجع الإمام عليه السلام إلى جنوده حسب ما أمره الرسول ﷺ فوجد أنّ نائبه الذي عينه أثناء غيابه قد وزّع على كلّ فرد منهم حلة من البز، كان يريد تسليمها إلى النبي ﷺ، فطلب منهم ردّها مع الأشياء الأخرى من جزية أهل نجران.

#### ٤. الخلافة بعد النبي ﷺ

هل الخلافة منصبٌ تعيني أو انتخابي؟ يرى الشيعة أنّ القيادة منصب تعيني فيه نصّ، فلابدّ أن يتعين خليفة النبي ﷺ من جانب الله سبحانه و تعالى، بينما يرى أهل السنة أنها منصب انتخابي جمهوري، أي تقوم الأمة هي بعد النبي ﷺ باختيار فرد منهم يتولّ إدارة البلاد. ولكلّ من الاتّجاهين دلائل ذكرها أصحابها في الكتب العقائدية.

إنّ الظروف السائدة في تلك الفترة حتمت بأن يعين النبي ﷺ خليفةً له، وذلك لما كان عليه الوضع من تهديد العدو للدولة الإسلامية، فأوجب مواجهة الأخطار الخارجية بتعيين قائدٍ سياسيٍ يمكنه السيطرة على الوضع، كما أنّ خطر حزب النفاق كان لا يزال له دوره في تقويض دعائم الكيان الإسلامي داخلياً، وقد بين دورهم التخريبي وخطرهم الأكيد، القرآن الكريم في عدّة سور.

ولذا فإنّه مع وجود تلك الأخطار الخارجية والداخلية، التي كانت تتهدّر الفرص للقضاء على الدولة الإسلامية الحديثة، فإنه كان لابدّ من تعين قائد ديني سياسي، يمكنه القضاء على ما يظهر من اختلاف وانشقاق بعده عليه السلام في المجتمع الإسلامي، ويكون بذلك ضماناً لبقاءه واستمراريه.

وبالإضافة إلى تلك الأحوال الاجتماعية والسياسية للمسلمين، فإنّ هناك

روايات وأخباراً أكدت صحة الموقف والرأي الذي ذهب إليه علماء الشيعة، وثبتت في المصادر المعتبرة، أنّ النبي ﷺ نصّ على خليفته مراراً، إذ لم ينصّ على خليفته ووصيه في أواخر حياته فحسب، بل بادر إلى ذلك في بدء الدعوة، وخاصة في الفترة التي أمره فيها سبحانه وتعالى بأن ينذر عشيرته الأقربين ويدعوهم إلى عقيدة التوحيد، حينها وقف خطيباً في أربعين رجلاً من زعماء بنى هاشم: «أَيُّكُمْ يُؤازِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيْكُمْ؟» فأحجم القوم وقام على ﷺ وأعلن مؤازرته له، فقال الرسول ﷺ: «إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيْكُمْ فَاسْمَعُوهُ وَأَطِيعُوهُ».١

وعُرف هذا الحديث بحديث يوم الدار، وحديث بدء الدعوة.

كما أنّ حديث الغدير يُعدّ من أهمّ الأحداث والوقائع التي تؤكّد صراحة على خلافته ﷺ إذ أنه في الطريق إلى المدينة، بلغ موكب الحجّ العظيم رابعاً<sup>٢</sup> حيث نزل جبرائيل ﷺ على رسول الله ﷺ بمنطقة تدعى غدير خم وبلغه الآية التالية: ﴿لَا يَأْكُلُ الرَّسُولُ بَلَّغَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>٣</sup> وكان ذلك الأمر هو الإعلان عن خلافة الإمام علي ﷺ أمام ١٠٠ ألف شاهد.

وقال في خطابه: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً، كتاب الله سببٌ، طرفٌ بيد الله، وطرفٌ بأيديكم، فتمسّكوا به؛ والآخر عترتي، وإن

١. تاريخ الطبرى: ٢١٦/٢؛ الكامل في التاريخ: ٦٢/٢.

٢. تقع الآن على طريق مكة - المدينة، وتبعد عن الجحفة ثلاثة أميال، والتي هي من مواقف الإحرام، وتشتّب منها طرق أهل المدينة ومصر وال العراق.

٣. المائدة: ٦٧.

اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تصرروا عنهم فتهلكوا». ثم رفع يد الإمام علي عليهما السلام قائلًا: «يا أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال عليهما السلام: «إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاً له فعليك مولاً! اللهم وال من والاه وعاد من عاده، وانصر من نصره، وانحذل من خذله، وأحب من أحبه، وابغض من أبغضه، وأدر الحق معه حيث دار».

وفي الحقيقة إننا قبلنا نجد حادثةً تاريخيةً حظيت في العالم في التاريخ الإسلامي والأمة الإسلامية بمثل ما حظيت به واقعة الغدير. فقد استقطبت اهتمام فئاتٍ مختلفةٍ من المحدثين والمفسرين والفلسفه والكتاب والشعراء والأدباء والخطباء وأرباب السير والتراجم، واعتنوا بها أشد الاعتناء. و من أسباب خلودها واستمراريتها، نزول آياتٍ حولها في القرآن الكريم.<sup>١</sup> كما أن المسلمين سابقاً والشيعة بصورة خاصة ، اتخذوا هذا اليوم عيداً ومناسبةً مفرحةً، جعله حالداً حتى الآن. فقد كان يوم ١٨ من شهر ذي الحجة معروفاً بيوم عيد الغدير عندهم حتى أن بعض المؤرخين أرتوهوا به بعض الأحداث، كما أن أبو ريحان البيروني والشعالي، اعتبراه من الأعياد الإسلامية.<sup>٢</sup>

كما أن النبي عليهما السلام أمر المهاجرين والأنصار، ونساءه بالدخول على الإمام علي عليهما السلام لتقديمه التهنة له بهذه الفضيلة الكبرى، مثلما ذكر زيد بن أرقم، وأن أول من صافق النبي عليهما السلام وعليه: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير، وبافي

١. كرر النبي عليهما السلام هذه العبارة ثلاث مرات دفعاً لأي التباس.

٢. المائدة: ٦٧ و ٣.

٣. وفيات الأعيان: ١/٦٠؛ الآثار الباقية: ٣٩٥؛ ثمار القلوب: ٥١١.

المهاجرين والأنصار والناس.

كما أنّ ١١٠ صحابياً تناولوا هذه الواقعة التاريخية الهامة بالرواية والحديث، كما رواه أيضاً ٨٩ تابعياً، و ٣٦ شخصاً من علماء أهل الشيعة وفضلاهم، وصحّحه جع كبر من الآخرين. فقد رواه في القرن ٩٢ هـ: عالماً، وفي القرن ٤ هـ: عالماً، إلى القرن ١٤ هـ حيث رواه عشرون عالماً. وألف الطبرى في ذلك كتاباً أسماه: الولاية في طرق حديث الغدير روى فيه الحديث عن النبي ﷺ بـ ٥٧ سندًا. كما رواه عدد من علماء الحديث أمثال: ابن حجر العسقلاني، وأبو سعيد السجستاني، والنسيائي، وأبو العلاء الممدانى. وبلغ عدد من ألف رسالة خاصة أو كتاباً مستقلاً حول الواقعة وتفاصيلها ٢٦ شخصاً. أما علماء الشيعة فقد تناولوا فيها كتاباً ومؤلفات قيمة، أشملها الغدير الذي كتبه العلامة القدير آية الله الشيخ الأميني.<sup>١</sup>

وبعد نزول الآية السابقة، والإجراءات التي أقدم عليها النبي ﷺ نزلت الآية: ﴿الَّيْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ إِسْلَامَ دِيْنَكُمْ﴾<sup>٢</sup>.

فكّر النبي ﷺ بصوت عال وقال: «الحمد لله على إكمال الدين، وإنما النعمة، ورضي رب بر سالتي، وولاية علي بن أبي طالب بعدي». ثم قام حسان ابن ثابت الأنباري واستأذن النبي ﷺ في أن ينشد أشعاراً بهذه المناسبة.

١. يشتمل على ١١ مجلد في ٦ آلاف صفحة.

٢. المائدة: ٣.

## ٥. المرتدون من المتنبئين

في نهاية عام ١٠ هـ قدم نفران من اليمامة وسلماً النبي ﷺ كتاباً من مسيلمة (الكذاب) يدعى فيه النبوة ويُشرك نفسه مع رسول الإسلام في أمر الرسالة، يريد بذلك أن يعرف الرسول الكريم ﷺ ببنوته هذه: فإني قد أشركتُ في الأمر معك، وإنّ لنا نصف الأرض، ولقربيش نصفُ الأرض، ولكن قريشاً قومٌ يعتدون.<sup>١</sup> فالتفت النبي ﷺ إلى رسولي المتنبئ وقال: «أما والله لولا أنّ الرسل لا تُقتل لضررت أعناقكم لأنّكم أسلمتما من قبل وقبلتما برسالتي فلِم اتبعتما هذا الأحمق وتركتما دينكم؟».

ثم كتب ﷺ إليه كتاباً مقتضباً: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنّ الأرض يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمنتقين».<sup>٢</sup>

كما ادعى النبوة في نفس الوقت، الأسود بن كعب العنسي، في اليمن، إلا أنّ الخلفاء من بعد الرسول ﷺ تكثروا من القضاء على تلك الحركات المرتدة، إذ أنها كانت أول أعمال الخلفاء الراشدين.

## ٦. الأخطار الخارجية

وكان خطر الروم أشدّ الأخطار الخارجية، فاعتبره النبي ﷺ أمراً جدياً لا يمكن التقليل من شأنه، ولذا فإنه أعدّ جيشاً كبيراً في (سنة ٨ هـ) لمحاربتهم، كما

١. لم يبدأ كتابه باسم الله أو مثل ما كان يفعله المشركون في العهد الجاهلي.

٢. السيرة النبوية: ٦٠٠ / ٢.

سار إلى تبوك في (سنة ٩ هـ) لإظهار قوّة المسلمين أمامهم. ثم رأى بعد حجّة الوداع أن يُعدّ جيشاً من المهاجرين والأنصار، واشترك فيه أشخاص بارزون في الدولة أمثال: أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص، وكلّ من هاجر إلى المدينة خاصة، وأمر بقيادته: أُسامه بن زيد، وقال له: «سِر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فاغز صباحاً وشنّ الغارة على أهل أُنبي»<sup>١</sup>.

وقد أراد النبي ﷺ بتعيين قائد صغير السنّ على هذا الجيش الكبير، أن يؤكد أساس الكفاءة الشخصية في توسيع المناصب والمسؤوليات، فهي لا ترتبط بالسن والعمر، بل بالكفاءة والمؤهلات المطلوبة.

ولذا فإنّه لم يكن هناك مبرّر لاعتراض البعض على توسيع قيادته من حيث السنّ وعمر الشباب.<sup>٢</sup>

ذلك أنّ هؤلاء غفلوا عن المصالح والأهداف التي توخاها الرسول ﷺ من هذا الإجراء، فقدّروا كلّ عمل بعقوفهم المحدودة، وقايسوها بمقاييسهم الشخصية، مما أثر ذلك في تأخير تحرك الجيش من معسكر الجرف<sup>٣</sup> الذي استقر به أُسامه متطرّفاً من سيلحق به من المسلمين.

١. أُنبي، من مناطق البلقاء في سوريا قرب مؤتة بين عسقلان والرملة.

٢. ذهب بعض إلى أنه كان في عمر ١٧ سنة، وأخرون بأنه كان في ١٨ سنة، على أنّهم اتفقوا على أنه لم يتتجاوز العشرين.

٣. الجرف: على بعد ٣ أميال من المدينة نحو الشام.

## ٧. مرض النبي ﷺ

وبعد يوم من إعداد الجيش السابق، مَرِضَ النبِيُّ ﷺ بصداع شديد تركه طريح الفراش، وهو المرض الذي قضى فيه ﷺ. وقد علم الرسول ﷺ أنَّ هناك من تخلف عن الجيش، ومن يعرقل التوجه إلى موقعه، ومن يطعن في قيادة أُسامة، فغضب لذلك بشدة وخرج معصباً جبهته إلى مسجده، يحذرهم من عواقب أُعْمَالِهِمُ غير السليمة وخطابهم بقوله:

«لَئِنْ طَعْتُمْ فِي إِمَارَتِي لِأُسَامَةَ، فَقَدْ طَعْنَتُمْ فِي إِمَارَتِي أَبَاهُ مِنْ قَبْلِهِ، وَأَيْمُ اللهُ كَانَ لِإِمَارَةِ خَلِيقاً، وَأَنَّ ابْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ خَلِيقُ لِإِمَارَةِ، وَإِنَّهُ كَانَ لَمَنْ أَحْبَبَ النَّاسَ إِلَيْهِ، وَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْرًا فَإِنَّهُ مِنْ خَيْرِكُمْ».

ونظراً لأهمية هذا الجيش، فإنَّ النبِيُّ ﷺ كان يقول وهو في الفراش: «جهزوا جيش أُسامة، لَعَنَ اللهِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ».<sup>١</sup>

وفي الوقت الذي استعدَّ فيه أُسامة وأخرون من المهاجرين والأنصار للسير نحو الجرف، انتشر بينهم خبر تدهور صحة النبِيِّ ﷺ مما جعلهم يعدلون عن قصدهم حتى يوم الإثنين، إلا أنه ﷺ حثَّ على الخروج قائلاً: «اغدُ على بركة الله».<sup>٢</sup> فتهيأ الجيشُ للتحرك والمغادرة، إلا أنَّ خبر احتضار الرسول ﷺ جعلهم يعودون إلى المدينة متဂاهلين أوامر النبِيِّ ﷺ.

وقد ذكر المؤرخون أنَّ النبِيِّ ﷺ خرج في الليلة التي توفيَّ في صبيحتها، مع الإمام علي عليه السلام إلى البقيع مع عدد آخر، فقال لهم: «إنِّي أمرت أن استغفر لأهل

١. الملل والنحل: ٢٣/١؛ طبقات ابن سعد: ١٩٠/٢.

٢. طبقات ابن سعد: ١٩٠/٢.

البقيع»، وعندما وصل إلى المكان سلم على أهل القبور قائلاً: «السلام عليكم أهل القبور، ليهشكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبّلت الفتنة كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً، يتبع آخرها أولها». ثم التفت إلى الإمام علي عليه السلام وقال:

«يا علي، إني خيرت بين خزائن الدنيا والخلود فيها أو الجنة، فاخترت لقاء ربِّي والجنة. إنْ جبرائيل كان يعرض على القرآن كلَّ سنة مرتة، وقد عرضه علي العام مرتين، ولا أراه إلا حضور أجلي».<sup>١</sup>

#### ٨. وفاة ابنه إبراهيم

وفي هذه السنة، وبعد ١٨ شهراً من ولادته، توفي إبراهيم ابن النبي عليه السلام فحزن عليه. وكان النبي عليه السلام قد فقد خلال السنوات الماضية، ثلاثة من أولاده: القاسم والطاهر والطيب. وثلاثة من بناته: زينب ورقية وأم كلثوم. وبقيت له بنت واحدة هي السيدة فاطمة الزهراء عليها من خديجة عليهما السلام.

واعتبر النبي عليه السلام الحزن على الميت رحمة إذ قال: «إنما هذا رحمة، ومن لا يرحم لا يُرحم، ولكن نُهيت عن خمس الوجوه، وشقّ الجيوب، ورنة الشيطان».<sup>٢</sup>

١. بحار الأنوار: ٤٦٦ / ٢٢؛ طبقات ابن سعد: ٢٠٤ / ٢.

٢. السيرة الخلبية: ٣١٠ / ٣.

## أحداث السنة الحادية عشرة من الهجرة

### ١. الكتاب الذي لم يكتب

قرر الرسول ﷺ بهدف الحيلولة دون انحراف مسألة الخلافة عن محورها الأصلي، والحيلولة دون ظهور الاختلاف والافتراق، أن يعزز مكانة علي رضي الله عنه ويدعم إمارته وخلافته، وأهل بيته، بإثبات ذلك في وثيقة خالدة تضمن بقاء الخلافة في خطها الصحيح.

ففي خلال زيارة بعض الصحابة له أثناء مرضه قال: «إئتوني بدواة وصحيفة، أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده». فبادر عمر قائلاً: إنّ رسول الله قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله. <sup>١</sup> فكثر اللغط والنقاش حول إحضار ما طلبه النبي ﷺ أو عدمه، مما أغضب النبي ﷺ فقال: «قوموا عنّي لا ينبغي عندي التنازع»، وقال ابن عباس: الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله. <sup>٢</sup> وقد نقل هذه الواقعة فريق كبير من محدثي الشيعة والسنة ومؤرخיהם، وتعتبر من الروايات الصحيحة. وإذا سُئل أحد عن عدم إصرار النبي ﷺ على كتابة ذلك الكتاب، فذلك لأنّه ﷺ إذا أصرّ على موقفه، لأصرّ هؤلاء في الإساءة

١. الملل والنحل: ٢٢ / ١.

٢. صحيح البخاري: ٢٢ / ١؛ صحيح مسلم: ١٤ / ٢؛ مسنـد أـحمد: ٣٢٥ / ١.

إلى النبي ﷺ وخاصة أنهم قالوا عنه، أنه غلبه الوجع أو هجر، ثم قيامهم بعد ذلك بإشاعة الأمر بين الناس.

وقد روى ابن حجر العسقلاني، أن النبي ﷺ قال لأصحابه وقد امتلأت بهم الحجرة وهو في مرضه: «أيها الناس يوشك أن أقبض سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معدراً إليكم، إلا أنني مختلف فيكم كتاب الله ربى عزوجل وعترتي أهل بيتي».

ثم أخذ بيده على ﷺ وقال: «هذا علىي مع القرآن والقرآن مع علي، خليفتان نصيران لا يفترقان حتى يردا علىي الحوض فاسألهما ماذا خلفت فيهما». <sup>١</sup>

ومن الواضح أن النبي ﷺ لفت الأنظار إلى حديث الثقلين مرة أخرى، برغم ما ذكره في مواضع متعددة، حتى يؤكد أهمية الثقلين، وتدارك ما فات من كتابة الكتاب الذي لم يوفق لكتابته.

وفي هذه اللحظات، طلب بعضاً من الدنانير كان قد وضعها عند إحدى زوجاته، وأمر عليها ﷺ ليتصدق بها.

وكان النبي ﷺ قد سُقِي دواء خطأ في علاجه، فقد تخيلت «أساء بنت عميس» أنّ مرضه - ذات الجنب - تعلمت علاجه من عقار مركب من نبات وأعشاب من الحبشة، إلا أن النبي ﷺ لما عَلِم بالدواء، ذكر بأنّ مرضه ليس ذات الجنب.

## ٢. اللحظات الأخيرة

في هذه الفترة الحرجة، كانت السيدة الزهراء ظاهرًا تلازم فراش والدها ﷺ لا

<sup>١</sup>. الصواعق المحرقة ، باب ٩، ٥٧: كشف الغمة: ٤٣.

تفارقه لحظة، وفجأة طلب منها أن تقرب رأسها إلى فمه ليحذثها، فراح يكلّمها بصوت خفيٍ لم يُعرف، ولكن الزهراء عليها السلام بكت بشدة، إلا أنّ النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ أشار إليها مرةً أخرى فحدّثها بشيء آخر، فرحت به وتبسمت مستبشرة. ولم تكشف عن ذلك إلاّ بعد وفاة النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ بناءً على إصرار عائشة: «أخبرني رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ أنه قد حضر أجله وأنّه يُقْبَض في وعده، فبكّيت، ثمّ أخبرني أنّي أول أهله لحوّاً به فضحيكت».<sup>١</sup>

وفي آخر لحظة من حياته الشريفة طلب الإمام علي عليه السلام قائلاً: «أدعوا لي أخي». فعرف الجميع بأنه يريد عليه عليه السلام دعوته عليه، فقال له: «أدن مني فدنا منه، فاستند إليه فلم يزل مستنداً إليه يكلّمه».<sup>٢</sup>

وسأل رجل ابن عباس: هل توفي رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ في حجر أحد؟ قال: توفي وهو مستند إلى صدر عليٍّ، وهو الذي غسله وأخي الفضل بن عباس. وقيل إن آخر جملة نطق بها الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ هي: «لا، إلى الرفيق الأعلى». فكأنّ ملك الموت خيره عند قبض روحه الشريفة في أن يصح من مرضه أو يلبي دعوة ربّه، فاختار اللحاق بربيه.

وسأل كعب الأحبار عن آخر كلمة قاها الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ فقال الإمام علي عليه السلام: آنه قال: الصلاة الصلاة.

وقد ترك الدنيا صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ يوم الإثنين ٢٨ صفر، فسُجّي ببرديهاني، ووضع في حجرته بعض الوقت، وارتقت صرخات العيال، وعلا بكاء الأقارب، وانتشر نبأ وفاته في كل أنحاء المدينة التي تحولت إلى مأتم كبير.

وقام الإمام علي عليه السلام بغسل جسده الشريف وكفنه، إذ أنّه كان قد ذكر:

١. طبقات ابن سعد: ٢٦٣ / ٢؛ الكامل في التاريخ: ٢١٩ / ٢.

«يغسلني أقرب الناس إلى». وصلّى عليه مع المسلمين، وتقرر دفنه في حجرته المباركة. وحضر قبره أبو عبيدة بن الجراح وزيد بن سهل، ودفنه الإمام علي عليهما السلام يساعد الفضل بن العباس.

ولما فرغ الإمام علي عليهما السلام كشف الإزار عن وجهه وقال والدموع تنهمر من عينيه: بأبي أنت وأمي، طبت حيَا وطبت ميتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممّن سواك من النبوة والأنباء. ولو لا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع، لأنفينا عليك ماء الشؤون، ولكن الداء ماطلاً، والكمد مخالفًا وقللاً لك، ولكنه ما لا يُملّك رده ولا يستطيع دفعه! بأبي أنت وأمي أذكينا عند ربك واجعلنا من بالك».<sup>١</sup>

وهكذا غربت شمس أعظم شخصية غيرت مسار التاريخ البشري بتضحياته الكبرى وجهوده المضنية، وأعظم رسول إلهي فتح أمام الإنسانية صفحات جديدة ومشترقة من الحضارة والمدنية.

ومن هنا فإننا نختتم حديثنا هذا بالشكر لله تعالى على هذه النعمة الكبرى،  
والحمد لله رب العالمين.<sup>٢</sup>

جعفر السبحاني

قم المقدسة الحوزة العلمية

شعبان المعظم ١٣٩٠ هـ

١. نوح البلاغة: خطبة رقم ٢٣٥.

٢. تم تدوين هذه المحاضرات وتوثيقها وتحقيقها في شهر شعبان المعظم عام ١٤٠٩ هـ في مدينة قم.  
جعفر الهادي.

**الفصل العاشر**

**حكايات وروايات مؤثرة**

**جاء ذكرها في الكتاب**



## العادات و التقاليد

### في جزيرة العرب قبل الإسلام

#### وأد البنات

متى بدأت عادة وأد البنات؟ وقد تأكّد أنّ بنى تميم هي أول قبيلة أقدمت على هذه الجريمة النكراء، حينما امتنعوا عن دفع الضرائب لملك الحيرة النعمان بن المنذر، فحاربهم واستولى على أمواهم ونسائهم، فكلّموه في إرجاع نسائهم، فقرر أن تختار المرأة نفسها العودة أو البقاء، فاختارت بعضهن البقاء وعدم العودة إلى أهاليهن، وخاصة بنت قيس بن عاصم الذي نذر أن يدّس كلّ بنت تُولد له منذ ذلك الوقت. فسنّ بذلك لقومه وأد البنات، وأخذتها بقية القبائل.

وقد سُئل النبي ﷺ قيساً عن عدد البنات اللائي وأدهن في الجاهلية فقال:  
اثنتا عشرة بنتاً له، بل قيل أكثر من ذلك !!

وروى عن ابن عباس، أنّ الحامل إذا قربت ولادتها حفرت حفرةً فمخضت رأسها فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة، وإذا كان ولداً حبسه !!

موقف النبي ﷺ من الخرافات التي سادت الجزيرة العربية  
كافح الرسول ﷺ الخرافات والأساطير والأفكار الفاسدة الباطلة، فلما مات

ابراهيم ابْنُ هَرَيْرَةَ حَزِنَ عَلَيْهِ وَبَكَى بِشَدَّةٍ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي حَدَثَ كَسْوَةُ الشَّمْسِ، فَذَهَبَ الْمَوْلَعُونَ بِالْخَرَافَاتِ عَلَى عَادَتِهِمْ إِلَى رِبْطِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ بِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَى أَنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى عَظَمَةِ الْمَصَابِ، قَالُوا: إِنْكَسَفَتِ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ ابْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِلَّا أَنَّهُ صَدَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «أَيَّهَا النَّاسُ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتٌ مِّنْ آيَاتِ اللهِ يَجْرِيَانِ بِأَمْرِهِ وَمُطْبِعَانِ لَهُ لَا يَنْكِسُفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاةِهِ، فَإِذَا انْكَسَفَا أَوْ أَحْدَهُمَا صَلَّوَا».

ثُمَّ نُزِّلَ فَصْلٌ صِلَةُ الْكَسْوَفِ وَهِيَ صِلَةُ الْآيَاتِ.<sup>١</sup>

### الحالة الاجتماعية في إيران الساسانية

يذكر الشاعر الفارسي: الفردوسي قصة وقعت في العهد الذهبي للدولة الساسانية، تتناول التعليم، وخاصة ما يتعلق بتعليم القراء وحرمانهم من اكتساب الثقافة، فقد وصل الحال السيء للدولة أن رغبت في أموال كثيرة تكفي نفقات الحروب المستمرة، لإعداد ٣٠٠ ألف مقاتل، فاستدعاى الملك أنوشروان وزيره بزرجمهر يطلب مساعدته في توفير المال اللازم، فاقتصر عليه بتحصيلها عن طريق القروض الشعبية، فأرسل مندوبيه إلى المدن الإيرانية لتحصيل المال اللازم من التجار وأصحاب الثروة، وظهر من بينهم رجل حذاء أبدى استعداده لتحمل نفقات الجيش بمفرده، بشرط السماح لولده بتحصيل العلم، إلَّا أَنَّ الْمَلِكَ غَضِبَ على الوزير ونهره قائلاً: دع هذا، ما أَسْوَى مَا تَطْلُبُهُ، إِنَّ هَذَا لَا يَكُونُ، لَأَنَّ ابْنَ الْحَذَّاءِ بِخُرُوجِهِ مِنْ وَضْعِهِ الطَّبْقِيِّ يَهْدِمُ التَّقْلِيدَ الطَّبْقِيَّ الْمُتَّبَعَ فَيَنْفَرِطُ عَقْدُ الدُّولَةِ، وَيَكُونُ ضَرُّ هَذَا الْمَالِ عَلَيْنَا أَكْثَرَ مِنْ نَفْعِهِ، وَشَرَّهُ أَكْثَرُ مِنْ خَيْرِهِ.

١. بحار الأنوار: ٩١ / ١٥٥.

ويستمر الفردوسي في شرحه لهذا الوضع عن لسان أنوشروان: إذا أصبح ابن الحذاء عالماً وكاتباً، فإنه عندما يجلس ولدُنا في الحكم واحتاج إلى كاتب فإنه سيضطر إلى تعيين ذلك الولد، وهو من عامة الشعب ومن أبناء الطبقة الدنيا، في حين جرت العادة أن نستعين بأبناء الأشراف والنبلاء. وإذا حصل هذا الحذاء على العلم والمعرفة حصل على عيون بصيرة، وإذا سمعة، فربما يجب ألا يراه، ويسمع ما يجب ألا يسمعه، فتحدث الحسرة والأسف لأبناء الملوك بعدئذ!!

وبذا فإنَّ الملك رفض طلبه وأعاد ماله إليه. وهذا الملك هو ما يصفه البعض بالعدل «أنوشروان العادل» مع أنه لم يحل المشكلة الثقافية في مجتمعه، كما ذكر عنه، أنه دفن في القبور أحياً ما يقرب من ٨٠ ألفاً ومائة ألف فرد، خلال فتنة مزدك، التي اندلعت بسبب الظلم الاجتماعي والتمييز الطبقي واحتياط الشروات والمناصب، وحرمان أكثرية الشعب من حقوقها الأولية.

ومن هنا يظهر بطلان الحديث المروي عن النبي ﷺ: «ولدتُ في زمن الملك العادل أنوشروان».

وقد ذُكر الكثير عن البذخ والترف في البلاتط الساساني، من كثرة المجوهرات والأشياء الثمينة والرسوم، سحرت العيون وخلبت الألباب. وما اشتهر منها، سجادة بيضاء كبيرة فرشت في إحدى الصالات، واسمها: بهارستان كسرى، إذا جلسوا عليها وقت الشراب وتعاطي الخمر، فكأنهم كانوا جالسين في حدائق ورياض. صنعت أرضيتها من الذهب و Yoshiha بفصوص وجواهر وحرير، وكانت  $٦٠ \times ٦٠$  ذراعاً، وقيل  $١٥٠ \times ٧٠$  ذراعاً، ومنسوجة من خيوط الذهب والمجوهرات الغالية!!

وما قيل عن كسرى خسرو برويز، أنه جمع الأموال مالم يجمع مثله من

الملوك، إذ كان أرحب الناس في اقتناء الجواهر واللآلئ والأواني.

### حفر زمز

نزلت عندها قبيلة جُرهم التي رأست مكّة لسنين طويلة، وتستفید من مياه العين. إلا أنّه بعد تفشي المفاسد والشهوات فقد جفت العين. وعندما هددت خزاعة جرهم، أمر زعيمهم بإلقاء الغزالين الذهبيين والسيوف الغالية المهدأة إلى الكعبة، في مقر زمز وملئها بالتراب، حتى لا يستولي عليها خصومه، ومتى عاد إلى مكّة استخرج الكنز واستفاد منه. إلا أنّ قتالاً نشب بين الطرفين، فاضطررت جرهم وأبناء إسماعيل مغادرة مكة إلى اليمن دون الرجوع إليها ثانية، فترعم مكة: خزاعة، ثم سيطر عليها قصي بن كلاب، حتى عبد المطلب الذي ترأسها وقرر حفر بئر زمز، التي لم يُعرف موقعها إلاّ بعد بحث طويل، كما أنّ الآخرين رفضوا انفراده بالحفر، طالبين الاشتراك معه في ذلك، ليحصلوا على الفخر مثله فقالوا: إنّها بئر أبينا إسماعيل، وإنّ لنا فيها حقاً فأشركنا معك، إلا أنّ عبد المطلب أصر على أن ينفرد في ذلك، حتى يمكنه بعد ذلك أن يسبّل ماءها فيسوق منها جميع الحجاج دون أن يتاجر بها.

ولما طال النزاع بينهم قرروا التحاكم إلى كاهن من العرب سكن ما بين الحجاز والشام. وفي الطريق أصابهم عطش شديد وأيقنوا بالهلاك، ففكروا في كيفية دفهم إذا هلكوا وماتوا، فاقتصر عبد المطلب أن يحفر كلّ واحد حفيرته، فإذا مات دفنه الآخرون، فلا تبقى أجسادهم طعمة للسحوش والطيور. فقاموا بذلك وانتظروا الموت. إلا أنّ عبد المطلب صاح فجأة يحثّم على البحث عن الماء في الصحراء بصورة جماعية، مما كان له الأثر في ظهور عين عذبة أنقذتهم من الموت المحقق، فعادوا من حيث جاءوا وقالوا للعبد المطلب:

«والله قضى لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقاياتك راشداً».

وخلال الحفر عثر على الغزاليين والسيوف المرصعة، مما سبب نزاعاً آخر بينه وبين قريش، التي اعتبرت نفسها شريكةً في هذا الكنز، فتقرر اللجوء إلى القرعة لحل المشكلة، فخرجت القرعة باسم عبد المطلب، فأصبحت الأشياء إليه، فصنع من السيوف باباً للküبة، وعلق الغزاليين فيها.

### الوفاء بالعهد والنذر<sup>١</sup>

نذر عبد المطلب إذا رزقه الله عشرة أولاد، أن يقدم أحدهم قرباناً للكعبة دون أن يخبر أحداً بذلك، وقد حصل ما أراد، فكان لابد من الوفاء بالنذر، فشاور أبناءه بالأمر فوافقوا على أن يختار أحدهم للذبح عن طريق القرعة. وقت القرعة فأصابت عبد الله والد الرسول الأكرم ﷺ فأخذه إلى مكان الذبح. وحينما علمت قريش بذلك، حزنوا وبكوا وخاصة الشباب منهم، فاقترحوا أن يفدى عبدالله، وأظهروا استعدادهم لدفع الفدية إذا جاز ذلك. وبعد أن تغير في هذا الموقف الصعب، اقترح عليه أحدهم: لا تفعل وانطلق إلى أحد كهنة العرب عسى أن يجد لك حلاً. فوافقوا على ذلك. فتوجهوا نحو يثرب لمقابلة الكاهن الذي سألهم: كم ديةُ الماء عندكم؟ قالوا: عشرة من الإبل. فقال: ارجعوا إلى بلادكم وقربوا عشرة من الإبل واضربوا عليها وعلى صاحبكم - أي عبد الله - القداح، فإن خرجت

١. القصة جديرة بالاهتمام، في أنها تجسد مدى إيمان عبد المطلب وقوته عزمه وصلابة إرادته وإصراره على الوفاء بعهده والالتزام به.

القرعة على صاحبكم فزيدوا عشرأً حتى يرضي ربكم، وإن خرجت على الإبل،  
فانحروها فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم وكانت عنه فداءً.

فأجروا القرعة في مكة في جماعة من الناس، وزادوا عشرأً حتى إذا بلغ  
عدد الإبل مائة خرجت القداح على الإبل ونجا عبد الله من الذبح، ففرحوا  
ونحرت الإبل.<sup>١</sup>

### قضايا عجيبة في فترة طفولة النبي ﷺ

أرادت حليمة السعدية أن تررضي النبي ﷺ في حضور أمّه، ففتحت جيبها  
وأخرجت ثديها الأيسر، ووضعت الرسول ﷺ في حجرها لترضعه، فترك النبي ﷺ  
ثديها الأيسر ومال إلى الثدي الأيمن الذي كان جهاماً - أي خالياً من اللبن ولم  
يكن يدرّ به - فغيرت الشדי إلى فمه، خوفاً من ألا يجد فيه النبي ﷺ شيئاً فلا  
يأخذ بعده الأيسر، ولكن النبي ﷺ أصرّ على مص الثدي الأيمن، ولما استلمه امتلأ  
وانفتح، فأدھش الجميع.

وتذكر حليمة أيضاً تلك البركة التي لحقتها وقومها بسبب النبي ﷺ قائلة:  
إنّ البوادي أجدبت وحملنا الجهد على دخول البلد، فدخلت مكة مع نساءبني  
سعد، فأخذت رسول الله ﷺ فعرفنا به البركة والزيادة في معاشنا حتى أثرينا  
وكثرت مواشينا وأموالنا.

وقد احترمها النبي ﷺ وأجلّها بعد سنوات عندما كبر، وحينما قدمت إليه في  
سنوات الجدب والقحط تزوره، احترمها وأكرّمها وفرّش رداءه تحت قدميها،

١. نقل عن النبي ﷺ قوله: «أنا ابن الذبيحين». الأول: إسماعيل بن إبراهيم ﷺ، والثاني: أبوه.  
بحار الأنوار: ١٢٣ / ١٢.

واصغى لها.

ولما شكت حالتها وهلاك مواشيها، طلب ﷺ من السيدة خديجة ظلماً أن تعطيها بعيراً و ٤ شاة، فانصرفت مسورة.  
وقيل، أنها جاءته مرّة فلما دخلت عليه قال ﷺ: «أمّي أمّي».<sup>١</sup>

### رأي قريش في القرآن

كان القرآن من أكبر وأقوى أسلحة النبي ﷺ في إخضاع أساند الفصاحة والبلاغة أمام حلاوة كلماته وعباراته القوية، فاعترفوا بأنّ حديثه لم يعرفه البشرُ من قبل ولم يعهد له التاريخ الإنساني نظيرًا. وربما أدت جاذبيته وتأثير حديثه إلى انهيار قوّة الأعداء. ومن تلك النماذج:

الوليد بن المغيرة، الذي كانت العرب ترجع إليه في حل مشكلاتهم، فطلبوه رأيه في حل مشكلة قوّة انتشار الإسلام، والقرآن، هل هو سحر أم كهانة أم حديث إنسان؟ فجاء إلى النبي ﷺ وقال: أنسدني شعرك. فقال ﷺ: «ما هو بشعير ولكنه كلام الله الذي بعث أنبياءه ورسله». وقرأ عليه سورة «الرحمن» فاستهزأ وقال: تدعوا إلى رجل باليمامة يسمى الرحمن. قال ﷺ: «لا ولكنني أدعوا إلى الله وحده الرحمن الرحيم». ثم افتح سورة حم السجدة وبلغ إلى قوله تعالى: «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذِرْتُكُمْ صاعقةٌ مِّثْلُ صاعقةٍ عَادٍ وَثَمُودٍ» فاقشعر جلدُه ، وقامت كل شعرة في رأسه ولحيته، فمضى إلى بيته ولم يرجع إلى قريش.

فقالت قريش: يا أبا الحكم صبا أبو عبد شمس إلى دين محمد، أما تراه لم يرجع إلينا وقبل قوله وممضى إلى منزله. فاغتمت قريش وسار إليها أبو جهل قائلاً:

١. وتنسب حليمة إلى سعد بن بكر بن هوازن. وهي ابنة أبي ذؤيب، وزوجها الحارث بن عبد العزى.

يا عم نكست رؤسنا وفضحتنا، صبوت إلى دين محمد؟ فقال: ما صبوت وإنّي على دين قومي وأبائي، ولكنّي سمعت كلاماً صعباً تقدّس عرّ منه الجلود. فقال أبو جهل: أشعّرُه هو؟

فخطب ہی؟

- لا وإن الخطب كلام متصل. وهذا الكلام متisor لا يشبه بعضه بعضاً...  
له حلادة.

- في؟ قال: قولوا، هو سحر فإنه آخذ بقلوب الناس.

فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيداً...﴾ ١.

كما حاول عتبة بن ربيعة وهو من كبراء قريش وأشرافها أن يثنى النبي ﷺ عن الجهر بدينه، فكلمه وطممه في المال والجاه والشرف، فأسمعه ﷺ آياتٍ من سورة فصلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : حُمْ \* تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ \* وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْيَنَةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾<sup>٢</sup>. فسمع وبقي صامتاً حتى انتهى النبي ﷺ، فقام إلى أصحابه وقد تغيرت ملامحه، فقال بعضهم: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فقالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: سمعتُ قولاً والله ما سمعتُ مثله قط.  
والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معاشر قريش أطعوني واجعلوها  
في خلوةٍ بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله هذا الذي

١- المدثر: ٣٠

٢. فصلت: ٥

سمعت نبأً عظيم. فإن تصبه العرب فقد كفيتهم بغيركم. وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزّه عزّكم وكتتم أسعد الناس به.

فانزعجوا وقالوا: سحرك والله بلسانه. فقال: هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم.

### لماذا عارضت قريش النبي ﷺ وعانته؟

١. حسدتهم للنبي ﷺ، فقد ثمنوا أن يكونوا هم أصحاب هذا المنصب والمنزلة، إذ جاء في تفسير قوله تعالى: «وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ»<sup>١</sup> أنه: الوليد بن المغيرة، الذي قال: أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الشفقي سيد ثقيف، ونحن عظيما القربيتين.

وكذلك أمية بن أبي الصلت قال نفس الشيء وتنى أن ينال هذا المقام، فلم يتبع النبي ﷺ إلى آخر حياته.

٢. انغماسهم وحبّهم للشهوات، حيث كانوا أصحاب لعب ولهو وفسق ومجون، دون أن يقيدهم في ذلك أي أمر، مما جعل دعوة النبي ﷺ مخالفة لعاداتهم القديمة.

٣. الخوف من عقوبات اليوم الآخر، إذ كانت تحدث ضجة كبيرة في أوساطهم، فيهدم مجالسَ هؤهم وأنسهم، فحاربوه حتى لا يسمعوا تهديده ووعيده، كالآيات:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ﴾ يوم يقرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبيه

١. الزخرف: ٣١.

وَبَيْهِ \* لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانٌ يُغْنِيهِ ﴿١﴾ .

٤. الخوف من القبائل المشاركة، فقد ذكر «الحارث بن نوفل بن عبد مناف» للرسول ﷺ إنّا لنعلم أنّ قولك حق، ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى ونؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا، إن تركنا الوثنية التي تدين بها، ويعتبروننا سدنة لأوثانها، ولا طاقة لنا بها.

### Abbas و تولى

رأى النبي ﷺ أن إسلام أحد الزعماء وكبار القوم يحل الكثير من المشاكل، مما جعله يصرّ على أن يجير الوليد بن المغيرة والد خالد، إلى الإسلام، إذ كان أكبر سنًا في قريش، وأكثرهم نفوذاً وشخصية، حيث دُعي حكيم العرب. فكلّمه النبي ﷺ ذات يوم طامعاً في إسلامه، وفي الأثناء جاء ابن أمّ مكتوم وهو رجل من المسلمين وكان أعمى يكلّم الرسول ﷺ ويستقرئ القرآن، فشقّ ذلك منه على رسول الله ﷺ حتى أضجره، لأنّه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه، فنزل قوله تعالى: «عَبَّاسَ وَتَوْلَىٰ \* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ... ﴿٢﴾ .

إلا أن علماء الشيعة فندوا هذه الرواية التاريخية واستبعدوا صدور مثل هذا السلوك عن الرسول ﷺ الذي امتدحه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، وأنه ليس فيه ما يدل أنّ الذي عباس و تولى هو الرسول ﷺ. وقد روى الإمام الصادق ع عليهما السلام أن المراد به رجل من بنى أمية عباس و تولى، عندما حضر ابن أمّ

مكتوم الأعمى، عند النبي ﷺ فنزلت الآيات توبيخاً له.

### أسطورة الغرانيق

قيل إنَّ الأسود بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص ابن وايل، قالوا للرسول ﷺ: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر. فأنزل الله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾<sup>١</sup>.

ومع ذلك فإنَّ النبي ﷺ رغب في أن يساوم قريشاً ويجاريهم، فقال في نفسه: ليت نزل في ذلك أمرٌ يقرّبنا من قريش. وبينما كان ﷺ يتلو القرآن في الكعبة، فبلغ قوله تعالى من سورة النجم: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الالَّاتَ وَالْعَزَّى \* وَمَنَّاةَ الْثَالِثَةِ الْأُخْرَى﴾<sup>٢</sup> أجرى الشيطان على لسانه الجملتين الآتتين: «تلك الغرانيق العُلُّ منها الشفاعة تُرْكَحُ». فقرأهما من دون اختيار، ثم قرأ بعدها من الآيات. ولما بلغ آية السجدة، سَجَدَ هو ومن حضر من المسلمين والشركين أمام الأصنام، إلا الوليد الذي عاشه كِبُرُّ سنه عن السجود، ففرح المشركون وارتتفعت صيحاتهم: لقد ذكر محمد آهتنا بخير. فانتشر الخبر بالتقارب والمصالحة بين الرسول ﷺ والشركين، ولكنهم عرفوا بأنَّ الأمر تغيّر ثانية، حيث نزل مَلَكُ الْوَحْيِ على النبي ﷺ وأمره بمخالفة الأصنام ومجاهدة الكُفَّار، وأنَّ الشيطان هو الذي أجرى تلك الكلمات على لسانه، فهي ليس من الْوَحْيِ في شيء أبداً. فنزلت الآيات في ذلك من سورة الحجّ -٥٢- : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْبِيَّتِهِ فَيُسَخِّنُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيَّاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ...﴾.

٢. التجم: ١٩ - ٢٠.

١. الكافرون: ٢ - ٣.

هذه الأسطورة نقلها الطبرى في تاريخه، وردّها المستشرقون، وهي باطلة تماماً، فالعقل يحكم بأنّ المرشدين الذين يبعثهم الله تعالى إلى البشرية، مصونون من أي خطأ وزلل، حتى لا تزول ثقة الناس بهم وبأفكارهم. والقرآن شهد ببطلانها أيضاً فكيف تمكّن الشيطان من الانتصار على النبي ﷺ وسرّب إلى القرآن شيئاً باطلأ؟ فيصبح القرآن الذي يعادى الوثنية ويحاربها، داعياً إلى عبادتها. والقرآن يؤكّد: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ»<sup>١</sup>، «إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»<sup>٢</sup>.

ولذا فإنّ الحديث باطل لم ينطق به النبي ﷺ.

### لحات من تصحيات وحبّ أبي طالب للنبي ﷺ

اجتمع أسياد قريش وأشرافها في بيت أبي طالب للتحدّث عن رسول الله ﷺ الذي كان متواجداً معهم، وعن دينه والمشكلات السائدة في مكة، ومحاولة إبعاد النبي ﷺ عن دعوته، ولكنّهم يئسوا في الحصول على أية نتيجة مرضية، فتركوا بيت أبي طالب غاضبين مهددين، وقال عقبة بن أبي معيط: لا نعود إليه أبداً، وما خير من أن نغتال محمدًا.

فغضب أبو طالب دون أن يرد عليهم بشيء لأنّهم كانوا في بيته. وحدث أنّ النبي ﷺ خرج من بيته في نفس اليوم ولم يعد، فجمع أبو طالب الفتىّان من بنى هاشم وبني المطلب، وطلب منهم أن يتبعوه إلى المسجد، ويجلس كلُّ واحد منهم إلى عظيم من عظّاهم. فجاء زيد بن حارثة وسأله أبو طالب: يا زيد

.٩٩. النحل: ٢.

.٤٢: الحجر: ١.

أحسست ابن أخي؟ قال: نعم كنت معه آنفًا. فقال أبو طالب : لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه. فخرج زيد سريعاً إلى بيت عند الصفا فيه النبي ﷺ مع أصحابه وأخبره، فجاء النبي ﷺ إلى أبي طالب، فقال له: أين كنت؟ أكنت في خير؟ قال: «نعم». قال: أدخل بيتك.

وفي الغد خرج أبو طالب ومعه النبي ﷺ إلى أندية قريش وقال: يا معاشر قريش هل تدرؤن ما هممت به؟ قالوا: لا. فقال للفتيان من بنى هاشم وبني المطلب: إكشفوا عما في أيديكم. فكشفوا فإذا كلُّ رجل منهم معه حديدة صارمة. فقال: والله لو قتلتمنوه ما بقيت منكم أحداً حتى نتفاني نحن وأنتم. فانكسر القوم، وكان أبو جهل أشدّهم انكساراً وخيبة.

### تخطيط النبي ﷺ العسكري يوم بدر

يُعتبر الحصول على المعلومات حول العدو، ومعرفة أسراره العسكرية ومدى استعداداته، ومبلغ قوته، ودرجة معنويات أفراده، على أمر من الأهمية والقيمة، عسكرياً، منذ القدم وحتى اليوم. ولذا فإنَّ الجيش الإسلامي استقر في منطقة لاءِت مبادئ التستر ومنع أي عمل من شأنه كشف أسراره، كما أنه ﷺ كلف فرقاً مختلفة بتحصيل وجمع المعلومات عن قريش وأفراد جيشه، حتى توفر لدى القيادة الإسلامية من المعلومات، كان أهمها:

- معرفة نقطة تواجد قريش ومكان قاعدتهم. فقد سأله النبي ﷺ نفسه، وأحد قواده، شيخاً من العرب عن قريش و محمد وأصحابه، فقال: إنَّ محمدَا وأصحابه خرجن يوم كذا، فهم الآن بمكان كذا، وكذلك بالنسبة لقريش.

- معلومات عن أعدادهم وعتادهم، فقد أرسل ﷺ الإمام علياً عليه السلام والزبير

ابن العوام و سعد بن أبي وقاص إلى ماء بدر لالتماس الأخبار، فقبضوا على غلامين وأحضاروهما إلى النبي ﷺ الذي سألهما عن قريش، فقالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى.

قال النبي ﷺ «كم القوم وعدّهم؟» فقالا: لا ندري، هم كثير. فقال ﷺ: «كم ينحررون كل يوم من الإبل؟» قالا: يوماً تسعًا ويوماً عشرًا. فقال ﷺ: «ال القوم فيما بين التسعين والألف. فمن فيهم من أشراف قريش؟» قالا: عتبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف. فقال ﷺ لأصحابه: «هذه مكة قد ألقت إليكم أفالذ كبدها».

- معلومات حول القافلة، حيث كلف ﷺ شخصين بالتوجه إلى قرية بدر لنقصي الحقائق عن قافلة قريش. فسمعا عند الماء جاريتين يقول إحداهما للأخرى: إنما تأتي القافلة غداً أو بعد غد، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك. فقال لها مجدي بن عمرو الجهنمي: صدقت. ثم خلص بينهما.

فعاد الاثنان إلى النبي ﷺ وأخبراه بما سمعا. فعرف ﷺ بذلك وقت ورود القافلة ومكان تواجدهم، مما مكّنه من الإعداد والترتيب لمقابلتهم.

وعندما وصل أبو سفيان إلى بدر وسأل مجدي بن عمرو عن محمد ورجاله، أجابه: ما رأيت أحداً أنكره، إلاّ أني قد رأيت راكبين قد أناديا إلى هذا التل ثم استقيا ثم انطلقا. فأخذ أبو سفيان من أبعار بعيريهما ففتّه فإذا فيه النوى، فقال: هذه والله علائق يثرب، هذه عيون محمد وأصحابه، ما أرى القوم إلاّ قرباً. فرجع إلى أصحابه، واتّخذ جهة ساحل البحر الأحمر، مبتعداً عن بدر.

## من أحداث معركة أحد

### ١. نفقات الحرب

تحمل أسياد قريش نفقات المعركة، من اقتراح قدمه «صفوان بن أمية» و«عكرمة بن أبي جهل» إلى أبي سفيان بأن يدفع كل واحد منهم مبلغًا من المال قائلين: يا عشر قريش، إنّ محمداً قد وَتَرَكَمْ، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا.

وقد أوضح القرآن الكريم موقفهم هذا بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْقِضُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُنْعَلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾<sup>١</sup>.

### ٢. مشاركة النساء في الحرب

فقد شاركت نساء مكة الوثنيات مع الرجال في هذه المعركة على خلاف عادة العرب، وذلك حتى يحرّضن الرجال على القتال والصمود، ويمنعن المقاتلين من الفرار والهروب، لأنّ الفرار يعني أسرهن، ويشعلن الحماس في النفوس بدق الدفوف، وإنشاد الأشعار المثيرة الداعية إلى الثار.

### ٣. إثارتهم للنبي ﷺ

حاول عدد من أفراد قريش، القيام بنبش قبر أم محمد ﷺ: آمنة بنت وهب، قائلًا: فإنّ النساء عورة، فإن يصب من نسائكم أحد قلتم هذه رمة أمك، فإن كان

١. الأنفال: ٣٦.

براً بآمّه كما يزعم فلعمري ليقادينكم برّمة آمّه، وإن لم يظفر بأحد من نسائكم فلعمري فليفدين رمة آمّه بحال كثير إن كان بها براً.

إلا أنّ أهل الرأي منهم رفض الاقتراح وقالوا: لو فعّلنا ذلك، نبشت بنو بكر وخزاعة - وهم أعداء قريش - موتانا.

#### ٤. إطلاق الشعارات

تصبح مسألة بث الدعاية السيئة وزرعها في النفوس واستئثارها، سهلة ومؤثرة في الإنسان عند المزائم وإصابة النكبات، فتصبح أكثر تقبلاً وأيسر تأثيراً.

ولذا فإنّ أبو سفيان أمر برفع الأصنام والمناداة بأعلى الأصوات، بعد معركة أحد: أعلى هبل، أعلى هبل. فأدرك النبي ﷺ عمق الخطورة من هذا الأسلوب المؤثر في النفوس، فأمر المسلمين بالإجابة على ذلك بشعار مضاد قوي، فقال: «قولوا: الله أعلى وأجل، الله أعلى وأجل». فاستمر أبو سفيان في إطلاق شعاراته المريفة: نحن لنا العزي ولا عزي لكم. فردد النبي ﷺ عليهم: «الله مولانا ولا مولى لكم». فنادى المشركون: يوم بيوم بدر. فأجاب المسلمين: لا سواء، قتلانا في الجنة، وقتلتم في النار.

#### ٥. عن أميّة النبي ﷺ

روى العلّامة المجلسي عن الإمام الصادق ع عليهما السلام أنه قال: كان مما من الله عزّ وجلّ على رسوله ﷺ أنه كان لا يقرأ ولا يكتب، إلا أنّه عندما توجه أبو سفيان إلى أحد، كتب العباس بن عبد المطلب إلى النبي ﷺ يخبره بذلك، فوصله الكتاب

وهو في بعض حيطان المدينة، فقرأه ولم يخبر أصحابه، وأمرهم أن يدخلوا المدينة فأخبرهم عندئذ.<sup>١</sup>

## ٦. التضحية والداء في سبيل الله

وخير من مثلها في معركة أحد:

\*عمر بن الجمود: كان شيخاً أعرجاً أصيب في رجله، وله من الأولاد أربعة يشهدون المشاهد مع النبي ﷺ فأراد الاشتراك في أحد، ولكنهم منعوه، فأتى الرسول ﷺ وقال له: إنّ بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال النبي ﷺ: «أمّا أنت فقد عذر الله ولا جهاد عليك». ثم توجّه إلى أبنائه وقومه: «لا عليكم لا تمنعوه، لعل الله يرزق الشهادة». فخرج وهو يقول: اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي. وقد حمل على الأعداء وهو يقول: أنا والله مشتاق إلى الجنة. فاستشهد في المعركة.

\*الشاب حنظلة بن أبي عامر: كان له من العمر ٢٤ عاماً، واشترك أبوه في أحد إلى جانب قريش، حيث كان عدواً للنبي ﷺ يحرض على قتاله، ومعاداة الإسلام، فهو السبب لما حدث في مسجد ضرار. فكان على الباطل، إلا أنّ ابنه حنظلة اتّخذ جانب الحق مع النبي ﷺ. وفي يوم المعركة، كان قد أعد للزواج بابنته عبد الله بن أبي سلوان ويعيّم مراسيم الزفاف والعرس في ليلة الخروج إلى أحد، ولكنه سمع نداء الجهاد فاستأذن الرسول ﷺ ليتوقف في المدينة ليلة واحدة حتى يجري مراسيم العرس ويقيّم عروسه، ثم يلتحق بالعسكر الإسلامي في الصباح. وقد نزل في ذلك قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا

كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرِ جَامِعٍ لَمْ يَدْهُبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِذَا اسْتَأْذَنُوكُمْ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذْنُ لَمَنْ شِئْتُ مِنْهُمْ». <sup>١</sup>

وخلال المعارك، استشهد وهو يطارد أبا سفيان، فقال النبي ﷺ: رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بهاء المزن في صحائف من ذهب. فكان يسمى غسيل الملائكة أو حنظلة الغسيل، ذلك أنه خرج إلى الحرب وهو جنب. وكانت الأوس تعتبره من مفاحيرها فتقول: وما حنظلة غسيل الملائكة. أما أبو سفيان فقال: حنظلة بحنظلة. ويقصد حنظلة الغسيل بحنظلة ابنه الذي قتل يوم بدر.

والأمر الغريب هنا، إن العروسين كانوا مؤمنين متباينين في سبيل الحق، في مقابل والدين من أعداء الرسول ﷺ، فعبد الله بن أبي سلول والد العروس كان على رأس المنافقين، وأبو عامر الفاسق والد العريس، سمي في الجاهلية بالراهب لعدائه الشديد للنبي ﷺ والتتحقق بالمرشحين في مكة، وحضر هرقل على ضرب الحكومة الإسلامية، وقتل الكثير من المسلمين في أحد. إلا أنه عندما التقى المusكراً نادي أبو عامر: يا معاشر الأوس أنا أبو عامر، فقد تخيل أنهم سيتركون نصرة النبي ﷺ إذا شاهدوه، ولكنهم ردوا عليه: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق. فتركهم واعتزل الحرب بعد حين.

### \* أم عمارة \*

تحدّث النساء إلى الرسول الكريم ﷺ بشأن اشتراكهن في الجهاد: يا

رسول الله نحن نقوم بكلّ ما يحتاج إليه الرجال في حياتهم ليجاهدوا بباب فارغ، فلم حُرِّمنا نحن من هذه الفضيلة؟ فأجاب ﷺ: إنْ حُسْنَ التبْلُّ يعدل ذلك كله. مشيراً إلى الأسباب الطبيعية والعضوية للمرأة. إلا أن بعضهن خرجن من المدينة لمساعدة جنود الإسلام، في السقي وغسل ثيابهم وتضميد الجرحى. واشتهرت منهن في أحد: أم عمارنة نسيبة المازنية: التي قاتلت دفاعاً عن الرسول ﷺ فجرحت، وقالت تشرح موقفها: أقبل ابن قميئه وقد ولّ الناس عن الرسول ﷺ يصبح: دلّوني على محمد لانجوت إن نجا. فاعتراض له مصعب بن عمير وأخرون، وكنت فيهم فضربني هذه الضربة. ولقد ضربته على ذلك عدة ضربات، ولكنّه احتمى بدرعين كانا عليه. و كان النبي ﷺ ينظر إلى، فرأى جرحاً على عاتقى، فصاح بأحد أولادى: «أُمكْ أُمكْ إعصب جرحها»، فعاوننى عليه.

وعندما رأت ابنها وقد جرح أقبلت إليه ومعها عصائب أعدّتها للجراح فربطت جرحه، والنبي ﷺ ينظر، فقالت لولدها: انهض يا بني فضارب القوم. مما أعجب رسول الله ﷺ باستقامتها وثباتها وإيمانها فقال: «ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارنة».

وفي هذه الأثناء أقبل الرجل الذي ضرب ولدها فقال النبي ﷺ: هذا ضارب ابنك. فحملت عليه كالأسد وضربت ساقه فبرك. مما ازداد من إعجاب النبي ﷺ بشجاعتها وبسالتها فتبسم وقال: «استقدت يا أم عمارنة، الحمد لله الذي ظفرك وأقرّ عينك من عدوك».

وبعد المعركة طلبت الانضمام إلى جيش المسلمين الذي سار إلى حراء الأسد، ولكن جراحها منعتها من تأدية الغرض، وبعد رجوع النبي ﷺ سأل عنها فسرّ لسلامتها.

## من أحداث غزوة تبوك

### ١. قصة مالك بن قيس

أبو خيثمة: رجع إلى أهله في يوم حار فوجد أن المسلمين قد غادروا مع الرسول ﷺ إلى تبوك، فدخل عريشاً له، وجد أن زوجته قد جهزتا كلّ ما يحتاج إليه من طعام وماء، فنظر إليها وفَكَرَ ما فيه الرسول ﷺ وأصحابه من حال سيء، في أشدّ الحرارة وهم قاصدون جهاد العدو، فقال: رسول الله ﷺ في الشمس والحر والريح، وأبو خيثمة في ظلّ بارد وطعم مهياً وامرأة حسناء في ماله مقيم؟ ما هذا بالنصف. لا أدخل عريش واحدة منكم حتى أحق بالرسول ﷺ والمجاهدين. فخرج طالباً الرسول ﷺ فأدركه حين نزل تبوك.

### ٢. تنبؤات الرسول الكريم ﷺ

عندما وصل جيش الإسلام إلى أرض ثمود وهم في الطريق إلى تبوك، غطى النبي ﷺ وجهه بشوبه واستحثّ راحلته، ليسع في المرور على بيوتهم وأطلاطم، وقال لأصحابه: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلّا وأنتم باكون، خوفاً أن يصييكم مثل ما أصابهم». كما أنه نهى عن شرب مائتها أو التوضّؤ به للصلوة أو الطبخ. حتى شربوا من البئر التي شربت منها ناقة صالح النبي ﷺ.

وفي تلك الليلة أمر النبي ﷺ أصحابه بأن يعقلوا آباهم، ولا يخرج منهم أحد لوحده بل يخرج مع صاحبه، وذلك لمعرفة النبي ﷺ بأسرار الجو في تلك البقاع. ولما خرج أحد هم فريداً فاختنق لشدة الرياح، واحتملت رجلاً آخر فضررت به الجبل، انزعج ﷺ وقال: «لم أنهكم أن لا يخرج منكم أحد إلّا و معه

صاحبه».

وأصبح الناس دون ماء فعطشوا حتى كاد أن يقطع رقابهم، لدرجة أنهم شربوا الماء من كروش إبلهم بعد نحرها. فأرسل الله سبحانه وتعالى سحابة أمطرت فارتوى الناس.

وحدث أن ضللت ناقة النبي ﷺ ببعض الطريق، فخرج أصحابه في طلبها، فقال أحد المنافقين: أليس محمد يزعم أنهنبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته؟ فقال الرسول ﷺ: «إن رجلاً قال: هذا محمد يخبركم أنهنبي ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته؟ وإنما ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي في شعب كذا، وقد حبستها شجرة بزماتها فانطلقوا حتى تأتوني بها». فذهب بعض الصحابة وأحضروها.

كما تنبأ ﷺ بحياة أبي ذر وكيفية موته فقال: «رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويعث وحده». وقد تحققت نبوته ﷺ بعد ٢٣ عاماً حينما نفي إلى الربدة في الشام، وتوفي هناك وحيداً إلا من أهله.

## مؤسسة الدعاة والمبلغين

كان النبي ﷺ يبعث بمجموعات من المبلغين والدعاة إلى القبائل داعياً لهم إلى التوحيد وإلى الدين الإسلامي، وقد تألف هؤلاء من قراء القرآن الكريم والعارفين بالأحكام الإسلامية وال تعاليم النبوية، أبدوا استعداداً تاماً لأداء مهامهم الصعبة حتى لو كلفت حياتهم.

ومن القبائل التي تقدمت إلى النبي ﷺ تطلب إرسال عدد من هؤلاء الدعاة

: قبيلتنا عضل والقارة: «إِنَّ فِينَا إِسْلَامًا فَاشِيًّا، فَابْعَثْ مَعْنَا نَفْرًا مِنْ أَصْحَابِنَا يُقْرِئُنَا الْقُرْآنَ وَيَفْقَهُونَا فِي الْإِسْلَامِ»، فتَكُونَتْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ بِقِيَادَةِ: مَرْثَدِ بْنِ أَبِي مَرْثَدِ الْغَنَوِيِّ، سَارُوا حَتَّى وَصَلُوا مَاء الرَّجِيعِ الَّتِي تَقْطُنُ عَنْدَهُ قَبْيلَةُ هَذِيلٍ، فَكَشَفُوا عَنْ نَوَاهِي الْأَهْمَالِ الشَّرِيرَةِ بِقَتْلِهِمْ وَالْغَدَرِ بِهِمْ، إِلَّا أَنَّ الْمُبَلَّغِينَ اسْتَعْدَدُوا لِلقتالِ، فَقَالَ الْعُدُوُّ: مَا نَرِيدُ قَاتَلَكُمْ وَمَا نَرِيدُ إِلَّا أَنْ نُصِيبَ مِنْكُمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ثَمَنًا، وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ لَا نَقْتُلُكُمْ. فَرَدَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمْ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ لَا أَقْبَلَ جَوَارِ مَشْرِكٍ. أَوْ قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَقْبَلُ مِنْ مَشْرِكٍ عَهْدًا لَا عَدَّاً. وَلَذَا فَقَدْ قَاتَلُوا الْقَوْمَ قَاتَالَ الْأَبْطَالِ فَاسْتَشَهَدُوا إِلَّا ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ: زَيْدُ بْنُ دُثْنَةَ، خَبِيبُ بْنُ عَدَيِّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَعْلَهِ فَقَاتَلُوهُمْ ثَانِيَةً حَتَّى قُتِلَ فَدُفِنَ بِمَرِ الظَّهْرَانِ. أَمَّا الْآخَرُانِ فَبَاعُوهُمَا فِي مَكَّةَ، حِيثُ اشْتَرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، زَيْدُ بْنُ دُثْنَةَ وَقُتْلَهُ ثَارَّاً لِأَبِيهِ. فَقَامَ أُولَئِكُوْنَ بِحَسْبِهِ فِي الْحَدِيدِ، وَكَانُ يَتَهَجَّدُ بِاللَّلِيلِ وَيَصُومُ النَّهَارَ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى التَّنْعِيمِ لِيُصْلِبَهُ عَلَى مَرْأَى النَّاسِ، فَطَلَبَ أَنْ يُصْلَبَ رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى الْخَشْبَةِ وَقَالُوا لَهُ: يَا زَيْدُ إِرْجِعْ عَنْ دِينِكَ الْمُحَدَّثِ وَاتَّبِعْ دِينَنَا وَنَرْسِلْكَ، فَيَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفَارِقُ دِينِي أَبَدًا.

فَقَالَ لَهُ أَبُو سَفِيَّانَ: أَنْشَدْكَ بِاللَّهِ يَا زَيْدَ أَيْسَرِكَ أَنَّ مُحَمَّداً فِي أَيْدِينَا مَكَانِكَ وَأَنْتَ فِي بَيْتِكَ؟ فَقَالَ زَيْدٌ بِشَجَاعَةٍ: مَا يَسْرِنِي أَنَّ مُحَمَّداً أَشِيكَ بِشَوْكَةٍ وَإِنِّي فِي بَيْتِي وَجَالِسٌ فِي أَهْلِي. فَأَثْرَتْ كَلْمَاتُهُ فِي نَفْسِ «أَبِي سَفِيَّانَ» فَقَالَ: مَا رَأَيْنَا أَصْحَابَ رَجُلٍ قَطٌّ أَشَدَّ حَبَّاً فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ بِمُحَمَّدٍ. فَصُلْبُوهُ شَهِيدًا دَفَاعًا عَنِ الْعَقِيدةِ وَحِيَاضِ الدِّينِ.

أَمَّا خَبِيبٌ فَقَدْ حُبْسَوْهُ فَتَرَةً مِنَ الْوَقْتِ ثُمَّ قَرَرُوا قُتْلَهُ صَلْبًا أَيْضًا. فَخَرَجُوا بِهِ إِلَى التَّنْعِيمِ، وَخَرَجَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ وَالْعَبَيْدِ وَمِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالَ

لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا. فسمحوا له، ثم قال لهم: أما والله لو لا أن تظنوا أني إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة. فرفعوه على خشبة وقالوا: إرجع عن الإسلام نخلّ سبيلك. فقال: لا والله ما أحبت إني رجعت عن الإسلام وأنّ لي ما في الأرض جميعاً. فقالوا له: أما واللات والعزي لئن لم تفعل لنقتلنك. فقال: إنّ قتلي في الله لقليل. ثم صرفا وجهه عن القبلة ووجهوه نحو المدينة فقال: أما صرفكم وجهي عن القبلة فإنّ الله يقول: ﴿فَإِنَّمَا تُولِّوْا فَنَّمَ وَجْهُ اللَّهِ﴾<sup>١</sup> اللهم إني لا أرى إلا وجهه عدو، اللهم إنّه ليس هاهنا أحد يبلغ رسولك السلام عنّي بلغه أنت عنّي السلام. ثم دعا على القوم: اللهم أخصهم عدداً واقتلهم بددًا ولا تغادر منهم أحداً. ثم دعوا أبناء من قتل بيدر فكانوا أربعين غلاماً، أعطوا كلّ واحد منهم رحمة، وقالوا لهم: هذا الذي قتل آباءكم. فطعنوه بما حفهم، فتحرك على الخشبة وصار وجهه نحو الكعبة فقال: الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبته التي رضي لنفسه ولبنيه وللمؤمنين. فغضب أحد المشركين: عقبة بن الحارث لتمسكه بالإسلام وإخلاصه له، فطعنه طعنة قاتلة وهو يوحد الله ويشهد أنّ محمداً رسول الله. وبقي جثثاً نهراً فترة على الخشبة بحراسة الكفار حتى أنزله اثنان من المسلمين الأشداء ودفناه كما أمر الرسول ﷺ.

وقد أحزن هذا الحادث الأليم رسول الله ﷺ وجميع المسلمين، وأنشد فيهم حسان بن ثابت أبياتاً ذكرها «ابن هشام» في سيرته.

### إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى

كان زهير بن أبي سلمى من شعراء العرب البارزين في العهد الجاهلي،

. ١١٥ البقرة:

صاحب إحدى المعلقات السبع التي نصبـت في الكعبة وفتخرـها العرب. وتوفي قبل عصر الرسالة. وكان له ولدين: بجـير و كعبـ. أمـا بـجـير فقد آمن بالـإـسلام ولاـزم النـبـي ﷺ وأـحـبهـ، بـيـنـما عـادـي كـعـبـ النـبـي ﷺ فـكـانـ يـهـجوـ في قـصـائـدـهـ وأـشـعـارـهـ وـيـؤـلـبـ النـاسـ عـلـىـ الـإـسـلاـمـ. أمـا النـبـي ﷺ فـكـانـ قدـ هـدـدـ بالـقـتـلـ بعضـ الشـعـرـاءـ الـذـيـنـ كـانـواـ يـهـجـونـهـ ﷺ وأـهـدـرـ دـمـاءـهـمـ. فـكـتبـ بـجـيرـ إـلـىـ كـعـبـ يـنـصـحـهـ: إـنـ كـانـتـ لـكـ فـيـ نـفـسـكـ حـاجـةـ فـطـرـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺ فـإـنـهـ لـاـ يـقـتـلـ أـحـدـاـ جـاءـهـ تـائـبـاـ. فـاطـمـأـنـ لـكـلـامـ أـخـيـهـ وـتـوـجـهـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ وـقـابـلـ النـبـي ﷺ فـيـ الـمـسـجـدـ وـقـتـ صـلـاـةـ الصـبـحـ، فـصـلـىـ مـعـهـ لـأـوـلـ مـرـةـ وـجـلـسـ إـلـيـهـ وـوضـعـ يـدـهـ فـيـ يـدـهـ وـالـنـبـي ﷺ لـاـ يـعـرـفـهـ، فـقـالـ: يـاـ رـسـوـلـ اللهـ اـنـ كـعـبـ بـنـ زـهـيرـ جـاءـ لـيـسـتـأـمـنـ مـنـكـ تـائـبـاـ مـسـلـمـاـ فـهـلـ أـنـ قـابـلـ مـنـهـ إـنـ أـنـ جـئـتـكـ بـهـ؟ فـقـالـ ﷺ: «ـنـعـ». فـقـالـ: أـنـاـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ كـعـبـ بـنـ زـهـيرـ. ثـمـ أـخـرـجـ قـصـيـدـهـ الـلـامـيـةـ التـيـ مدـحـ فـيـهـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺ وـأـنـشـدـهـ بـيـنـ يـدـيـهـ فـيـ الـمـسـجـدـ لـيـتـلـافـيـهـ ماـ سـبـقـ أـنـ بـدـرـ مـنـهـ هـجـاءـ وـطـعـنـ فـيـ سـيـدـ الـمـرـسـلـيـنـ ﷺ».

وـقـيلـ أـنـ أـحـدـ الـأـنـصـارـ وـثـبـ عـلـيـهـ: يـاـ رـسـوـلـ اللهـ دـعـنـيـ وـعـدـوـ اللهـ أـنـ أـضـربـ عـنـقـهـ. فـقـالـ ﷺ: «ـدـعـهـ عـنـكـ فـإـنـهـ قـدـ جـاءـ تـائـبـاـ نـازـعـاـ - عـمـاـ كـانـ عـلـيـهـ».

وـهـذـهـ الـقـصـيـدـهـ هـيـ مـنـ أـفـضـلـ قـصـائـدـ كـعـبـ، اـعـتـنـىـ الـمـسـلـمـونـ بـحـفـظـهـاـ وـنـشـرـهـاـ مـنـذـ ذـلـكـ الـوقـتـ، كـمـاـ شـرـحـهـاـ عـلـيـاءـ الـإـسـلاـمـ كـثـيرـاـ، وـهـيـ تـضـمـ ٥٨ـ بـيـتاـ تـبـتـهـيـ قـوـافـيـهـاـ بـالـلـامـ الـضـمـوـمـةـ، وـيـبـدـأـ مـطـلـعـهـاـ:

بـأـنـتـ سـعـادـ فـقـلـبـيـ الـيـوـمـ مـتـبـولـ      مـتـيـمـ إـثـرـهـ لـمـ يـفـدـ مـكـبـولـ  
وـسـعـادـ هـيـ زـوـجـتـهـ وـابـنـةـ عـمـهـ، بـدـأـ بـهـ كـعـادـةـ شـعـرـاءـ الـعـهـدـ الـجـاهـلـيـ، إـلـىـ أـنـ

قـالـ:

إـنـ الرـسـوـلـ لـسـيـفـ يـسـتـضـاءـ بـهـ

مهندـ منـ سـيـفـ اللهـ مـسـلـولـ

فأبدله النبي ﷺ، إنَّ النَّبِيَّ لَنُورٌ يَسْتَضِئُ بِهِ ...

وقيل إنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَسَاهُ بِرْدَةً كَانَتْ عَلَيْهِ طَلْبَهَا مَعَاوِيَةُ فِي زَمْنِهِ، فَقَالَ كَعْبٌ: مَا كُنْتَ لَأُؤْثِرَ بِثُوبِ رَسُولِ اللَّهِ أَحَدًا. فَلَمَّا مَاتَ كَعْبٌ اشْتَرَاهَا مَعَاوِيَةُ مِنْ أَوْلَادِهِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. ثُمَّ تَدَاوَلَهَا حَكَامُ بَنِي أُمَيَّةَ وَالْعَبَاسُ بَعْدَ ذَلِكَ.

### إسلام عدي بن حاتم

بعث النبي ﷺ ١٥٠ فارساً على رأسهم الإمام علي عليه السلام إلى أرض طيء ليحطّم صنم طيء ويهدم بيته، فنجح في مهمته، وفرّ عدي بن حاتم الطائي رئيس القبيلة إلى الشام، ويقول هو في ذلك: «فَكُنْتُ إِمْرَأً شَرِيفًا، وَكُنْتُ نَصَارَىً، وَأَسِيرُ فِي قَوْمِي بِالْمَرْبَاعِ - أَخْذَ الرِّبْعَ مِنَ الْغَنَائِمِ لِأَنَّهُ سَيِّدُهُمْ - وَكُنْتُ مَلَكًا فِي قَوْمِي لَمَّا كَانَ يُصْنَعُ بِي. فَلَمَّا سَمِعْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَرْهَتِهِ فَقَلَتْ لِغَلَامٍ رَاعِيًّا لِإِلَيْيِ: إِذَا سَمِعْتَ بِجَيْشِ مُحَمَّدٍ قَدْ وَطَئَ هَذِهِ الْبَلَادَ فَآذِنْيِي. فَفَعَلَ وَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَايَاتِ فَسَأْلَتُ عَنْهَا فَقَالُوا: هَذِهِ جَيْوشُ مُحَمَّدٍ. فَاحْتَمَلْتُ بِأَهْلِي وَوَلْدِي وَقَلَتْ: الْحَقُّ بِأَهْلِ دِينِي مِنَ النَّصَارَىِ بِالشَّامِ، وَتَرَكْتُ أَخْتِي فِي قَوْمِي».

وقد ظفر المسلمين بأخته في سبيا طيء إلى النبي ﷺ الذي أبلغوه عن هروبها إلى الشام. فوضعوها في مكان بباب المسجد، فكانت تقول للنبي ﷺ عندما تراها: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد، فامنُ على من الله عليك. قال ﷺ: «ومن وافقك؟» قالت: عدي بن حاتم. فقال ﷺ: «الفار من الله ورسوله». وكررت عليه ﷺ قولها ثلاث مرات، فقال لها الرسول ﷺ: «قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني». ولما قررت السفر مع جماعة من قومها قالت: فكساني

رسول الله ﷺ وحملني وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام. ولما وصلت عند أخيها، أخذت تلومه: القاطع الظالم، احتملت أهلك وولدك، وتركت بقية والدك، عورتك. فقال لها: لا تقولي إلاّ خيراً فوالله مالي من عذر. ثم سألاها: ماذا ترين عن أمر هذا الرجل – أي النبي ﷺ فقالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عزّ اليمن وأنت أنت. فقال: والله إنّ هذا هو الرأي.

وعندما قدم إلى المدينة، اصطحبه النبي ﷺ إلى بيته، وأجلسه على وسادة طيبة، وجلس هو على الأرض. فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك. ثم قال ﷺ: «إيه يا عدي بن حاتم، ألم تكن ركوسياً – وهو دين بين النصارى والصابئين –؟» قلت: بلى. فقال: «أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟» قلت: بلى. فعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل.

فقد تباًأ أمامه بالرخاء وسعة المال لل المسلمين، وازدياد عددهم، ومساحة الأرض التي يحصلون عليها، وسيطربهم على الملك، والعيش بالقصور البيضاء من أرض بابل. فأسلم عدي بن حاتم. ورأى بعينيه بعد فترة، القصور البيضاء في بابل وقد فتحت، والمرأة تخرج من القadesية على بعيرها لتحقق البيت الحرام دون خوف. وكان عدي يقول: قد مضت اثنان و بقيت الثالثة... وأيم الله لتكون الثالثة، ليفيضنّ المال حتى لا يوجد من يأخذه.

## المصادر والمراجع

١. ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة.
٢. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجوزي: الكامل في التاريخ.
٣. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجوزي: أسد الغابة.
٤. الأحمدي، المحقق الشيخ علي: مكانتيبي الرسول ﷺ.
٥. أحمد عادل كمال: الطريق إلى المدائن. بيروت دار النفائس ١٩٧٧ م.
٦. الإصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: مقاتل الطالبيين.
٧. الإربلي، علي بن عيسى: كشف الغمة في معرفة الأئمة.
٨. الأميني، الشيخ عبد الحسين: الغدير.
٩. ابن حبيب، أبو جعفر محمد: المحبت.
١٠. ابن حجر العسقلاني، الخافظ أحمد بن علي بن محمد: الإصابة في تميز الصحابة.
١١. ابن حجر، أحمد الهيثمي: الصواعق المحرقة.
١٢. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني: مسند أحمد.
١٣. ابن خلkan، شمس الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.
١٤. ابن سعد، محمد بن سعد: الطبقات الكبرى.
١٥. ابن طاووس، السيد عبد الكريم: إقبال الأعمال.

١٦. ابن عبد البر، الحافظ المالكي الأندلسي: الإستيعاب في معرفة الأصحاب.
١٧. ابن كثير، الحافظ عماد الدين: البداية والنهاية.
١٨. ابن هشام، محمد بن عبد الملك: السيرة النبوية.
١٩. ابن القيم، العلامة شمس الدين الجوزية: زاد المعاد في هدى خير العباد.
٢٠. ابن معذ، السيد شمس الدين فخار: حجّة الذاهب إلى إيمان أبي طالب.
٢١. ابن واضح، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب: تاريخ العقوبي.
٢٢. أبو نعيم، الاصفهاني: حلية الأولياء.
٢٣. البحراني، السيد هاشم: تفسير البرهان.
٢٤. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: الصحيح.
٢٥. البرهان فوري، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي: كنز العمال.
٢٦. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان.
٢٧. البيروني، أبو الريحان محمد أحمد الخوارزمي: الآثار الباقيّة عن القرون الخالية.
٢٨. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك: ثمار القلوب.
٢٩. الحكم النيسابوري، الحافظ أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله: المستدرك.
٣٠. الحسيني، السيد علي خان المد니: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة الإمامية.
٣١. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن: وسائل الشيعة.
٣٢. الحلبي، الشيخ علي بن برهان الدين الشافعي: السيرة الحلبيّة.
٣٣. الحيدر آبادي، محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبي والخلافة الراشدة.
٣٤. الديار بكري، القاضي حسين بن محمد بن الحسن المالكي: تاريخ الخميس.
٣٥. الرازي، فخر الدين: مفاتيح الغيب.

٣٦. الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف عن حفائق التنزيل.
٣٧. السبحاني، الشيخ جعفر: مفاهيم القرآن.
٣٨. السبحاني، الشيخ جعفر: معالم التوحيد في القرآن الكريم.
٣٩. السيوطي، الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين: الدر المثور.
٤٠. الشهري، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل.
٤١. الصدوق، محمد بن علي القمي: الخصال.
٤٢. الصدوق، محمد بن علي القمي: علل الشرائع.
٤٣. الطباطبائي، السيد محمد حسين: تفسير الميزان.
٤٤. الطبرسي، أحمد بن علي: مجمع البيان في تفسير القرآن.
٤٥. الطبرسي، فضل بن الحسن: إعلام الورى بأعلام الهدى.
٤٦. الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك.
٤٧. الطوسي، محمد بن الحسن: الأمالي.
٤٨. القمي، الشيخ عباس: سفينة البحار.
٤٩. كحالة، عمر رضا: أعلام النساء.
٥٠. الكراجيكي، أبو الفتح محمد بن علي: كنز الفوائد.
٥١. الكليني، محمد بن يعقوب: فروع الكافي.
٥٢. الكليني، محمد بن يعقوب: روضة الكافي.
٥٣. الكوفي، أبو القاسم: الاستغاثة.
٥٤. المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار.
٥٥. الشريف الرضي: نهج البلاغة، شرح محمد عبده.
٥٦. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: الصحيح.

٥٧. المفید، الشیخ محمد بن محمد بن النعمان: الإرشاد.
٥٨. المقریزی، تقی الدین أبو محمد: إمتناع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفظة والمتابع.
٥٩. النسائی، القاضی أَحْمَدُ بْنُ شَعِيبٍ بْنُ عَلِیٍّ: سنن النسائي.
٦٠. الواقدی، محمد بن عمرو: المغازی.

## فهرس محتويات الكتاب

٥

مقدمة المؤلف

٩

مقدمة الملخص

١٣

الفصل الأول: العرب قبل الإسلام

١٥

أحوال العرب في شبه الجزيرة العربية

٢١

الأحوال السياسية في المنطقة

٢٣

التعريف بأسلاف الرسول ﷺ

٣١

الفصل الثاني:

٣٣

الرسول الأكرم محمد ﷺ

٣٦

مولده

٣٧

فترة طفولته

كفالة أبي طالب

٣٩

فترة شبابه

٤٠

فترة عمله

٤٣

زواجه

٤٦

أولاد الرسول ﷺ

٤٧

تبني النبي ﷺ لزيد بن حارثة

٤٩

**الفصل الثالث:****البعثة النبوية**

٥١

الحالة الدينية في الجزيرة العربية

٥٢

إيمان النبي ﷺ وآبائه و كفلائه قبل الإسلام

٥٧

النبي ﷺ قبل البعثة

٥٨

الوحي في غار حراء

٦١

المؤمنون بالدين

٦٤

دعاة الأقربين

٦٨

الدعوة العامة

٧١

الأساليب الفاشلة أمام نجاح الدعوة الجديدة

**الفصل الرابع:**

٨١

موقف النبي ﷺ من إيذاء الكفار المسلمين

٨٣

المigration إلى الحبشة

٨٨

الإسراء والمعراج

٩٢

السفر إلى الطائف

٩٥	نتائج المرحلة الجديدة من الدعوة
٩٥	بيعة العقبة
٩٩	الهجرة الكبرى
١٠٤	الرسول ﷺ في المدينة

## **القسم الثاني: يشرب - المدينة المنورة**

### **الفصل الخامس:**

١٠٩	الأحداث في المدينة المنورة
١١١	حوادث السنة الأولى من الهجرة
١١١	بناء مسجد في المدينة المنورة
١١٣	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
١١٣	معاهدة التعايش السلمي مع اليهود
١١٦	أحداث السنة الثانية من الهجرة
١١٩	تغيير اتجاه القبلة
١٢٠	معركة بدر ونتائجها
١٢٧	العمليات العسكرية الصغيرة
١٢٨	زواج السيد فاطمة الزهراء عليها السلام

### **الفصل السادس:**

١٣١	أحداث السنة الثالثة والرابعة من الهجرة
-----	--

١٣٣	معركة أحد
١٣٦	غزوة حمراء الأسد
١٤١	غزوة بنى النضير
١٤٣	غزوة ذات الرقاع
١٤٤	تحريم الخمر
<b>الفصل السابع:</b>	
١٤٥	<b>أحداث السنة الخامسة والسادسة من الهجرة</b>
١٤٧	غزوة دومة الجندل
١٤٧	غزوة الأحزاب
١٥٢	غزوة بنى قريطة
١٥٤	زواج النبي ﷺ بزینب بنت جحش
١٠٠	اليهود
١٠٠	قبيلة بنى لحيان
١٥٧	بنو غطفان
١٥٧	غزوة بنى المصطلق
١٥٨	قصة الإفك
١٦٠	الحدبية
<b>الفصل الثامن:</b>	
١٧٩	<b>أحداث السنة السابعة والثامنة من الهجرة</b>
١٧١	إعلان النبي ﷺ عن عالمية رسالته

١٧٩	أحداث خير
١٨٥	قصة فدك
١٨٧	فدك بعد النبي ﷺ
١٨٨	عمره القضاء
١٩٠	معركة مؤتة
١٩٢	غزوة ذات السلاسل
١٩٤	فتح مكة
٢٠٥	هدم بيوت الأصنام
٢٠٦	معركة حنين
٢٠٨	غزوة الطائف
 الفصل التاسع:	
٢١٥	أحداث السنة التاسعة والعشرة والحادية عشرة من الهجرة
٢١٧	عام الوفود
٢١٨	هدم الأصنام
٢١٩	غزوة تبوك
٢٢٤	مسجد ضرار
٢٢٥	وفد ثقيف
٢٢٦	إعلان البراءة
٢٢٩	المباهلة
٢٣٣	وفود القبائل في المدينة
٢٣٤	حجّة الوداع

٢٣٧

الخلافة بعد النبي ﷺ

٢٤١

المرتدون من المنتبهين

٢٤١

الأخطار الخارجية

٢٤٣

مرض النبي ﷺ

٢٤٤

وفاة ابنه إبراهيم

٢٤٥

الكتاب الذي لم يكتب

٢٤٦

اللحظات الأخيرة

#### الفصل العاشر:

##### حكايات وروايات وردت في الكتاب

٢٤٩

وأدب النبات

٢٥١

الخرافات

٢٥١

الحالة الاجتماعية في إيران أيام العهد السياسي

٢٥٤

حفر زمزم

٢٥٥

الوفاء بالنذر والوعيد

٢٥٦

قضايا عجيبة في طفولة النبي ﷺ

٢٥٧

رأي قريش في القرآن

٢٥٩

أسباب معارضة قريش للدعوة

٢٦٠

عبس وتولى

٢٦١

أسطورة الغرانيق

٢٦٢

لحات من تصحيات أبي طالب

٢٦٣

التخطيط العسكري يوم بدر

٢٦٥	من أحداث معركة أحد
٢٧٠	من أحداث غزوة تبوك
٢٧١	مأساة الدعاة والمبليغين
٢٧٣	إسلام كعب بن زهير
٢٧٥	إسلام عدي بن حاتم الطائي
٢٧٧	فهرس المصادر
٢٨١	فهرس المحتويات

